مصر في العصر العتيق
(الأسرتان الأولى والثانية)

تأليف

والترب. إمرى

ترجمة

راشد محمد نوير   محمد على كمال الدين

مراجعة

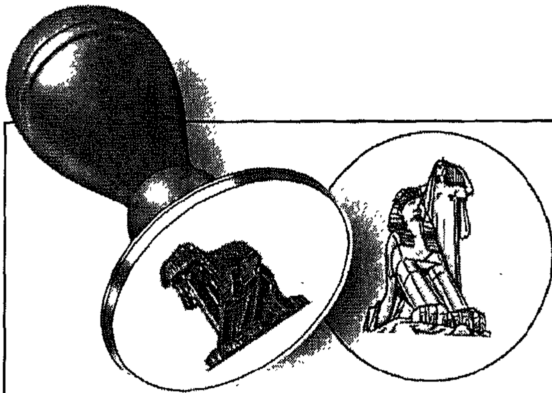
الدكتور عبد المنعم أبو بكر

هذه ترجمة كتاب

ARCHAIC EGYPT

تأليف: Walter B. Emery

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع
أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة ١٩٣٨



اسم الكتاب	مصر فى العصر العتيق (الأسرتان الأولى والثانية)
اسم المؤلف	والتر ب. إمرى – **الترجمة:** راشد محمد نوير – محمد على كمال الدين
إشراف عام	داليا محمد إبراهيم .
تاريخ النشر	يناير ٢٠٠٠
رقم الإيداع	٢٥٥٧ / ٢٠٠٠
الترقيم الدولى	I . S . B . N 977 - 14 - 1204 - 3
الناشر	**نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع .**
المركز الرئيسى	٨٠ المنطقة الصناعية الرابعة . مدينة السادس من أكتوبر . **ت:** ٣٣٠٢٨٧ / ٠١١ (١٠ خطوط) **فاكس:** ٠١١/٣٣٠٢٩٦
مركز التوزيع	١٨ ش كامل صدقى – الفجالة – القاهرة **ت:** ٥٩٠٩٨٢٧ – ٠٢/٥٩٠٨٨٩٥ **فاكس:** ٠٢/٥٩٠٣٣٩٥ **ص.ب:** ٩٦ الفجالة .
إدارة النشر	٢١ ش أحمد عرابى – المهندسين – الجيزة **ت:** ٣٤٦٦٤٣٤ – ٠٢/٣٤٧٢٨٦٤ **فاكس:** ٠٢/٣٤٦٢٥٧٦ **ص.ب:** ٢٠ إمبابة .

مقدمة

بقلم الأستاذ م. مالوان
أستاذ آثار غرب آسيا بجامعة لندن

بعد عام ٣٠٠٠ ق .م بقليل بدأت الخطوط الخافتة لعصر ما قبل الأسرات فى مصر تتخذ شكلا محدداً ، وآنئذ ولأول مرة تقابلنا وثائق مكتوبة من الأسرتين الأولى والثانية أمكننا بواسطتها أن نترسم فى صورة هيروغليفية اسمى نعرمر ومينا ذوى الشهرة الخالدة ، كل منهما كمؤسس لمملكة موحدة ، كما أن تعاقب هؤلاء الملوك على العرش فى العصر العتيق ، قد وصل إلينا فى قوائم عن الأسرات ، يرجع بعضها إلى عصور سحيقة ، كما يرجع بعضها الآخر إلى العصر اليونانى ، ويمتد عصرهم نحوا من ٥٠٠ عام ، وقد أيدت الحفائر والبحوث الأثرية أصالتهم التاريخية .

وفى هذه المرحلة على وجه التحديد ، يحق لمؤلف هذا الكتاب وهو الأستاذ (و .ب . إمرى) أن يتحدث لأنه قد مارس بنفسه خلال عشرين سنة عملية الكشف فى سقارة عن عشر مقابر ، ضمت ذخائر ملوك وملكة واحدة من الأسرتين الأولى والثانية ، وتزودنا الرسومات الدقيقة التى رسمها المؤلف ، مع ما اشتهر به من مهارة نادرة ، بأساس صالح لتخيل قصورهم وعمارتهم السكنية والجنائزية فى العصر العتيق ، ومن الشيق حقاً أن نرى أنه قد تأكدت الحجج المكتوبة فى وثيقة من العصر العتيق مثل حجر بالرمو ، ليس فقط بما تواتر إلينا عن ثقة فى تاريخ مانيتون ، بل أيضا بالقرائن الأثرية المفصلة المتزايدة ، ولاجدال فى أنه لازالت هناك مسائل عديدة تتطلب البحث : إذ إننا لانعرف يقينا مَنْ مِن الملوك كان مينا فى الواقع ، ولكن المؤلف قد أوضح الصعوبات بطريقة جلية مقبولة .

ونحن الآن على وشك الدخول فى عصر أثرى جديد ، ويحدونا الأمل فى أن تمدنا القرينة المبنية على تأريخ الكربون ١٤ بمقياس زمنى أثرى يمكننا من التعرف على علاقة التطور بين ممالك العصر العتيق الواقعة فى نطاق وادى الدجلة والفرات من جهة ، وبين وادى النيل من جهة أخرى .

النقاط تبدأ هذه الممالك المختلفة جدا ، والمتباعدة كثيرا ، فى أن ترينا علامات عن خبرتها المشتركة فى الصناعات والفنون . فقد كانت هناك علاقة ما ، ونحن نعرف فى الحقيقة أنه خلال الأسرتين الأولى والثانية كان المصريون يتاجرون فى الشرق الأدنى وكان النحاس الذى يستخرج من مناجم سيناء يصدَّر إلى جبيل من أجل خشب لبنان وأمانوس ، وإلى كريت من أجل النبيذ والزيت .

وربما كانت الفصول الأخيرة تخلب اللب أكثر من أى فصول الكتاب ، بما حوته من بيانات عما أنجزته مصر صناعيا قبل نحو ٢٧٠٠ سنة قبل الميلاد ، وإلى أى مدى خطا سكان مصر نحو تشكيل الحضارة المصرية التى تقف شامخة فريدة أكثر من أى حضارة فى العالم القديم .

وربما يدهش العديدون عندما يعلمون أننا يجوز لنا أن نتنبأ ، ونحن على يقين ، بأن التربة المصرية لاتزال تخبئ بين طياتها لعلماء الحفائر فى المستقبل أكثر مما قد خرج منها ، ففى سقارة بالذات هناك من الأدلة مايدعونا إلى الاعتقاد بأن هناك اكتشافات عديدة هامة لازالت قيد العمل ، ونختتم هذا بالتعبير عن أملنا فى أن يعود الأستاذ إمرى يوما إلى هذه المنطقة[1] ليواصل العمل الذى أيده فيه زملاؤه المصريون بإخلاص .

(١) يقوم الأستاذ إمرى فى هذه الآونة بالاشتراك مع مصلحة الآثار باستئناف أعمال الحفر فى سقارة ، وقد وفق إلى مزيد من الاكتشافات الأثرية الهامة . (المترجم)

مقدمة المؤلف

ربما كان من السابق لأوانه الآن محاولة التأليف عن مصر فى عصرها العتيق ، إذ إن الحفائر الجارية لازالت تكشف عن مادة جديدة ، ربما تعدل أو تغير بطريقة فعالة أشياء كثيرة تعتبر الآن غير قابلة للنقاش . ويحتاج الوصف الكامل لحضارة وادى النيل خلال الأسرتين الأولى والثانية إلى مجلد أكبر فى الحجم مرات عديدة من هذا الكتاب ، ومن الواجب أن يفهم قرائى أنه مطلوب منهم أن يقبلوا هذا الكتاب الذى لايعدو أن يكون مقدمة لموضوع متسع .

وحينئذ فهذه محاولة تقديم موجز عام لما نعلمه عن مصر فى فجر تاريخها كدولة متحضرة ، يدين لها بالكثير عالمنا المعاصر ، سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة .

وأود أن أعبر عن شكرى للأستاذ م . مالوان للتوجيهات العديدة القيمة التى نتج عنها تقديم تحسينات عديدة فى أسلوب فقرات عديدة فى النص ، وفى إدخال نقاط عديدة كانت قد غابت عنى .

(بونيفرستى كوليج لندن)

و.ب. إمرى

تمهيد

اكتشاف العصر العتيق

لم تكن معلوماتنا عن تاريخ مصر قبل عام ١٨٩٥ تعدو حكم الملك سنفرو أول ملوك الأسرة الرابعة ٢٦٨٠ ق .م الذى كان فى نظر مؤرخى ذلك الوقت شخصية يحيط بها الغموض ، وجدير بالذكر أنه كانت لدينا سجلات الأقدمين التى أمدتنا بقوائم طويلة بالملوك ، وبما كان يعتبر أهم الحوادث التى جرت خلال حكمهم ، كما كانت لدينا قوائم مصرية بالملوك ترجع إلى عصر مينا ، الذى ورد ذكره فى الأساطير بأنه أول ملوك الأسرة الأولى ومؤسس مصر الموحدة ، ولكن هذه السجلات ، سواء ما كتبه منها المؤرخون القدماء ، أو ما ذكره المصريون فى قوائمهم ، كانت من الضآلة بحيث لايمكن أن يتخذها الباحث أساسا مؤكدا لبحث تاريخى سليم ، والواقع أن كثيرا من المؤرخين اعتبروا هؤلاء الملوك مجرد أساطير ، ومن المؤكد أن أحدًا لم تكن لديه فكرة عن مدى الحضارة الرفيعة التى قامت فى وادى النيل قبل عصر الأهرام بمئات السنين .

ولقد تغير كل ذلك فى بضع سنين بفضل معول عالم الحفائر ، فأظهرت اكتشافات «بترى» فى أبيدوس «العرابة المدفونة» و«دى مورجان» فى نقادة و«كويبل» فى «هيرا كونبوليس» «الكوم الأحمر» معابد ومقابر وآثار أولئك الملوك الأوائل ، ودفعت خدود التاريخ البشرى إلى الوراء أكثر من خمسمائة سنة .

ولنفحص الآن المادة التاريخية التى كانت ميسرة لعالم الآثار المصرية قبل حدوث هذه الاكتشافات ، نجد أن السجلات المصرية القديمة تتكون من خمس قوائم ملكية هى :

١ - **لوحة أبيدوس** : مدونة على جدران دهليز بمعبد سيتى فى أبيدوس ، وتذكر مجموعة من الأسماء الملكية المسبوقة بلقب «نيسو»[1] وعددها ستة وسبعون ملكا ابتداء من مينا حتى سيتى الأول .

٢ - **لوحة الكرنك** : الموجودة حاليا فى باريس وتذكر أصلا الأسماء المسبوقة

(١) «نيسو بيتى» أو الاسم الرابع من الأسماء الملكية يقرأ الآن «ملك الوجه القبلى والوجه البحرى» وكان الملك يسمى به عند اعتلائه العرش .

بلقب نيسو لاثنين وستين ملكا من مينا حتى تحتمس الثالث ، ولكنها لا تقارن بلوحة أبيدوس فى قيمتها ، إذ تستند أساسا إلى الروايات أكثر مما تستند إلى التواريخ المدونة الرسمية .

٣ ـ **لوحة سقارة** : التى عثر عليها فى مقبرة الكاتب الملكى المسمى «ثونرى» وهى توجد حاليا فى المتحف المصرى بالقاهرة ، وتذكر الأسماء المسبوقة بلقب نيسو لسبعة وأربعين ملكا ابتداء من «مربابن» «عدج ـ إيب» وتنتهى برمسيس الثانى ، وقد كان مربابن سادس ملوك الأسرة الأولى ، ومن المحتمل أن سبب إغفال الملوك الخمسة السابقين له يرجع إلى أن لوحة سقارة ذكرت قائمة الملوك طبق سجلات مصر السفلى التى لم تعترف بأحقيتهم فى الملك ، على أنه من الطبيعى أن تعترف قائمتا أبيدوس والكرنك اللتان تمثلان مصر العليا بهؤلاء الملوك الأوائل .

٤ ـ **بردية تورين** : وقد كتبت بالخط الهيراطيقى ، وهى عبارة عن قائمة ملوك تبين طول حكم كل منهم بالسنوات والشهور والأيام ، وهى بخلاف لوحات أبيدوس والكرنك وسقارة ، تبدأ بالفترة التى توحد فيها القطران والأسرة الأولى ، بل تجاوزت الملوك العشرة إلى أسرات الآلهة ، وهناك اختلاف آخر بين هذه البردية واللوحات السابق ذكرها ، يتمثل فى أن البردية تقسم مجموعات الملوك إلى عصور ، والظاهر أن هذه البردية كتبت فى الأسرة التاسعة عشرة ، وكانت بلاريب وثيقة معبد لجأ إلى مثلها المؤرخون القدماء فى جمع المادة التاريخية لما كتبوه ورغم ما لهذه البردية بوضعها الراهن من قيمة ، إلا أنها تمثل مأساة ، لأن مايزيد على نصف قيمتها قد ضاع نتيجة سوء علاجها ، فقد كانت أصلا فى حيازة ملك سردينيا ثم أرسلت إلى تورين فى صندوق دون تعبئة سليمة ، فوصلت إلى الجهة المرسلة إليها وقد تهشمت إلى قطع لاتحصى ، وأمضى الباحثون سنين فى تجميع مابقى منها والملاءمة بينها ، ومع ذلك ، وفى حالتها الراهنة بعد الترميم ، توجد بها ثغرات هامة ، ونتيجة لذلك لايزال تسلسل بعض الملوك موضع جدال ، ومن بين ملوك العصر العتيق السبعة عشره هناك عشرة ملوك فقط يمكننا معرفتهم بصفة محددة .

٥ ـ وأخيرا لدينا مايعرف بحجر بالرمو وهو مثل بردية تورين يمثل مأساة أخرى للبحث الأثرى ، فقد بقيت لدينا فقط خمسة أجزاء صغيرة من لوحة حجرية كبيرة ، كان طولها أصلا نحو سبعة أقدام وارتفاعها قدمين ، ولايوجد أى بيان

يرشدنا عن مكان العثور عليها ، ومع أنه من الواضح أن هذه اللوحة قد حطمت إلى أجزاء صغيرة ، إلا أنه من الممكن جدا ، بل ومن المحتمل أنه كانت هناك قطع أخرى عديدة ، وأكثر مما وجد من هذا الأثر القيم ، لاتزال باقية إذا عرفنا فقط أين يبحث عنها ، ومع ذلك فإننا نعلم ، ويراودنا الأمل ، أنه كان يوجد سجل باسم كل ملك من ملوك العصر العتيق وعدد سنى حكمه وأهم ما حدث خلال توليه العرش ، وأن هذه البيانات قد كتبت أيام الأسرة الخامسة ولما يمض على توحيد القطرين سوى ما يقرب من ٧٠٠ عام ، مما يجعل حدود الخطأ فى جميع الاحتمالات فى غاية الضآلة .

واللوحة من حجر البازلت الأسود وقد نقش عليها بحفر دقيق تاريخ الأسرات الخمس الأولى مع أسماء ملوك مصر العليا وملوك مصر السفلى الذين حكموا المملكتين المنفصلتين قبل وحدتهما ، ومازالت أكبر قطع اللوحة منذ سنين عديدة جزءا من مجموعة متحف بالرمو ، ومن ثم جاء اسمها . على أنه توجد قطعة أخرى فى المتحف المصرى بالقاهرة ، بينما احتفظ بقطعة صغيرة جدا فى مجموعة بترى بجامعة لندن ، وقد كرست بحوث كثيرة لهذا الأثر الهام ، ولكن النتائج التى انتهت إليها مصادر البحث متضاربة ، لم تصل بعد إلى ترميم كامل مقنع حتى لشكلها العام ، وعلى أى حال هناك حقيقة قد تبدو مؤكدة ، وهى أن الصفين الثانى والثالث يسجلان تاريخ ثمانية ملوك فى الأسرة الأولى ، أما الصفان الرابع والخامس فيسجلان ملوك الأسرة الثانية البالغ عددهم تسعة ملوك ، وبتطبيق تأريخ مانيتون «انظر ما يتبع» على المسافة الدالة على السنين كما ورد على قطعتى الحجر فى بالرمو والقاهرة يتبين أن الصفوف الأربعة تتفق فى نهايتها . وعلى هذا فقد يبدو أن تأريخ مانيتون للأسرتين الأولى والثانية صحيح بالبرهان المادى وأنه كان لديه مصدر وثيق استند إليه فى تقسيم مجموعات الملوك إلى أسرات ، ولانستطيع إلا أن نأمل أنه فى يوم ما سيكشف معول الأثرى فى حفائره عن مزيد من هذا الأثر الذى لا يقدر بمال فى نظر المؤرخ .

وقد كان التاريخ الذى كتبه هيرودوت من المصادر اليونانية القديمة ذات القيمة المحدودة ، لأنه وثق إلى درجة بعيدة فى الروايات التى حكاها له الأدلاء الذين صحبوه فى رحلاته بمصر ، ومن الواضح أنه لم يبذل جهدا فى التحقق التاريخى

من المعلومات التى حصل عليها بهذه الطريقة ، ولكن الاقتباسات الجزئية التى اقتبسها يوسيفس أو الناسخان المسيحيان أفريكانوس عام ٣٠٠ ميلادية ، ويوزينيوس عام ٣٤٠ ميلادية عن مانيتون كانت ذات أهمية عظيمة وشكلت الإطار الذى بنى داخله التاريخ المصرى .

وقد عاش مانيتون وهو أحد أهالى بلدة سمنود بالوجه البحرى فى القرن الثالث قبل الميلاد خلال حكم بطليموس الثانى الذى كلفه بكتابة تاريخ وطنه . وكان مانيتون أهلا لهذا العمل ، حيث كان على ما يبدو كاهنا فى هليوبوليس «عين شمس» مركز العلم فى مصر ، مما مهد له سبيل الوصول إلى السجلات القديمة المحفوظة فى المعابد ، ولسوء الحظ فقد ضاع التاريخ الذى كتبه مانيتون ، وليس لدينا سوى الاقتباسات التى نقلها الكتاب المتأخرون بعد موت المؤلف بستمائة سنة ، مع كل ما يترتب على تكرار النسخ من تشويه ، وقد قسم مانيتون قائمة الملوك إلى أسرات مع اسم المكان الذى نشأت فيه كل أسرة ، وبالنسبة للأسرتين الأوليين ، تبدو تقاريره صحيحة بالتأكيد ، ويوجد شك ضئيل فى سلامة المصادر التى اعتمد عليها ، والمؤرخ المصرى الذى كان يكتب باليونانية أعطى بالطبع الصيغة اليونانية لأسماء الملوك ، ومع أن البحوث الأثرية قد برهنت على وجود الملوك الذين أحصاهم إلا أن موضوع تحقيق شخصية كل منهم مازال مبهما .

وبعد ، فتلك كانت المصادر الوحيدة لمعرفة أساس التاريخ الفرعونى التى كانت ميسرة لعلماء الآثار المصرية عند نهاية القرن الماضى . وهى هزيلة حقًا ، وليس من الغريب أن يبحث عصر الأسرتين الأولى والثانية فى إحدى عشرة صفحة فى الطبعة الأولى من تاريخ «بترى» الذى نشر عام ١٨٩٤ .

وفجأة ينقشع ضباب هذا الغموض التاريخى كنتيجة لسلسلة من الاكتشافات الرائعة فى حفائر أبيدوس وهيرا كونبوليس ونقادة .

فقد وجد كويبل **Quibell** سنة ١٨٩٤ خلال حفائره بالقرب من إدفو فى موقع هيرا كونبوليس «الكاب» آثارا لأوائل من عرفوا من ملوك مصر ، وهم الأسلاف المباشرون للأسرة الأولى وهؤلاء هم «سلك» **Selk** «العقرب» وكذلك نعرمر ، ومن أميز ما خلفه لنا أولهما رأس صولجان كان يستعمل فى الاحتفالات عليه نقوش ، كما أن الثانى قد ترك لنا لوحته الإردوازية الشهيرة ، وكلا الأثرين يعتبر وثيقة

تاريخية لها قيمة عظيمة ، وكشف كويبل أيضا آثارا لملكين من ملوك الأسرة الثانية هما خع سخم وخع سخموى .

وفى عام ١٨٩٦ كشف دى مورجان مدير مصلحة الآثار آنذاك عن مقبرة ضخمة فى نقادة ، عرفنا مما عثر عليه فيها من آثار أنها كانت مقبرة الملك حورعحا أول ملوك الأسرة الأولى ، ومع ذلك فقد أوضحت الأبحاث التى أجريت بعد ذلك ترجيح الاحتمال بأنها مقبرة الملكة «نيت حتب» والدة الملك حورعحا ، وبغض النظر عن قيمة المعلومات المعمارية التى أمدنا بها هذا البنيان العظيم ، فإن الاكتشاف كان غنيا بالآثار التى من أهمها لوحة صغيرة من العاج منقوش عليها اسم حورعحا ومعه اسم «من» ، ومن ثم يكون هذا اسم الملك مينا كما ورد عن مانيتون .

وفى السنة التالية وجد «أميلينو» **Amellineau** فى حفائره فى منطقة بأبيدوس تعرف باسم أم الجعاب ، مجموعة من مقابر ذات حفر كبيرة عرف عندئذ أنها مقابر عدد كبير من ملوك العصر العتيق ، وللأسف كانت تنقص أميللينو الخبرة فى طريقة الحفر الأثرى ، واعتبرت طريقته فى حفر هذا الموقع ـ وهو من أهم المواقع التى كشف عنها فى مصر حتى الآن ـ مأساة أخرى فى علم الآثار .

ولما كان من مولوه بالمال من هواة جمع الآثار ، فقد وجه أميللينو كل همه إلى جمع التحف الفنية فقط ، حتى أنه أهمل المبادئ الأساسية فى تسجيل سير العمل ، وذكر أيضا أنه كان يحطم الأوانى الحجرية المكررة ليرفع من قيمة ما يحتفظ به ، ومن المحتمل أنه قد بولغ فى مثل هذه التقارير ، ولكن من المؤكد أن تحطيم آثار لايمكن تعويضها كنتيجة للجهل والإهمال كان أمرا شائعا ، وبعد أن ظل أميللينو يزاول عملية التخريب لمدة أربع سنوات ، تنحى أخيرا عن الامتياز الذى خوله الحفر ، وعندئذ بادر «بترى» بإعادة فتح هذه الحفائر ، وفى موسمين أمضاهما فى البحث الرائع أنقذ كل قطعة من الأدلة التى لم يكن أميللينو قد لمسها تماما ، وعن طريق العمل الجاد المضنى استطاع بترى أن يتتبع التطور المعمارى للمبانى الجنائزية ، وأن يتعرف على أصحابها من الملوك ، ومن مجموع ما عثر عليه من خليط ، وضع بترى نظام تتابع ملوك الأسرة الأولى بطريقة سليمة جدا ، حتى أنه مع تعديل طفيف مازال رأيه فى الوضع التاريخى لكل ملك قائما حتى اليوم وقد

أكدته الاكتشافات التى أجريت فى سقارة بعد ذلك بأربعين سنة .

وكان من نتيجة هذه الاكتشافات أن قصة الحضارة المصرية أمعنت فى القدم ٦٠٠ سنة أخرى ، ولكن بعد الحماس الأول قل اهتمام الباحثين كما قلت البحوث التى تتعلق بهذه الفترة ، وقد قام بترى فى سنة ١٩١٣ بعمل اكتشافات أخرى فى طرخان ، وأكد «كويبل» وجود مقابر كبيرة من العصر العتيق شمال سقارة سنة ١٩١٢ ، ولكن مما يثير العجب أن أحدًا غيرهم لم يتتبع هذه الاكتشافات .

ويبدو أن همة الباحثين قد هبطت بسبب قلة ما عثر عليه من مادة مكتوبة ، وكذلك فشلهم النسبى فى حل الكثير من طلاسم الكتابة فى العصر العتيق ، وقد أماطت اكتشافات جديدة ومثيرة اللثام عن جبانات ومواطن أهالى ماقبل الأسرات فى وادى النيل ، واسترعت دراسة هذه الاكتشافات انتباه علماء الآثار المصرية الذين تخصصوا فى دراسة أصل المصريين مما أدى إلى استبعاد أى تقدم يضيف جديدا إلى معلوماتنا عن ميلاد الحضارة الفرعونية .

واستمرت فترة الهدوء حتى عام ١٩٣٢ عندما أراد «رايزنر» **Reisner** أن يعد المادة العلمية لمؤلفه العظيم عن تطور العمارة الجنائزية ، وطلب من سيسل فيرث **Cecil Firth** كبير مفتشى الآثار عند ذاك أن يوجه اهتمامه نحو جبانة العصر العتيق فى شمال سقارة ، وهى الجبانة التى طال إهمالها والتى كان قد كشف عنها كويبل عام ١٩١٢ ، وقام «فيرث» بتنظيف منطقتين ولكنه مات قبل أن يستطيع تسجيل نتائج عمله تسجيلا كاملا ، مما أدى إلى أن تلقى المؤلف «إمرى» تعليمات مدير عام مصلحة الآثار بأن يعيد حفر المنطقتين السالفتين حتى يمكن النشر عنهما ، ولم يكن «فيرث» قد أتم حفر المنطقة بالتفصيل ، ولما أعاد المؤلف فحص جزء من مقبرة كبيرة من الأسرة الأولى ، كان فيرث قد كشف عن بعضها وتوصل إلى بعض الاكتشافات الهامة ، تطلب الأمر أن تتخذ الخطوات لحفر المنطقة كلها حفرا منظما ، ومنذ عام ١٩٣٦ حتى نشوب الحرب استمر هذا العمل الدقيق ، وتم الكشف عن مجموعة من المقابر الكبيرة ، تعتبر ولاشك الشقيقات الشماليات لمقابر ملوك الأسرة الأولى فى أبيدوس .

وقد استؤنفت أعمال الحفر بعد الحرب وأشرف عليها «إمرى» حتى عام ١٩٥٦ باسم جمعية الآثار المصرية بلندن ، ولصالح مصلحة الآثار المصرية ، وبالإضافة إلى هذا ، فإن زكى سعد الذى ساعد فى أعمال الحفر فى سقارة قبل الحرب قد قام منذ

عام ١٩٤٢ بتنظيف جبانة متسعة لنبلاء الطبقة الثانية ولأفراد الطبقة الوسطى فى الأسرة الأولى فى حلوان على الضفة الشرقية للنيل فى مواجهة سقارة ، وقد أسفرت الحفريات التى أجريت فى هاتين الجبانتين الكبيرتين ، اللتين ضمتا موتى منف القديمة منذ ٣٠٠٠ سنة قبل المسيح ، عن العثور على معلومات جديدة كثيرة ، وحظى علم الآثار المصرية من جديد بالاهتمام بمشكلة أصول الحضارة الفرعونية .

ورغم أنه قد وجدت مادة جديدة وكثيرة ومدونة ، إلا أن تفسير كتابات العصر العتيق تفسيرا دقيقا ظل مع ذلك صعب المنال ، وأخذت الدراسات تتقدم ، وكلما حصلنا على نصوص أكثر قل الشك فى أن علماء اللغة سوف يكتشفون فى النهاية المفتاح الذى يكشف عن هذا الكنز الثمين ، الذى يحوى أسرار الأصول الأولى لتاريخ مصر ، ومعلوماتنا الآن عن العمارة والفن والنقش والفخار والأوانى الحجرية والمواد الأخرى قد أصبحت فى درجة نستطيع معها أن نؤرخ هذه المخلفات إلى أوائل ، أو أواسط ، أو أواخر الأسرتين الأولى والثانية ، ولم يعد فراعنة مصر الأوائل أشخاصا غامضين تحوطهم الأساطير والخرافات ، بل إن التقدم الرتيب فى دراسات هذا العصر جعلهم أشخاصًا حقيقيين ، وكثيرًا ما نعرف عن نشاطهم أكثر مما نعرف عن نشاط خلفائهم ممن حكموا فى العصور التالية .

ولكن . . مع زيادة معلوماتنا عن هذه الفترة السحيقة من تاريخ مصر ، فإنه لاتزال هناك مظاهر كثيرة لم يتفق عليها علماء الآثار المصرية ، بل كثيرًا ما يقف الباحث حائرا أمام اختلاف وجهات النظر فى الدراسات المنشورة ، إذ إن مؤلفيها فشلوا فى تقديم الأدلة التى تبرر أو تنفى الاستنتاجات التى توصلوا إليها ، وهذا مما يدعو للأسف ، ولكن من الممكن فهمه ، لأن الدلائل ضئيلة فى كثير من نواحى تاريخ وحضارة العصر بحيث يعتبر مستحيلا أن نقدم بالتفصيل جميع التفسيرات المتضاربة لزملائنا ويبدو هذا على الأخص فى كتابنا هذا ، فإن المدى الضيق المخصص لى يمنعنى من إبداء الأدلة التى تعضد أو تختلف فى الرأى مع بعض ما وصل إليه المؤرخون ، كما تمنعنى مع ذلك من محاولة إيجاد تبرير صحيح للآراء التى قد تختلف عن آراء الباحثين الآخرين ، وعلى أية حال فإننى أظن أنه قد يكون من الملائم هنا أن ألخص بعض أهم نقاط الاختلاف .

وأول هذه الموضوعات وأهمها هو موضوع تحديد الزمن التاريخى ، وهو موضوع

محير ، إذ إنه من الممكن أن نلمس تضارب الآراء بين مؤرخى مصر القديمة إذا ما فحصنا المدة التى أمضتها الأسرتان الأولى والثانية فى الحكم وفق ما جاء فى نخبة من المؤلفات الحديثة نسبيا وهى :

BREASTED, A History of Egypt, 1921.

٣٤٠٠ ـ ٢٩٨٠ ق .م = ٤٢٠ عاما

HALL, Cambridge Ancient History Vol. I. 1924.

٣٥٠٠ ـ ٣١٩٠ ق .م = ٣١٠ عاما

WEIGALL, A History of the Pharaohs, 1952.

٣٤٠٧ ـ ٢٨٨٨ ق .م = ٥٢٠ عاما

DRIOTON and VANDIER, Les peuples de L,Orient Mediterranèen. I'Egypte, 1938.

٣١٩٧ ـ ٢٧٧٨ ق .م = ٤١٩ عاما

SEWELL, The Legacy of Egypt, 1942.

٣١٨٨ ـ ٢٨١٥ ق .م = ٣٧٣ عاما

FRANKFORT, Kingahip and the Gods, 1948.

٣١٠٠ ـ ٢٧٠٠ ق .م = ٤٠٠ عام

HAYES, The Scepter Of Egypt, 1953.

٣٢.. ـ ٢٧٨٠ ق .م = ٤٢٠ عاما

فالتحديد الزمنى الذى لجأ إليه مؤرخو مصر القديمة الأوائل ، بوضعهم تاريخ وحدة مصر حوالى عام ٤٤٠٠ق .م ، قد عدل عنه من زمن بعيد . وفى الواقع دلت الاختبارات المحدودة لتلك الوسيلة الحديثة التى تساعدنا فى البحث الأثرى ، وهى وسيلة الفحص الراديو كربونى ، على أن التاريخ القائم على افتراض دورة ثالثة لنجم الشعرى اليمانية هو بلاشك تاريخ خاطئ[1] .

ومع ذلك فمازال هناك ـ كما أوضحنا ـ تفاوت جسيم بين المؤرخين المعاصرين

---

(١) كانت التحديدات الزمنية الناتجة عن طريقة الفحص بالإشعاع الكربونى سنة ١٩٥٠ على الخشب المأخوذ من سقف المقبرة رقم ٣٠٣٥ فى سقارة كالآتى :

٤٨٠٣ ± ٢٦٠ = بين ٣١١٢ ، ٢٥٩٢ ق .م
مجموع السنوات
٤٩٦١ ± ٢٤٠ = بين ٣٢٥٠ ، ٢٧٧٠ ق .م

وباستثناء «ويجل» فإن أحدًا لم يقبل العدد الذى حدده مانيتون وهو ٥٥٠ سنة للفترة التى تبدأمن اعتلاء مينا العرش حتى نهاية الأسرة الثانية ، ولكن مثل هذه الفترة لاتبدو مبالغا فيها ، إذا ا استندنا إلى الأدلة الأثرية ، ومن المؤكد أن المقابر الكبيرة بسقارة فى الفترة المبكرة كانت مخربة تخريبا كاملا عند نهاية الأسرة الثانية ، فالمبانى التى كانت قائمة بارتفاع ستة أمتار على الأقل تضاءلت إلى مالا يزيد على متر واحد فوق مستوى الأرض الأصلى ، وبنيت على ما بقى منها مقابر الفترة الأولى من الأسرة الثالثة . ومثل هذا التدمير لمبان هائلة الحجم والصلابة ، وذات جدران رئيسية تفاوت عرضها مابين مترين وخمسة أمتار ، ما كان ليحدث إلا على مدى فترة زمنية كبيرة وفى نظرى أن ٥٥٠ عاما قد تكون فترة معقولة لتعليل ذلك .

وصحيح أن هناك مايدعو إلى الشك فى الدقة التامة للأعداد التى ذكرها مانيتون ، لأنها تحمل فى طياتها كل ما يشير إلى تحريفها نتيجة إهمال االناسخين عنه ، ولنأخذ الأسرة الأولى كمثال لنا :

		عن أفريكانوس	يوزيبيوس (النسخة الأرمنية)	يوزيبيوس عن سينسللوس Syncellus
مينا	Menes	٦٢	٣٠	٦٠
آثوثيس	Athothis	٥٧	٢٧	٢٧
كنكينيس	Kenkenes	٣١	٣٩	٣٩
يونيفيس	Uenephes	٢٣	٤٢	٤٢
يوسافيدوس	Usaephaidos	٢٠	٢٠	٢
مبيدوس	Miebidos	٢٦	٢٦	٢٦
سممبسيس	Semempses	١٨	١٨	١٨
بينيخيس	Bieneches	٢٦	٢٦	٢٦
المجموع		٢٥٣	٢٥٢	٢٥٢
المجموع الحقيقى		٢٦٣	٢٢٨	٢٥٨

وعلاوة على ذلك فإن قطعة حجر بالرمو الموجودة فى القاهرة قد كشفت عن خطأ لايتسرب إليه الشك منذ وجدنا عليها أن حكم الملك سممبسيس «سمرخت» قد حدد بتسع سنين ، بينما قد حدده مانيتون فى كل ما نسخ عنه بثمانى عشرة سنة ، ولكن الأعداد التى ذكرها مانيتون تتفق مع عدد السنوات المذكورة على حجر بالرمو ، ومع التفاوت فى حكم كل ملك على حدة ، كما ورد عن ناسخيه ، فإن المجموع الكلى لسنى الأسرتين يبقى فى جوهره كماهو ، وعلى العموم فإنى أميل إلى قبول تقديره عن طول هذه الفترة على أنه صحيح أساسا ، لأن الدلائل الأثرية تعضده .

والارتباط بين تاريخ مصر الأول وبين بلاد مابين النهرين يعتبر ذا قيمة فى تقدير الزمن التقريبى لبدء الأسرة الأولى ، وقد عثر فى مصر على أربعة أختام أسطوانية لانشك فى أن أصلها من بلاد العراق القديمة ، وهى من عصر أوروك وجمدة نصر **Uruk- Jemdat Nasr** حوالى ٣٥٠٠ ـ ٢٩٠٠ ق .م . ومن الآثار التى عثر عليها مع هذه الأختام يمكن إرجاع تاريخها إلى أواخر العصر السابق للأسرات أو الفترة ٥٠ ـ ٦٣ ، حسب نظام التتابع التاريخى الذى وضعه بترى ، وهى الفترة التى تسبق عصر الأسرة الأولى مباشرة ، ولكن ليست لهذا الارتباط إلا قيمة محتملة ، ونحن فى حاجة إلى دليل آخر من هذا النوع قبل قبول أى تحديد تاريخى ثابت وبقدر ما وصلت إليه معلوماتنا ، لانستطيع أن نتجاوز فى اطمئنان ذلك التقدير التقريبى الذى يحدد وحدة مصر فى الفترة ٣٤٠٠ ـ ٣٢٠٠ وعلينا أن ندع الأمر هنا حتى يستجد جديد .

وهناك ظاهرة أخرى تناولها الباحثون بآراء مختلفة إلى حد كبير ، وهى وجود أو عدم وجود ما يسمى «الجنس الذى انحدرت منه الأسرات» .

وعلى نقيض النظرية التى أوضحناها فى هذا الكتاب ، فإن التقدم السريع لحضارة وادى النيل السابقة مباشرة للوحدة مرده دخول هذا الجنس ، إذ يعتقد بعض الباحثين أن التأثير الخارجى كان محدودا ، وأن السبب يرجع أساسا إلى التطور الطبيعى للثقافة المحلية فى فترة ما قبل الأسرات ، على أن مصادر أخرى ، مع قبولها الرأى القائل بأن التأثير الخارجى كان سببا فى تطور النظام الجديد ، فإنها لاتعتبر أنه قد أخذ صورة غزو جماعى ، وهم يرجحون أنه كان تسربا فرديا محدودا

حدث خلال فترة طويلة من الزمن . وتختلف الآراء أيضا بين الباحثين الذين يؤيدون النظرية التى تنادى بأن الجنس الذى انحدرت عنه الأسرات هو الذى جاء بالحضارة الفرعونية لوادى النيل ، إذ تنقسم أراؤهم حول من كان هؤلاء القوم؟ ومن أين قدموا إلى مصر؟ على أن الصلات الثقافية بين وادى النيل وسكان نهر الفرات فى تلك الفترة المبكرة لاجدال فيها وهى مقبولة بصفة عامة ، ولكن سواء أكانت هذه مباشرة أم غير مباشرة وإلى أى مدى كانت مصر مدينة لبلاد مابين النهرين ، فإن هذه موضوعات مازالت تحتاج إلى بحث ، ومن الواضح أنه لم يكن هناك تقليد دقيق ، ولاشك أن الطابع المصرى فى مظاهر عديدة لاسيما فى العمارة كان ممتازا وأكثر تقدما ، على أن هذا لا يشير إلى أى الأمتين تتلمذت على الأخرى أو استعارت منها ومع ذلك تجابهنا الحقيقة بأن بلاد مابين النهرين تستطيع أن توضح لنا أسس تطورها بينما لاتستطيع مصر ذلك ، ومن ثم فللأولى منهما الحق فى أن تدعى بأنها مصدر الآراء المعمارية مثل الواجهات ذات الدخلات والخرجات . ولكن عندما نقارن هذا النوع من العمارة فى الفترات المعاصرة سواء كانت سابقة أم لاحقة ، يظهر لنا أن تفوق مصر ليس موضع شك .

ويميل الباحثون فى الوقت الحاضر إلى تجاهل احتمال غزو وهجرة إلى كلتا المنطقتين من مكان ، وإن لم يكشف عنه بعد إلا أنهم يفترضون وجوده ، ولكن هناك مناطق شاسعة فى الشرق الأوسط والبحر الأحمر وشواطئ أفريقيا الشرقية لاتزال على حالها لم يكتشفها الأثريون بعد ، مما يدعونا إلى عدم تجاهل هذا الافتراض كلية ، وفى الحقيقة فإن وجود جماعة ثالثة تكون أعمالها الثقافية قد انتقلت إلى كل من مصر وبلاد ما بين الرافدين على حدة قد يفسر لنا بطريقة مثلى المظاهر المشتركة والفروق الأساسية بين كلتا الحضارتين .

وقد يكون نظام تتابع ملوك الأسرة الأولى هو أهم مشكلة حيوية فيما يتصل بتاريخ هذا العصر ، وهنا مرة ثانية تتشعب آراء الباحثين ، والصعوبة لاتكمن فى نظام تتابع الملوك طبق أسمائهم الحوريسية ، إذ أن هذا النظام باستثناء الملكة «مريت نيت **Meryt- nit**» يرتكز أساسا على أسس أثرية ولايمكن أن يكون هناك نزاع فى أن «حورعحا» قد خلفه «دجر» ثم «وادجى» ثم أوديمو ثم عدج إيب ثم «سمرخت» ثم قاعا على التوالى .

والصعوبة وموضع النزاع يكمنان فى التعرف على الأسماء الحوريسية ومطابقتها على تلك الأسماء التى أوردها مانيتون وكذلك على الأسماء التى تظهر فى القوائم الأثرية ، وقبل ذلك كله ، من كان مينا؟ وقد ندرك اختلاف الرأى بين مؤرخى الآثار المصرية إذا ما قارنا جداول الملوك الآتية التى قدمها المؤرخون المعاصرون فى كتبهم التى نشرت خلال الثلاثين سنة الأخيرة :

رايزنر	سميث	هول
١ ـ حورعحا (مينا)	نعرمر } مينا	العقرب } مينا
٢ ـ نعرمر	حور ـ عحا } مينا	نعرمر } مينا
		حور ـ عحا } مينا
٣ ـ دجر	دجر	دجر
٤ ـ وادجى	وادجى	وادجى
٥ ـ أوديمو	أوديمو	أوديمو
٦ ـ عدج ـ إيب	عدج ـ إيب	عدح ـ ايب
٧ ـ سمرخت	سمرخت	سمرخت
٨ ـ قاعا	قاعا	قاعا

ويحل	بترى	هايس
١ ـ حور ـ عحا ـ (مينا)	نعرمر } مينا	نعرمر (مينا)
٢ ـ دجر	حور ـ عحا } مينا	حور ـ عحا
٣ ـ وادجى	دجر	دجر
٤ ـ مريت ـ نيت	وادجى	وادجى
٥ أوديمو	أوديمو	أوديمو
٦ ـ عدج ـ إيب	عدج ـ إيب	عدج ـ إيب
٧ ـ سمرخت	سمرخت	سمرخت
٨ ـ قاعا	قاعا	قاعا

وكما سنرى ، فإن العقدة فى كل مشكلة التتابع تكمن فيما إذا كان «مينا» هو نعرمر أو حورعحا ، وأى من هذين الملكين ، على ضوء هذا التعرف ، يجب أن يكون الملك الأول فى الأسرة الأولى؟ ولنفحص أولا الأدلة التى تؤيد التحقق من أن نعرمر هو مينا .

١ ـ **لوحة نعرمر** التى عثر عليها فى هيراكونبوليس «مدينة الكاب» : يظهر الملك فى المناظر التى تمثل الاحتفال بانتصار عسكرى وقد لبس كلا من التاج الأبيض للوجه القبلى والتاج الأحمر للوجه البحرى ، وهو بهذا يمثل حاكم الوجهين معا .

التعقيب المضاد : لايمكن أن يكون هناك شك فى أن نعرمر قد أصاب الوجه البحرى بهزائم عسكرية منكرة ، وله بحق النصر أن ينتحل لشخصه شعارات الحكم التى كانت لخصمه المهزوم ، ولكن هذا لايجعله بالضرورة الحاكم الشرعى للوجه البحرى .

٢ ـ **رأس صولجان نعرمر** الذى عثر عليه فى هيراكونبوليس يظهره فى منظر احتفال جالسا على عرشه لابسا التاج الأحمر للوجه البحرى .

وقد اقترح البعض أن المنظر إنما يمثل احتفالا بزواج يدخل فيه نعرمر المنتصر فى تحالف مع الأميرة الشرعية للمملكة الشمالية ويحتمل أن تكون هذه الأميرة هى نيت حتب .(١)

التعقيب المضاد : وقد يتسم الفرض بأنه معقول جدًا ولكنه لايجعل من نعرمر الحاكم المقبول لمصر الموحدة «انظر التعليق االمضاد السابق ذكره فى الدليل الأول» .

٣ ـ **سدادات الأوانى الفخارية** التى عثر عليها فى أبيدوس والتى يظهر عليها الاسم الحوريسى لنعرمر فى تبادل مع العلامة التى تشير إلى «من» وقد قبل كثير من المؤرخين هذا الدليل واعتبروه برهانًا قاطعًا على أن نعرمر هو مينا على أن كثيرًا من سدادات الأوانى الفخارية فى الأسرة الأولى تبين الاسم الحوريسى للملك فى تبادل مع مجموعة من العلامات يظن أنها اسم «نبتى» للملك الذى نحن بصدده .

التعقيب المضاد : قد وضحت عدم صحة هذا الدليل بعد الكشف عن السدادات التى يرجع تاريخها إلى عصر الملك «حورعحا» والتى يتبادل اسمه عليها

---

(١) Newberry, Article on Menes in Great Ones of Ancient Egypt, p.37.

مع ثلاث من العلامات تختلف اختلافًا تامًا واضحًا ، وربما يحتمل أن تكون هذه العلامات ألقابًا[1] وعلاوة على ذلك فلو صح أن هذه المجموعات هى أسماء «نبتى» ، لتوقعنا أن تكون مسبوقة بالعبارة العادية التى تكون علامتى السيدتين «نخبت وادچيت» .

٤ ـ قطعة حجر بالرمو بمتحف القاهرة : يتفق معظم المؤرخين حاليا استنادا إلى أدلة أثرية بحتة ، على أن نعرمر قد سبق فى الحكم مباشرة «حورعحا» ، ونجد على قطعة حجر بالرمو الموجودة فى القاهرة الاسم الحوريسى للملك دجر مصحوبا بخرطوش يقرأ «إتيتى» **Iteti** ، وقد ذكر هذا الاسم فى قائمة ملوك أبيدوس على أنه ثالث ملوك الأسرة ، ومن ثم فإن «حورعحا» قد يكون الملك الثانى وأن نعرمر كان الأول ، وعلى ذلك يكون هو مينا .

التعقيب المضاد : من المؤكد أن «إتيتى» **Iteti** هو «أثوثيس» **Athothis** الذى وضعه مانيتون كثانى ملك فى الأسرة ، وإذا سلمنا بهذا الوضع فإن الملك دجر يعود للمركز الثانى ، ويكون حورعحا الذى يسبقه مباشرة هو الملك الأول ، ولكن معرفتنا أخيرًا بأن إتيرتى **Iterty** هو اسم نبتى «السيدتين» للملك وادجى يثير الريبة فى الفرضين أيضًا ، لأن ذلك يضع هذا الملك فى المكان الثانى ، الأمر الذى يستحيل قبوله استنادًا إلى ما لدينا من أدلة أثرية ويشير كل هذا إلى أن الأسماء الثانى والثالث والرابع فى قائمة أبيدوس مختلفة وليست نقلا محرفا لما كان فى الأصل نفس الاسم . ولا جدال فى أن الأسماء تتشابه بشكل يدعو إلى الريبة ويعتبرها بعض المؤرخين مترادفة وقد أدرجوا الملوك الثانى والثالث والرابع فى قائمة أبيدوس على أنهم يحملون نفس الاسم[2] وإذا قبلنا هذا الفرض ، ضاعت كل قيمة للدليل الموجود على قطعة حجر بالرمو الموجودة فى متحف القاهرة .

٥ ـ **بطاقة حور ـ عحا** التى وجدت فى نقادة : أراد كاتب البطاقة أن يحيى ذكرى الحادث التالى : عند موت الملك نعرمر ، الذى عبر عنه بطريقة فريدة ، وذلك بأن ذكر اسمه المسبوق بلقب نبتى ، وهو أمر له أهميته إذا ما كان صاحبه قد توفى ، فشيد ابنه حور ـ عحا خيمة جنائزية ليؤدى طقوس العبادة لوالده الملك الذى كان

---

(١) Emery. Hor - Aha, p.8.

(٢) Hayes, The Scepter of Ancient Egypt, p. 34.

اسمه مسبوقا بلقب «نبتى» وهو فى هذه الحالة يكون «من» وقد أسس هذا الفرض على ما يلى :-

(ا) أن الخطوط الثلاثة المحيطة باسم «من» يعلوه لقب «نبتى» (السيدتين) تعتبر محاولة بدائية لتصوير مكرر لثلاثة أكواخ ذات سقف مقبى مقام من البوص وتعتبر المبنى التقليدى الذى كان يستخدم فى احتفالات التأليه عند إقامة جنازة لملك قد توفى .

(ب) من مبادئ الكتابة فى العصر العتيق أن الكاتب عندما يقرن الاسم النبتى مع الاسم الحوريسى[1] لملك لايزال حيا فإنه يرتب مجموعتى العلامات بحيث تواجه إحداهما الأخرى . وهذا ليس كذلك فيما يختص ببطاقة نقادة ، فإن الاسمين الحوريسى والنبتى يتخذان نفس الاتجاه مما يدل على أنهما ليسا اسم فرد واحد .

(جـ) يطلق الاسم الحوريسى بصفة حاسمة على الملك فى أثناء حياته ، ويعيش هذا الاسم بعد موته فقط فى أسماء الأماكن والمبانى ، ومنذ حكم الملك سمرخت وهو سابع ملك فى الأسرة الأولى ، أصبح الملك الميت يعرف باسمه المسبوق بلقب نيسو - بيت[2] مع اسمه المسبوق بلقب نبتى ، وبعد ذلك أسقط نبتى وأصبح نيسو - بيت يكون اسمًا منفصلا قائما بذاته ، وتذكر القوائم الملكية فى أبيدوس وسقارة وترين أسماء الملوك المسبوقة بألقاب نيسو - بيت لأن هذه القوائم تخص الملوك الراحلين ، ونستطيع على ذلك القول بأن اسم «نبتى» الموجود على بطاقة نقادة هو اسم ملك متوفى ، بينما الاسم الحوريسى هو اسم ملك حى .

التعقيب المضاد : لا أساس للقول بأنه عندما يقرن اسم نبتى واسم حورسى لملك حى بعضهما إلى البعض تكتب مجموعة علامات نبتى بطريقة عكسية لمجموعة علامات حورس . وحقا أن الاسمين الموجودين على بطاقات الملك «قاعا» يواجهان بعضهما البعض ، ولكن لذلك مغزى ، إذ إن التغيير فى اتجاه مجموعات العلامات الهيروغليفية فى هذا العصر لم يكن غير عادى ، وهو ظاهرة عامة فى عدة بطاقات خشبية وعاجية ، وفضلا عن ذلك فإن اسم نبتى وحورس لنفس الملك يظهران على أختام فى اتجاه واحد كما هو الحال فى بطاقة نقادة[3] .

(١) أى يقرن اسم الملك مسبوقا بلقب «السيدتين» مع اسمه مسبوقا بلقب الصقر «حورسى» . المترجم .

(٢) أى ملك الجنوب والشمال . (المترجم) .

(٣) Petrie, Royal Tombs I Pl. XXVIII No 72 of Semerkhet.

ولاشك فى خطأ الرأى الذى يذهب إلى أن الاسم الحوريسى كان يستعمل فى العصر العتيق عند الإشارة إلى الملك الحى فحسب وأن اسم نبتى كان للملك بعد وفاته ، وفيما يتعلق بالاسم الحوريسى فإنه من الصعب أن نوفق بين هذا الاعتقاد وبين الحقيقة التى تقول بأن الاسم الحوريسى هو المستعمل بصفة نهائية على لوحات الملوك الجنائزية التى عثر عليها فى مقابر أبيدوس .

وبالإضافة إلى ذلك فإننا نجد على تمثال من الجرانيت فى المتحف المصرى أن الأسماء الحوريسية للملوك الثلاثة الأوائل فى الأسرة الثانية وهم «حوتب سخموى» و«رع نب» و«نتر إن **Neteren**» قد نقشت طبق نظام توليهم العرش . والمفروض أن اثنين على الأقل من هؤلاء الملوك الثلاثة كانا حتما قد وافتهما المنية عند الكتابة ، وكان يجب بناء على ذلك أن يشار إليهما بأسمائهما المسبوقة بلقب نبتى ، كما أنه لدينا بطاقة الملك قاعا وعليها أسماء حورس ونبتى مكتوبين سويا .

والأدلة على أن «حور ـ عحا» هو مينا نسردها فيما يلى :

١ ـ **بطاقة حور عحا** التى عثر عليها فى نقادة : إن اسم مينا المسبوق بلقب نبتى والمجاور مباشرة لاسم «حور ـ عحا» المسبوق بلقب حورس ، يدل على أنهما اسمان لشخص واحد ، كما هو الحال على بطاقات أخرى مثل بطاقات الملك قاعا ، وقد ظن البعض أن العلامة التى تقع أسفل مجموعة نبتى ليست العلامة التى تنطق «من» ولكنها تمثل المقاعد والسرادق المنصوب للاحتفال بعيد «سد»[1] ومع ذلك فقد اتفق معظم الباحثين على أنه لايمكن أن يكون هناك جدل فى أن هذه العلامة هى حقيقة علامة «من» ويتبين ذلك بمقارنتها مع قطعتى اللعب اللتين شاع استعمالهما فى العصر العتيق .

وفضلا عن ذلك فمقارنة ذلك بعلامة «من» المرسومة بالأسود والأحمر خلف بطاقة «حورعحا» التى عثر عليها فى أبيدوس والتي تعتبر فى حد ذاتها إشارة أخرى على أن الملك «حور ـ عحا» هو مينا تؤكد الرأى[1] .

التعقيب المضاد : نستطيع بناء على قوة الدليل المكتوب والمذكور عاليه ، أن نستخلص أن اسم نبتى يشير إلى الملك السابق «لحور ـ عحا» .

(١) Vikentief, The Nagadeb Tablet, Annales du Service des antiés de L'Egypte. Tome XXXIII

٢ - **المبنى الجنائزى الكبير** الذى شيده «حور - عحا» فى سقارة «وسقارة هى جبانة العاصمة منف التى أسسها مينا» :

تعتبر المقبرة رقم ٣٣٥٧ أقدم مبنى منذ عهد الأسرات فى سقارة ، ولم يعثر فيها على أى مخلفات أو بقايا للملك نعرمر ، ولهذا أهمية خاصة ، حيث عثر على مبان من عهد نعرمر فى بلدة طرخان التى تقع بعيدًا إلى الجنوب ، وهذا يوحى بأنه رغم أن دولة الشمال قد هزمت فإنها عند موته لم تكن قد هدأت تماما ، كمايوحى بأن إنشاء العاصمة الاستراتيجية الجديدة منف لم يكن قد تم بعد .

التعقيب المضاد : لو كنت منشئا لمدينة منف لايعنى بالضرورة أنه يجب أن تدفن فى جبانتها ، وحتى ينتهى الكشف التام عن موقع المدينة ، يكون من التهور أن نقرر عدم وجود أثر ما لنعرمر فيها ، وعلاوة على ذلك فرغم أن منطقة المقابر الكبيرة للأسرة الأولى قد تم حفرها ، إلا أن هناك مناطق مجاورة لها لاتزال تنتظر الكشف عنها .

وأظننى قد أوردت موجزا معتدلا للنقاط البارزة فى وجهات النظر مؤيدًا ومناهضا الفروض المتناظرة بأن نعرمر أو حورعحا كان هو مينا .

وهناك رأى بديل آخر : وهو أن مينا كان شخصية أسطورية مركبة تجسدت فيها أعمال كل من نعرمر وحورعحا ، ولكننى أرى على ضوء الدليل الذى أمدتنا به بطاقة نقادة ، أنه من الصعب أن نأخذ بهذا الحل المريب ، وإنى أعتبر كافة الأدلة ترجح أن حور عحا هو مينا ، وأظن أن عدم وجود أى أثر إطلاقا لنعرمر فى جبانة العصر العتيق فى سقارة هو أقوى حجة تعزز وجهة النظر هذه . والفروض التى ترتكز على معلوماتنا المبدئية حاليا عن كتابة هذا العصر البعيد لايمكن أن تعادل الحقائق الثابتة التى أظهرها معول الأثرى فى حفائره .

ومن الحماقة حقا محاولة إعطاء أحكام نهائية فى المعضلات المعقدة العديدة التى تتصل بهذا العصر العتيق من تاريخ البشرية . ومع ذلك فقد أحرزنا تقدما ، وهناك نظريات عديدة ترجع إلى سنين قليلة مضت قد أصبحت حقائق ثابتة ، بينما عدل عن نظريات أخرى عديدة ، وحتى مع نظرتنا الحالية المبهمة فإننا نستطيع أن نتعرف على سكان وادى النيل فى بداية الألف الثالث قبل الميلاد وأنهم كانوا أحسن تنظيمًا وأكثر حضارة من وجهة نظرنا الحديثة مما كنا قد افترضنا .

---

(١) Petrie, Royal Tombs II Pl. XI, 2.

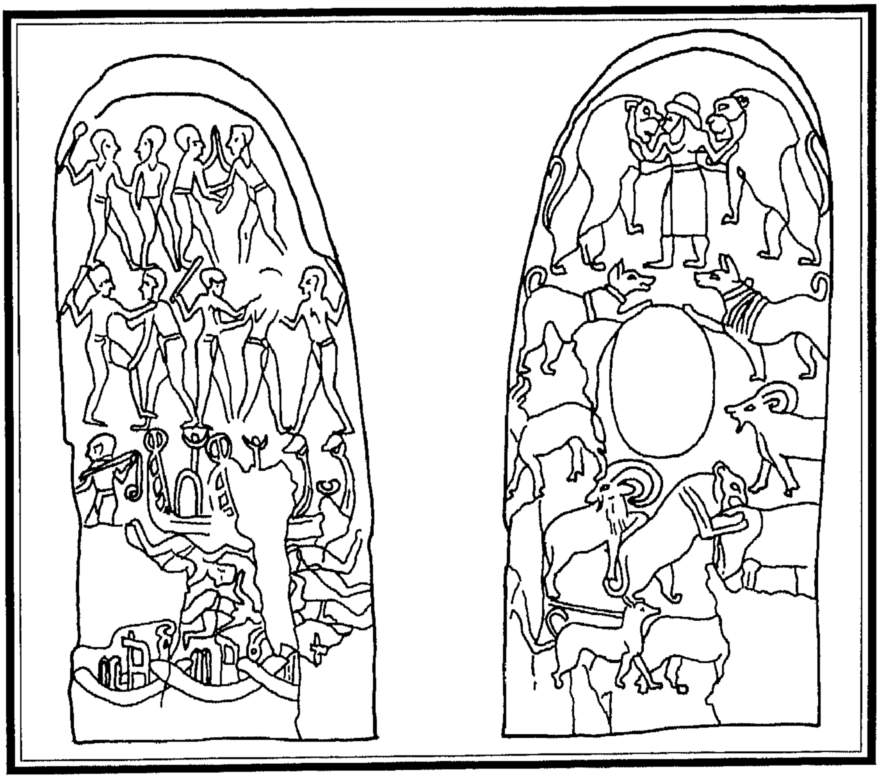
الفصل الأول
الوحدة

لقد حدث تغيير كبير فى مصر منذ نحو ٣٤٠٠ سنة قبل الميلاد . وتحولت الدولة بسرعة من ثقافة العصر الحجرى الحديث المتقدمة ، مع ما تختلط به هذه الثقافة من صفات قبلية ، إلى مملكتين لهما نظام سليم ، إحداهما تشمل منطقة الدلتا والأخرى وادى النيل ، وفى نفس الوقت ظهر فن الكتابة ، كما تطورت العمارة والفنون والحرف تطورًا مذهلاً ، وتشير كل الدلائل إلى وجود حضارة تتسم بحسن النظام والرخاء . وقد تم كل ذلك فى فترة قصيرة نسبيًا ، ذلك لأنه يبدو أن هذه التطورات الجذرية فى الكتابة والعمارة كان أساسها السابق ضئيلاً إن لم يكن معدومًا .

وقد اختلفت آراء الباحثين حول سبب هذا التقدم الحضارى المفاجئ ، ولكن من المرجح أن السبب الرئيسى يرجع إلى أن شعبًا جديداً قد غزا وادى النيل ، جالبًا معه أساس الحضارة ، التى يجوز أن نسميها بالحضارة الفرعونية ، حيث يعوزنا اسم أفضل ، هذا ولم يثبت بعد ما إذا كان هذا الغزو قد أخذ شكل تسرب تدريجى أم أنه كان غزوًا جماعيًا ، ولكن إذا وازنا القرائن التى لدينا ـ وأهمها ما أمدتنا به النقوش التى تزين يد سكين من العاج عثر عليها فى جبل العرق ، والرسوم التى وجدت على جدران إحدى مقابر العصر السابق للأسرات فى مدينة هيراكونبوليس ـ رجحت فكرة الغزو الجماعى .

فعلى يد السكين نرى أسلوبًا من الفن يظن البعض أن أصله ربما كان فنّاً عراقيًا أو سوريّاً قديمًا ، كما نرى منظرًا قد يمثل معركة بحرية ضد غزاة ، وهو الموضوع الذى رسم أيضًا بطريقة بدائية على جدران مقبرة هيراكونبوليس ، وفى كلا المنظرين نرى مراكب مصرية أصلية بحتة ، كما نرى مراكب غريبة عالية المقدمة والمؤخرة ، ولا يمكننا أن نخطئ فى أن أصلها عراقى قديم (شكل ١) وعلى أية حال ، فحوالى نهاية الألف الرابع قبل الميلاد نجد القوم المعروفين فى الأساطير «أتباع حوريس» يكونون على مايبدو السادة المتحضرين ، أو الجنس السيد الذى يحكم مصر كلها ،

ومما يعزز النظرية القائلة بوجود هذا الجنس ذى السيادة ، اكتشاف مقابر من أواخر العصر السابق للأسرات فى الجزء الشمالى من الوجه القبلى ، تحتوى على بقايا آدمية لقوم جماجمهم أكبر حجمًا وأجسامهم أضخم من أجسام السكان الأصليين[١] وكان الاختلاف بينا حتى ليستحيل القول بأن هؤلاء القوم انحدروا من السكان الأصليين السابقين . ولابد أن اندماج الجنسين كان ملحوظًا ، ولكنه لم يكن من السرعة بحيث يمكن اعتباره قد تم عندما توحدت البلاد ، إذ كان من المستطاع خلال العصر العتيق كله التمييز بين طبقة السادة المتحضرين وبين عامة الشعب ، لاسيما فيما يختص بعادات الدفن ونجد عند نهاية الأسرة الثانية فقط الدليل على أن الطبقات السفلى من الشعب تستعمل العمارة الجنائزية وطريقة الدفن التى يستعملها سادتهم .



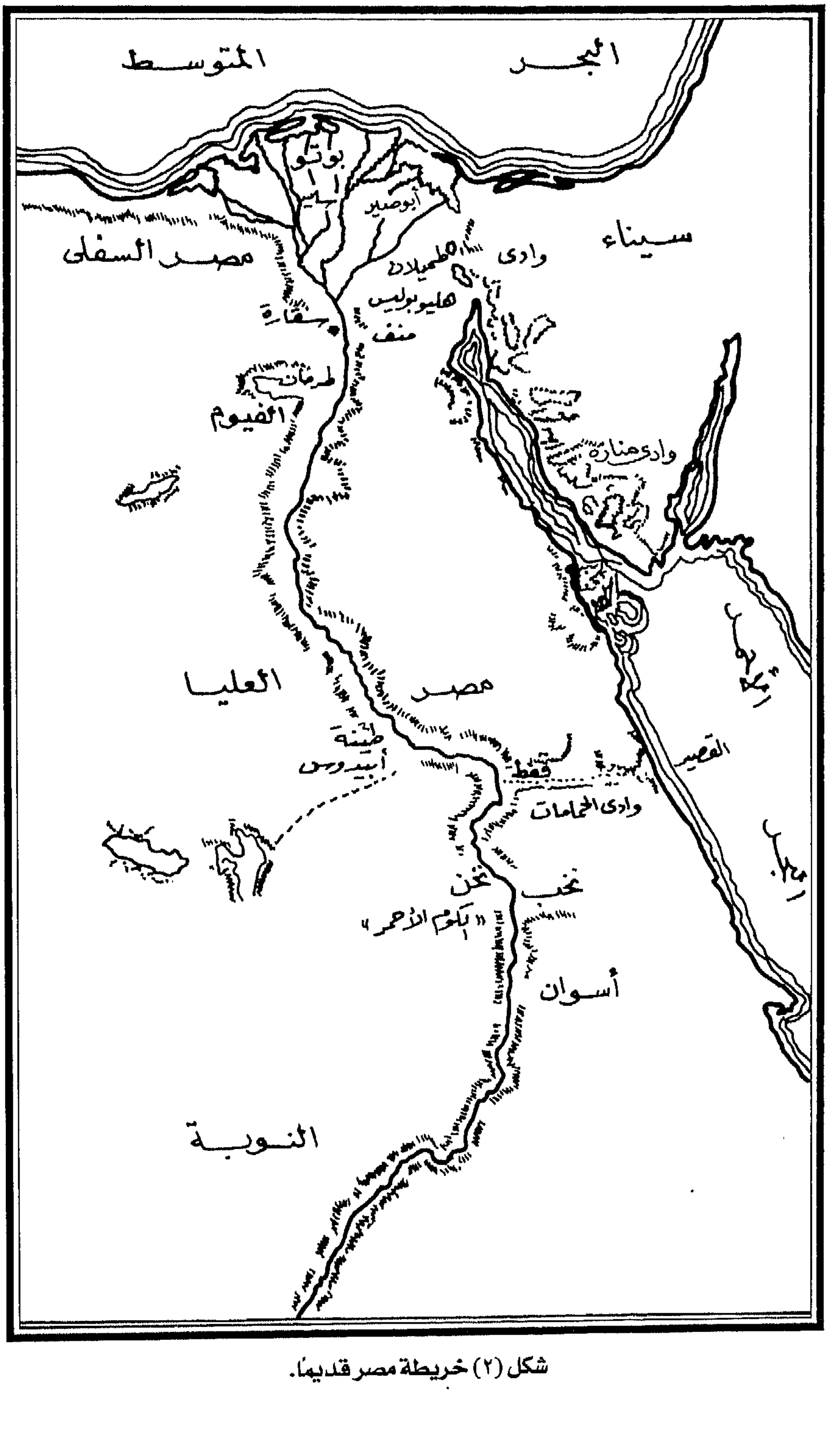
شكل (١) مقبض سكين جبل العرق.

(١) DERRY, D. E. The Dynastic Race in Egypt; Journal of Egyptian Archaeology, vol. 42. 1956.

والجنس الأصلى لهؤلاء الغزاة غير معروف ، كما أن الطريق الذى دخلوا منه إلى مصر لايزال أيضًا غامضا ، وإن أوجه التشابه فى الفن الزخرفى ، والاشتراك معا فى استعمال الختم الأسطوانى ، وفوق هذا كله نظام الدخلات والخرجات فى عمارتهم الأثرية ، لتشير دون خطأ إلى وجود صلة بحضارة مابين النهرين فى ذلك الوقت ، ومع وجود أوجه التشابه هذه ، فهناك أيضًا أوجه اختلاف كبيرة ، ومن الجرأة حقا ونحن على هذا القدر من المعلومات أن نبت برأى قاطع فى هذا الموضوع البالغ الأهمية ، وإذا فرضنا أن مجىء هؤلاء القوم الذين كونوا الأسرات إلى مصر كان على هيئة غزوة جماعية ، وأنهم قد أتوا من الشرق ، فإن الدلائل تشير إلى أن دخولهم كان عن طريق وادى الحمامات ، ذلك الطريق التجارى العظيم الذى يعبر الصحراء الشرقية ويربط ساحل البحر الأحمر عند القصير بالنيل عند بلدة قفط (شكل ٢) ولكنه قد ثبت أن طريق وادى الحمامات لايخلو من عقبات كثيرة تعترض أية قوة حربية كبيرة ، بسبب نقص الماء فى مسافة تزيد على ٢٠٠ كيلومتر ، وكبديل لهذا الطريق فى دخول مصر ، يحتمل أن يكون الغزو قد سلك طريق وادى الطميلات ، الذى يقع فى شرق الدلتا ، وهو طريق قد يمكن الجيوش الهاجمة من اكتساح الدلتا وإذا ما سارت على حافة الصحراء وصلت إلى المجرى الرئيسى للنيل فتخضع فى النهاية الوجه القبلى ، وتجعله تحت سيطرتها ، ومثل هذا الغزو بأى الطريقين ، لم يكن ليتم إلا على مدى فترة زمنية طويلة[1] وبغزوات عديدة وقادة مختلفين وقبائل متنوعة ، مما أدى فى النهاية إلى تأسيس ولايات عدة تتصارع على الزعامة ، وإذا كان الأمر كذلك ، فإننا نجد أن مصر فى فجر العصر التاريخى كانت تنقسم إلى مملكتين متنافستين إحداهما فى الشمال والأخرى فى الجنوب ، ويحكم كلا منهما بيت ملكى وسادة من نفس الجنس ، وعرف كلاهما بأتباع حورس أو «أنصاف الآلهة» طبق ما ورد فى تاريخ مانيتون ، ويبدو أن العاصمتين الأصليتين لهاتين الدولتين كانتا «بوتو» فى الوجه البحرى و«هيراكونبوليس» فى الوجه القبلى ، ولكن عندما تمت الوحدة النهائية كانت أهم المدن الرئيسية فى هاتين القوتين هما «سايس» فى الشمال و«طينة أو أبيدوس» فى الجنوب وهناك من الأسباب مايدعونا إلى الظن بأنه فى تاريخ أسبق هزمت مملكة الشمال مملكة الجنوب وأن ملوك الشمال قد سيطروا على مصر كلها فترة من الزمان غير أن ميزان القوى قد انقلب أخيرا ، وأصبحت الدلتا فى النهاية خاضعة لحكام الوجه القبلى .

---

(١) يرى المؤلف أن هذا الغزو يشبه إلى حد كبير غزو الساكسون لبريطانيا وكانت النتائج متشابهة .

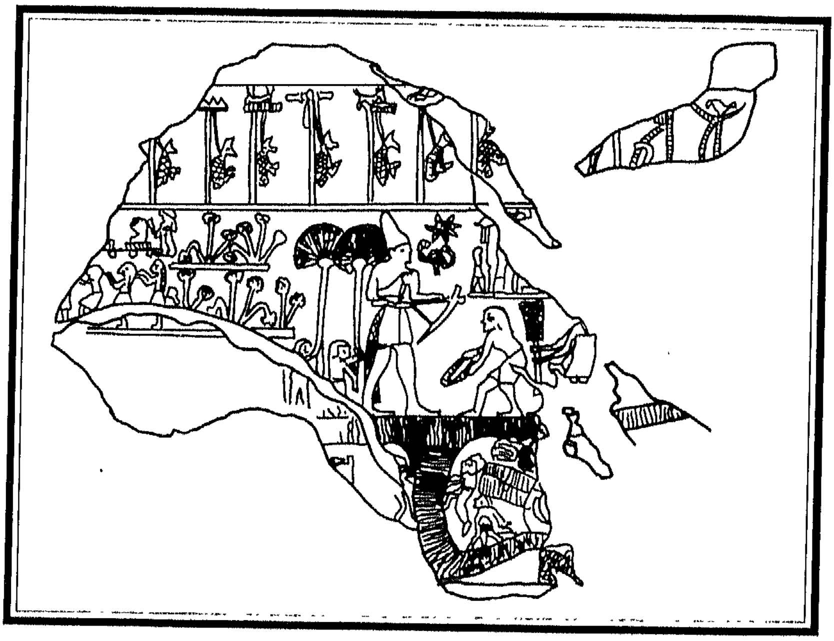


شكل (٢) خريطة مصر قديماً.

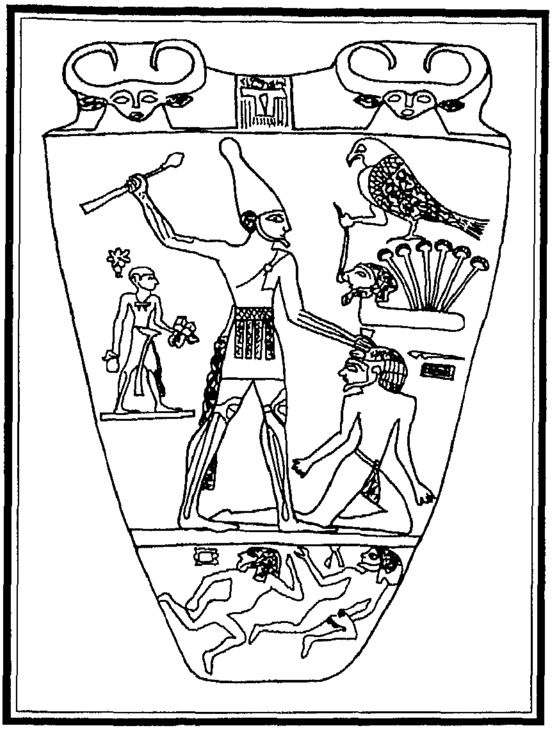
وقد عثرنا فى مدينة هيراكونبوليس ، وهى العاصمة الدينية القديمة للجنوب ، على وثائق الحروب الخاصة بالوحدة ، وأهم هذه الوثائق النقوش المحفورة على رأسى صوبجانين من الحجر الجيرى كانا يستعملان فى الاحتفالات ، وكذلك نقوش وجهى لوحة كبيرة جنائزية من حجر الشست الأخضر ، وهذه الآثار يرجع تاريخها إلى ملكين مختلفين ، ولكنها جميعا تسجل هزيمة الشمال أولا بواسطة ملك يسمى «العقرب» ثم على يد نعرمر ، الذى يعتبره كثير من المؤرخين الملك مينا .

فرأس صولجان الملك العقرب من الحجر الجيرى (شكل ٣) عليه نقوش فى ثلاثة صفوف ، يبين الصف الأول طيورًا ميتة معلقة فى أعلام قبائل الجنوب ، وهذه الطيور تمثل ولايات الشمال المتحالفة ، أما الصف الثانى فإنه يصور الملك لابسا تاج الوجه القبلى الأبيض ، ويقوم بحفر قناة وسط منظر يمثل أفراحًا ، ويرمز هذا بوضوح إلى إعادة تنظيم الدولة ، ونرى فى الصف الثالث رجالا قد انهمكوا فى الأعمال السليمة الزراعية ، وعلى هذا فإن رأس الصولجان تسجل لنا بذلك الانتصار وإعادة التنظيم والسلم .

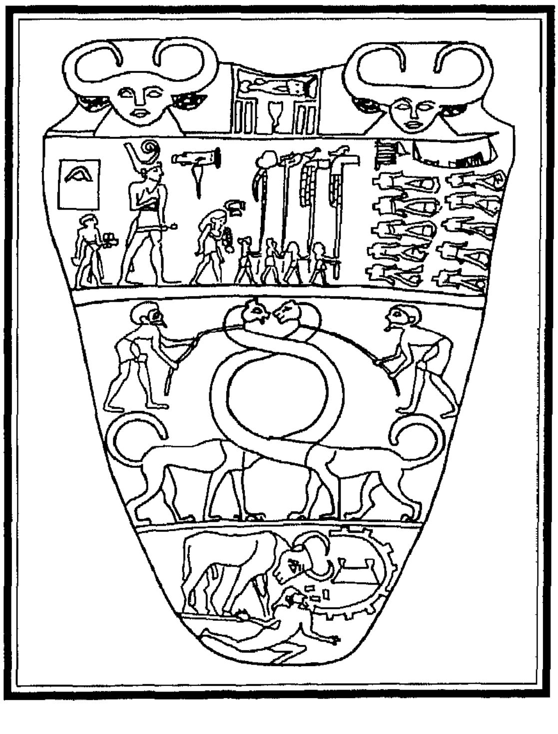
وتمدنا لوحة نعرمر وكذلك رأس الصولجان الثانى الذى يرجع إليه أيضا ، بأدلة أكثر مادية ، ولا يتسرب الشك بأى حال من الأحوال إلى الأحداث التى صورت



(شكل ٣) رأس صولجان أو دبوس قتال الملك العقرب.



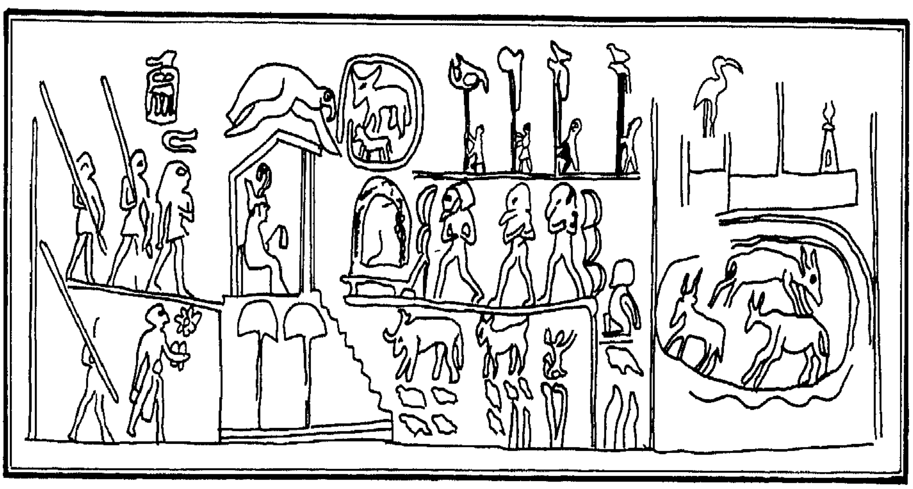
(شكل ٤ ـ أ) لوحة نعرمر (من الوجه)



(شكل ٤ ـ ب) لوحة نعرمر (من الخلف).

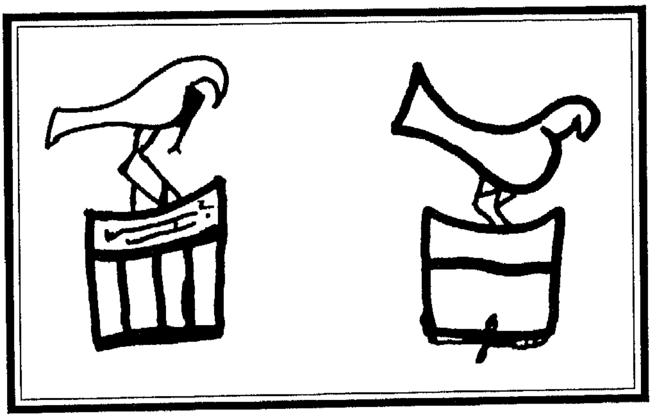
عليها فعلى لوحة نعرمر (شكل ٤ أ و ب) نرى الملك لابسا تاج الوجهين القبلى والبحرى ومن الجلى أنه بهذا يدعى حكم الأرضين ، ونراه سائرًا فى احتفالات ومعه موظفوه وحملة أعلام جيوشه يستعرض جثث أعدائه الشماليين وقد ربطوا بالحبال وقطعت رءوسهم ، كما نراه واقفًا تلك الوقفة التقليدية التى يقفها الفرعون المنتصر ، يهوى بدبوس القتال (الصولجان) على رأس عدوه المطروح أرضًا .

أما رأس الصولجان (شكل ٥) ، فنرى عليه نعرمر لابسا التاج الأحمر لدولة الشمال المهزومة وجالسًا على عرشه تحميه الإلهة نخبيت إلهة هيراكونبوليس فى شكل رخمة ، وأمامه حملة ألوية جيشه وكذلك شخص يجلس فى محفة وأشخاص يمثلون أسرى وأرقام وعلامات تمثل ١٢٠,٠٠٠ رجل ، ٤٠٠,٠٠٠ثور ، ١,٤٢٢,٠٠٠ ماعز وهى غنائم الحرب ، ويفسر بعض المؤرخين صورة الشخص الجالس بأنها صورة رجل ، ولكن بمقارنته بأشخاص مشابهين على بطاقة خشبية «عثر عليها فى سقارة» يتضح عدم احتمال ذلك ، وأن هذه الصورة تمثل سيدة بكل تأكيد ، وقد اقترح أنها أميرة من الشمال وقعت فى الأسر ، ربما اتخذها الملك المنتصر زوجة له ، ومع أن هذا مجرد فرض ، إلا أنه ليس من غير المحتمل بتاتا ، وربما تكون لدينا هنا صورة لاقتران نيت حتب بنعرمر ، فهناك دليل



(شكل ٥) نقش على رأس صولجان الملك نعرمر.

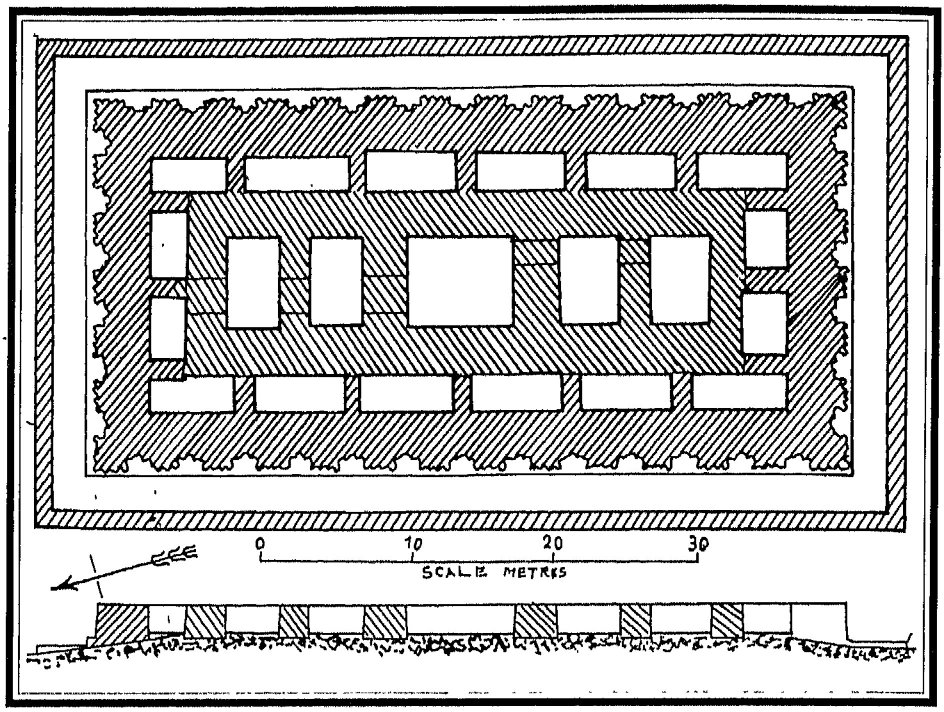
قوى على أن فاتح الشمال قد حاول أن يجعل موقفه شرعيًا باتخاذه أميرة الشمال زوجة له ، ولانعرف إلى أى حد قد عزز نعرمر فتوحاته ، ولكن يلاحظ أننا لم نعثر على مبان كبيرة من عصره شمال مدينة طرخان ، كما أن زوجته الملكة نيت حتب قد دفنت فى الجنوب فى نقادة ، هذا رغم أنه قد وجدت قطعة من الحجر الجيرى عليها شكل يمثل الملكة فى إحدى مقابر حلوان المقابلة لمدينة منف القديمة ، وبالإضافة إلى نشاطه الحربى ، فإن نعرمر قد أرسل بعثات تجارية إلى الصحراء الشرقية ، وقد وجد اسمه على صخور وادى القاش جنوب الطريق التجارى العظيم الذى يربط بين قفط والقصير (شكل ٦) وقد أمكن التحقق من أن مقبرة نعرمر هى المقبرة المعروفة برقم١٠ فى المجموعة الشمالية الغربية من مقابر أبيدوس وهى تتكون من حفرة كبيرة كسيت جوانبها باللبن وطولها الكلى ١١×٩,٤ متر ، وهذه المقبرة فى غاية الضآلة إذا قورنت بمقبرة الملكة نيت حتب فى نقادة ، ونستطيع أن نستنتج أنها لم تكن سوى مقبرته الجنوبية ، وأن المكان الحقيقى الذى دفن فيه لايزال ينتظر الكشف عنه ، ربما فى طرخان أو فى سقارة .



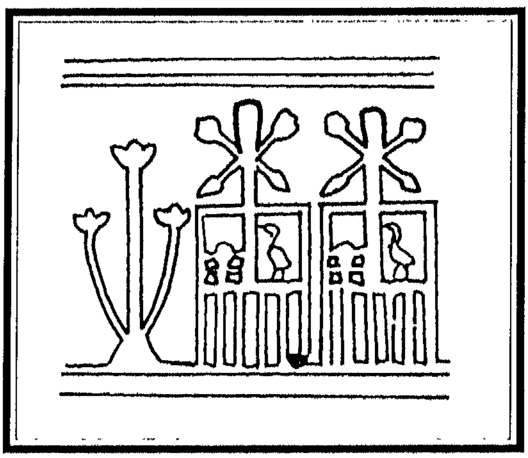
(شكل ٦) نقش نعرمر بوادى القاش.

ومقبرة الملكة (شكل ٧) تعتبر أثرًا رائعًا وأطوالها الكلية ٥٣,٤×٤٦,٧ متر ، ومع أنها أول مقبرة من الطراز الشمالى لها بناء علوى ذو دخلات وخرجات ، إلا أنها أكثر بدائية فى تصميمها من شبيهاتها فى سقارة ، وذلك لأن حجرات الدفن فيها قد بنيت على مستوى الأرض داخل المبانى العلوية ، ومن العجيب أن تضطر الملكة إلى أن تدفن هكذا بعيدا فى الجنوب ، ولايسعنا إلا أن نستخلص من ذلك أنها قد ماتت قبل أن يتم إخضاع الشمال ، ومع أن اسم الملك نعرمر قد وجد على بعض القطع

الأثرية التى عثر عليها فى المقبرة ، إلا أنه يبدو أن ابنها حورعحا هو الذى قام بدفنها ، إذ وجدت قطع عديدة فى هذه المقبرة تحمل اسمه وكذلك أسماء الملكة (شكل ٨) .



(شكل ٧) مسقط أفقى ومسقط رأسى لمقبرة نيت حتب فى نقادة.

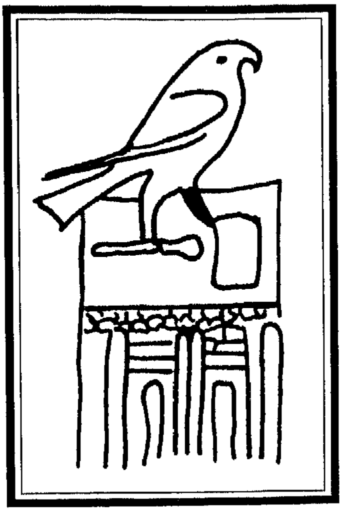


(شكل ٨) الكتابة الموجودة على خاتم إناء للملكة نيت حتب.

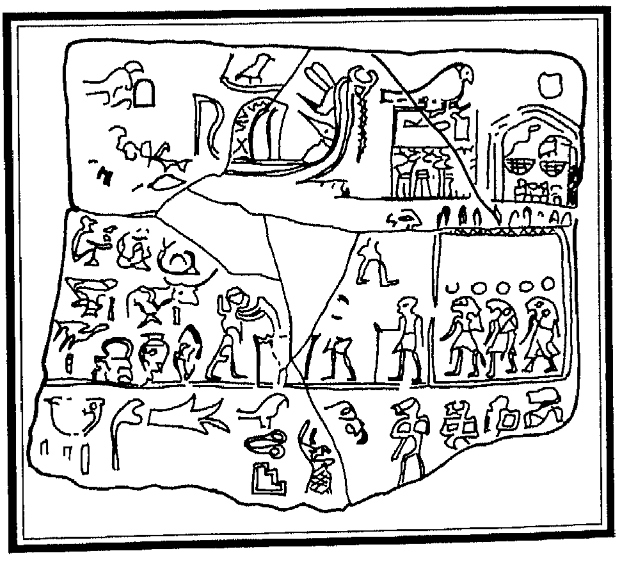
الأسرة الأولى

حورعحا (شكل ٩):

بموت نعرمر آل عرش مصر الموحدة تقريبًا إلى الملك حورعحا ، الذى يعتبر فى رأى المؤلف أول ملك من ملوك الأسرة الأولى ، وربما يكون هو الملك مينا الذى ذكره المؤرخون القدماء ، وقد كان اسمه الأول حورعحا «الصقر المقاتل» بوصفه حاكمًا لشعب حورس فى الوجه القبلى ، ولكنه بوصفه ملكًا للدولتين المتحدتين فقد اتخذ لنفسه اسم «من» «الثابت» مسبوقا بلقب «نبتى» وهذا يرمز إلى الحقيقة التى تعنى أن حامله كان القوة الموحدة لأراضى الشمال والجنوب ، وقد ثبتت العلاقة بين الاسمين عندما عثر فى مقبرة الملكة نيت حتب بنقادة على لوحة صغيرة من العاج ، كتب عليها جنبًا إلى جنب الاسم الحوريسى ، وهو حورعحا والاسم النبتى وهو مينا (شكل ١٠) .



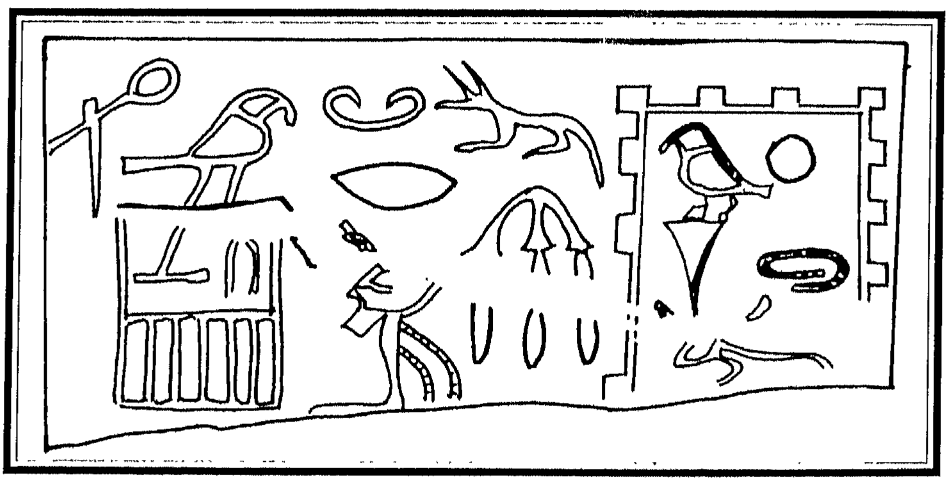
(شكل ٩) الاسم الحوريسى لحورعحا.



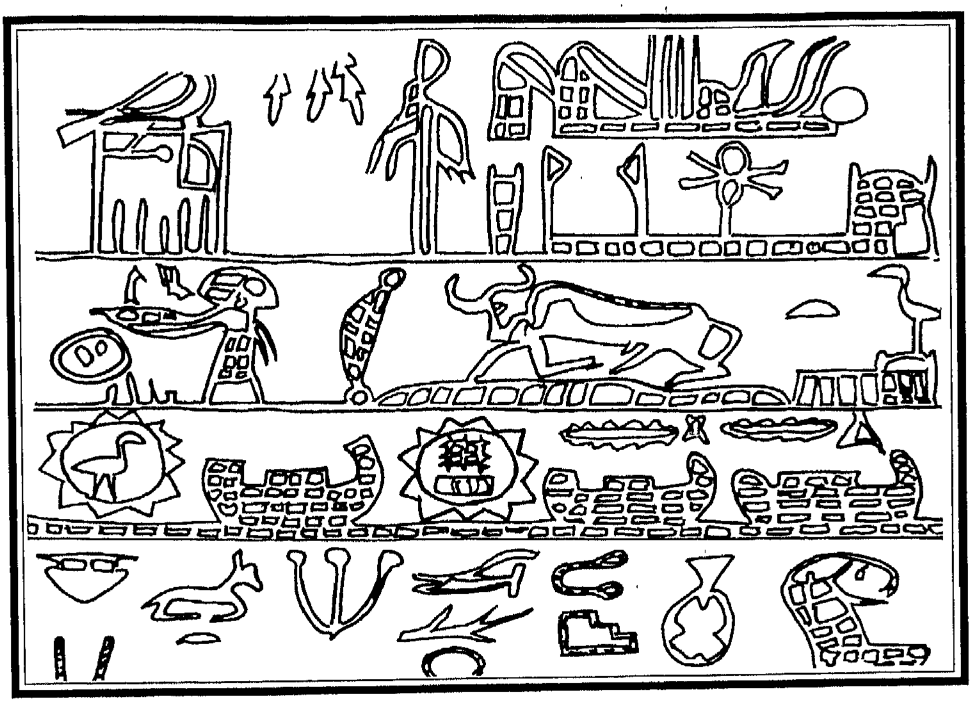
(شكل ١٠) بطاقة عاجية من نقادة.

وقد كان لهذه اللوحة من الأهمية ماحدا بالعالم جارستانج أن يعيد حفر مقبرة نقادة ، وهدفه الأساسى العثور على قطة كانت ناقصة من هذه اللوحة ، وقد نجح نجاحاً ما كان يتوقعه ، ففضلا عن العثور على الجزء الناقص فقد اكتشف جزءاً كبيرًا من لوحة أخرى ذات رسم مشابه ، واستطعنا بفضل هذا الجزء الثانى من اللوحة أن نكمل جزءاً هامًا وسط الصف الأوسط له أهمية تاريخية كبيرة ، ولو أنه يعتبر ثانويًا بالنسبة للاسمين المترابطين اللذين يأتيان بعد لقبى حوريس ونبتى ، ويبدو أن هذا المنظر يمثل بعض الاحتفالات التى أقيمت بمناسبة ذكرى توحيد الأرضين اللتين يمثلهما شخصان يؤديان عملا ما على شىء غير معروف ، وقد كان هذا الاحتفال يسمى «استلام الجنوب والشمال» .

وإذا فرضنا أن حورعحا هو ابن نعرمر من نيت حتب ، فإن حقه فى حكم القطرين فى الجنوب والشمال يكون قائما على أساس متين ، سواء عن طريق الفتح أو عن طريق الميراث ، رغم أنه قد يبدو أن بعض أجزاء الشمال تعارض حكمه ، إلا أن معظم البلاد كانت خاضعة له ، وكان المصريون والليبيون يدينون له بالطاعة وقدموا له الجزية ، وكان بحق ملكا للأرضين ، وساد الهدوء الدولة ، حتى أنه وجه همه نحو الجنوب حيث هزم النوبيين وثبت حكمه فى أعالى النهر حتى الشلال الأول (شكل ١١) ، وكمثل يضرب لسياسته الحكيمة فى تهدئة الوجه البحرى فإن لدينا وثيقة بناء معبد فى مدينة سايس (صا الحجر) للإلهة نيت حامية الشمال (شكل ١٢) .



(شكل ١١) بطاقة خشبية من أبيدوس.

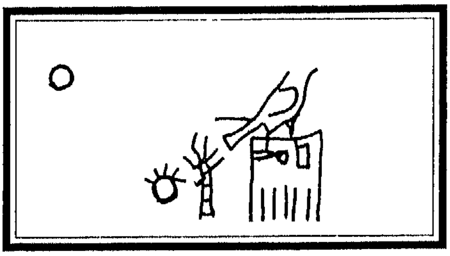


(شكل ١٢) بطاقة خشبية من أبيدوس.

أما أعظم ما أنجزه حورعحا فى مضمار البناء فكان تأسيس عاصمة جديدة لمصر المتحدة فى منطقة تبعد نحو ٢٠ ميلا جنوب رأس الدلتا قريبًا من الحدود الطبيعية بين الشمال والجنوب ، وبناء هذه المدينة التى قدر لها أن تكون مركز الحكم والثقافة لمدة ثلاثة آلاف سنة ، ليعتبر من الأعمال الهندسية العظيمة ، إذ كان من الضرورى تحويل مجرى النيل . ويذكر لنا هيرودوت أن الأمر استدعى تجفيف الأرض من الماء ببناء سد كبير ، وقد سميت العاصمة الجديدة «الحائط الأبيض» ، وعرفت بعد ذلك بمنف ، ومن هذه النقطة الاستراتيجية حكم حورعحا مصر الحديثة العهد بالوحدة ، وهناك فى عاصمته الجديدة بنى معبدًا كبيرًا كرسه للإله بتاح ، الذى ظل المعبود الخاص للمدينة طوال تاريخها الطويل ، وهناك أيضًا على حافة الصحراء وإلى الغرب من المدينة شيد مقبرته الشمالية ، وهى الأولى فى سلسلة طويلة من المبانى الجنائزية التى كان على خلفائه من بعده أن يقوموا ببنائها ، ويقص علينا المؤرخ ديودور عن فرعون مصر الأول قصصا أسطورية قليلة القيمة ومن الصعب تصديقها ، فيقول إن الملك خلال رحلة صيد قام بها فى الفيوم ، قد هاجمته كلاب صيده بخيانة ، ولم ينج منها

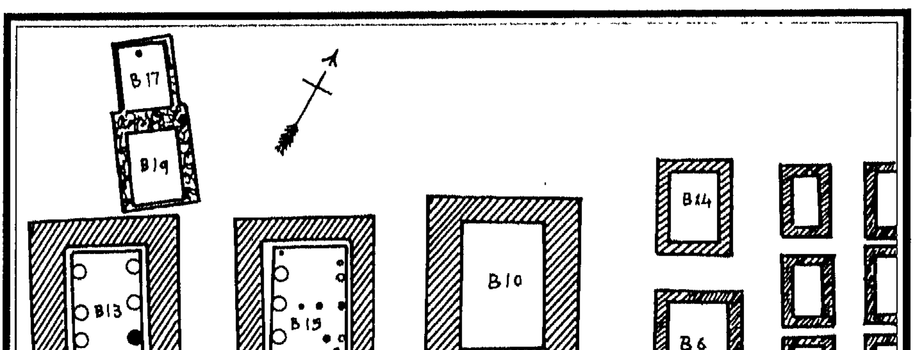
إلا بإلقاء نفسه فى بحيرة موريس ، حيث حمله تمساح إلى الضفة المقابلة ، ولكى يحيى ذكرى هذا الهرب العجيب شيد مدينة هناك وكرس البحيرة للتمساح ، ويذكر ديودور أن الملك أيضا بنى هرمًا ليدفن فيه بجوار هذه البقعة . كما يذكر أن المصريين قد تعلموا أول ما تعلموا كيف يعبدون الآلهة وكيف يعيشون فى حالة متحضرة ، وربما كان ذلك صدى لأعمال التهدئة التى قام بها نحو البلاد بعد فترة طويلة شاعت فيها الفوضى والمذابح خلال الكفاح من أجل الوحدة .

ويذكر مانيتون «رواية أفريكانوس» أن الملك العظيم قد مات فى السنة الثالثة والستين من حكمه بسبب الإصابات التى لحقته من فرس النهر . وليست هذه الرواية بغير المحتملة ، لأننا نعرف أن صيد فرس النهر كان رياضة شغف بها ملوك الأسرة الأولى ، ومع ذلك فيجوز أن تكون هذه القصة رواية أخرى بديلة لقصة التمساح التى ذكرها ديودور .



(شكل ١٣) بطاقة عاجية من أبيدوس.

وقد عثر فى نقادة وأبيدوس على قطع أثرية صغيرة من العاج وبطاقات تحمل اسم بثر ـ أيب الذى يجوز ترجمته «حلو القلب» (شكل ١٣) وقد أمكن التعرف على مقبرة هذا الشخص فى الشمال الغربى من مجموعة أبيدوس (شكل ١٤) وعلى مقربة جدًا من المقبرة المنسوبة إلى حورعحا وعلى ذلك فمن المحتمل أن تكون بثر ـ أيب ملكته .

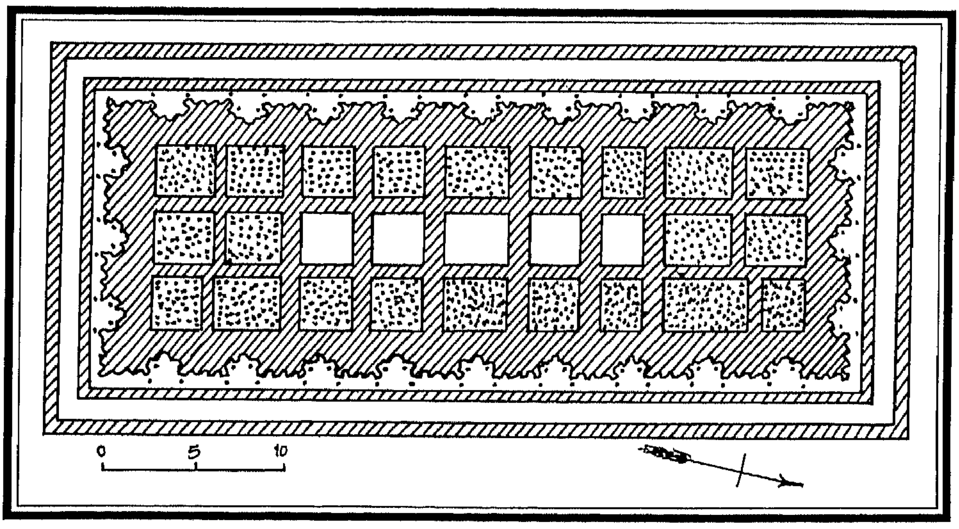


(شكل ١٤) مسقط أفقى للمجموعة الشمالية القريبة من مقابر أبيدوس.

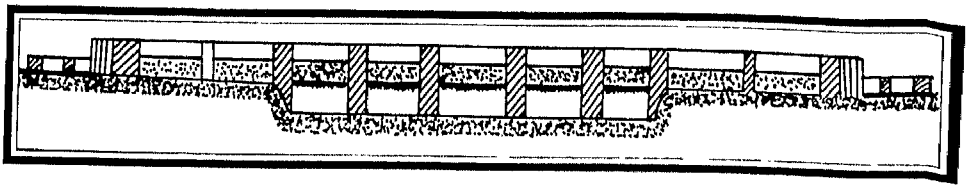
وفيما عدا المقبرة الكبيرة الموجودة فى نقادة ، وهى المقبرة التى ربما بناها حورعحا لوالدته الملكة نيت ـ حتب ، فلايزال يوجد مقبرتان كبيرتان لهذا الملك فى أبيدوس وسقارة يبدو أنهما مقبرتاه الشمالية والجنوبية .

أما عن مقبرة أبيدوس المرقومة برقم ١٩ (شكل ١٤) وهى أكبر مقبرة فى المجموعة الشمالية الغربية فقد أمكن التحقق من أنها مقبرة حورعحا وذلك من القطع الأثرية التى عثر عليها عند عمليات الحفر . وككل مقابر العصر العتيق فى أبيدوس قد أزيلت مبانيها العلوية تماما ولم يبق سوى حجرة كبيرة سفلية كسيت جوانبها باللبن ، ووجدت فى أرضيتها حفر لتثبيت الأعمدة الخشبية التى كانت تحمل سقفها ، وتبلغ الأطوال الكلية لهذه المقبرة شاملة الحوائط الساندة الضخمة ١١,٧×٩,٤ متر ، وقد عثر بترى فى مقبرة صغيرة ملاصقة للمقبرة (ب١٩) على قضيب ذهبى لايعرف الغرض منه ، محفور عليه اسم «حورعحا» .

والمقبرة الشمالية فى سقارة (شكل ١٥ ، ١٦) ، وهى المعروفة برقم ٣٣٥٧ أكبر حجما بكثير ، كما أن عمارتها أكثر روعة ، ومع أنها أصغر من مقبرة الملكة نيت ـ حتب وتشبهها فى التصميم العام ، إلا أنها أتقن صنعًا وتوضح تطورا أحدث لاسيما فى حجرة الدفن السفلية ، وهى تتكون من حفرة كبيرة قطعت فى طبقة الحصى والصخر وقد قسمت إلى خمس حجرات منفصلة بجدران قاطعة وقد كانت هذه الحجرات السفلية مسقوفة بالخشب ويوجد فوقها وعلى مستوى الأرض

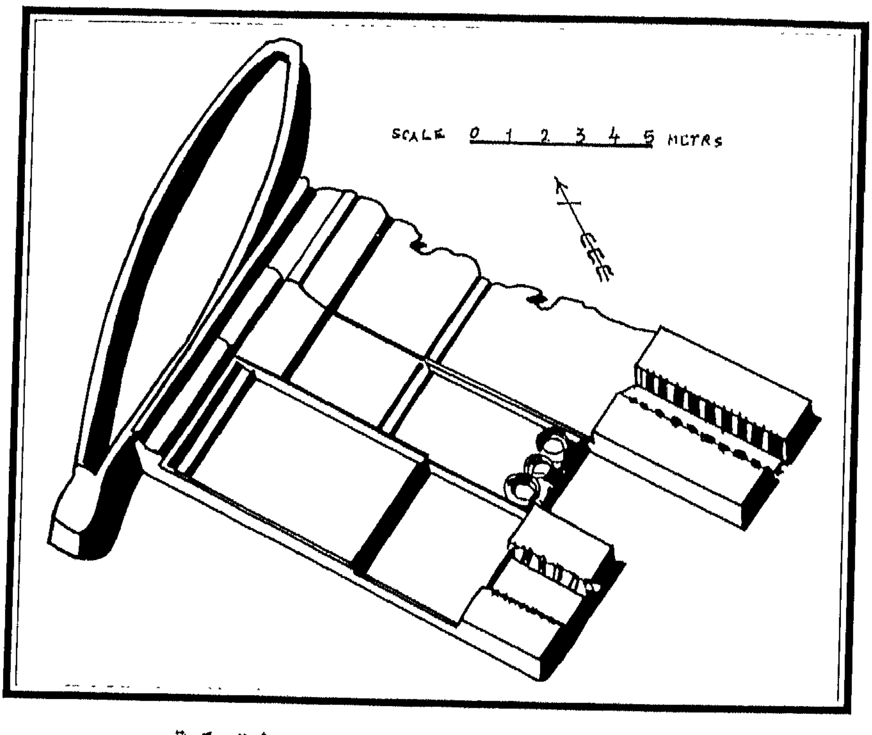


(شكل ١٥) مسقط أفقى للمقبرة ٣٣٥٨ فى سقارة.



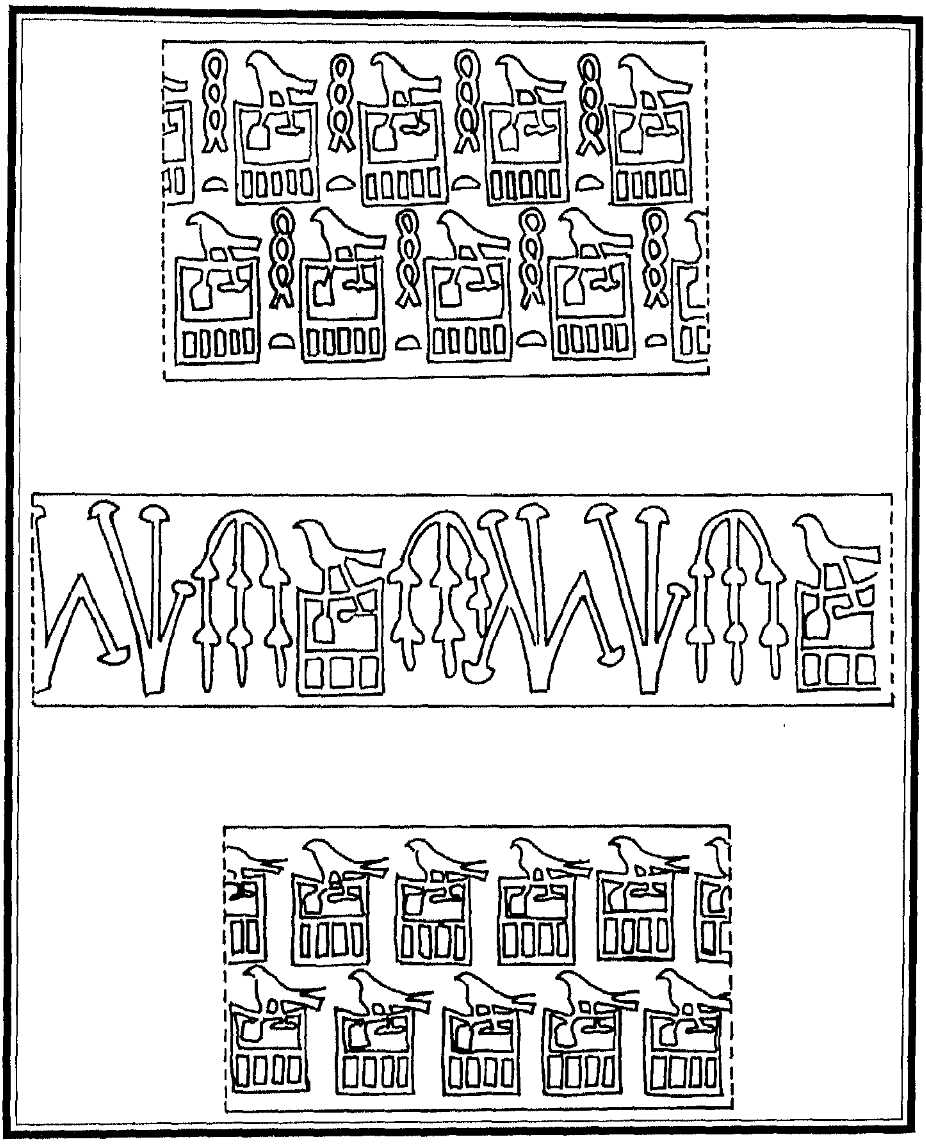
(شكل ١٦) قطاع للمقبرة ٣٣٥٧ فى سقارة.

بناء علوى من اللبن مستطيل الشكل ، وجزؤه الداخلى أجوف ، ومقسم إلى مجموعة من المخازن عددها ٢٧ سبعة وعشرون خصصت لحفظ المعدات الجنائزية الأخرى ، والبناء العلوى مع جدرانه الخارجية المحلاة بدخلات وخرجات والذى يحيط به سوران ، له أطوال كلية مقدارها ٤٨,٢×٢٢ مترا ، وفى الجانب الشمالى للمقبرة كانت هناك مجموعة من المبانى النموذجية الصغيرة وحفرة كبيرة لمركب مبنية باللبن (شكل ١٧) وكان بداخلها فى الأصل مركب شمس مصنوع من الخشب ، بقصد أن تسافر فيه روح الملك العظيم مع الآلهة السماوية فى رحلتها عبر السماوات نهارًا وعبر العالم السفلى ليلاً .

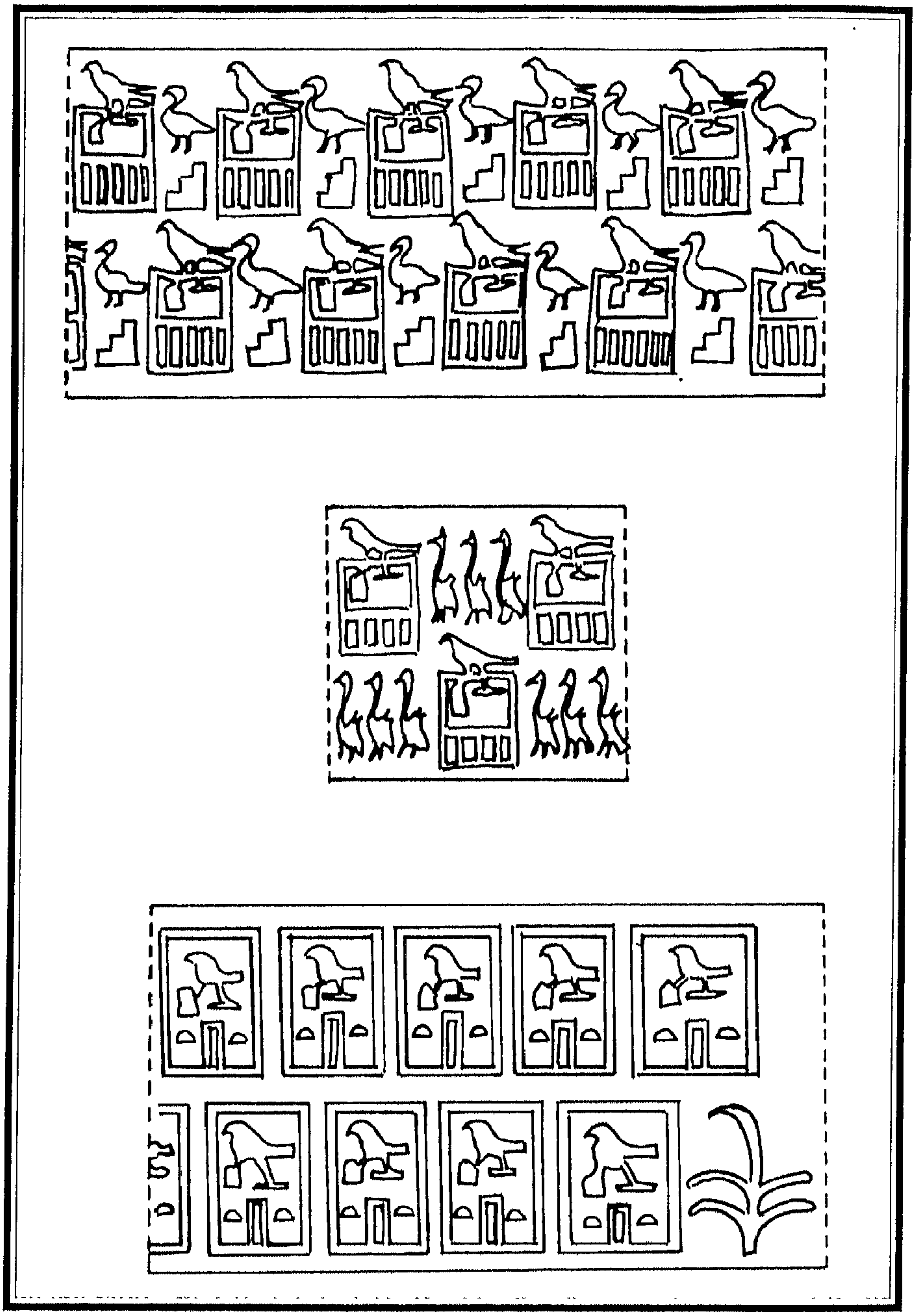


(شكل ١٧) نموذج لمجموعة مبانى حورعحا وحفرة مركبة.

وقد أمدتنا مقبرتا أبيدوس وسقارة بقطع أثرية تحمل اسم حورعحا على بطاقات خشبية فى غالب الأحيان ، وعلى سدادات للأوانى من الصلصال (شكل ١٨) ، وفى مقبرة سقارة عثر على مئآت من الجرار الفخارية الصغيرة تحمل كل منها الاسم الملكى ومحتوياتها .



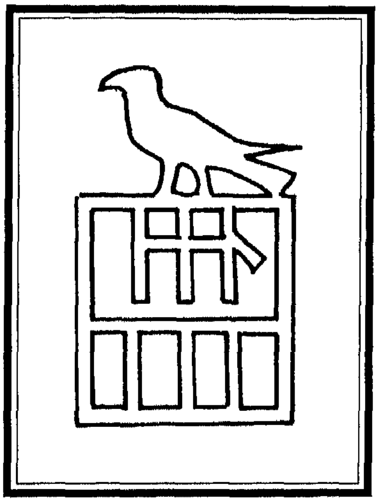
(شكل ١٨ «أ») نماذج أختام جرار مكتوبة للملك حورعحا.



شكل ١٨ « ب ») نماذج أختام جرار مكتوبة للملك حورعحا.

الملك دجر Djer (شكل ١٩)

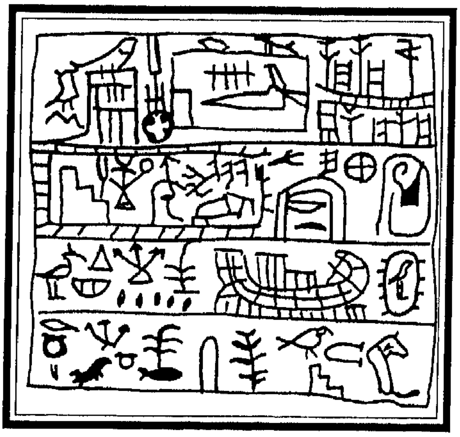
بعد وفاة حورعحا خلفه على عرش البلاد الملك دجر ، وربما يكون هو الحاكم الثانى الذى ذكره مانيتون ، والذى يقرر أنه حكم مدة ٥٧ سبعة وخمسين عاما ، ويروى مانيتون أيضًا أن هذا الملك الذى أطلق عليه إسم «أثوثيس» **Athosis** بنى قصرًا فى منف ، ولأنه كان طبيبا ألف كتبًا فى التشريح كانت لاتزال موجودة فى عهد مانيتون ، أى بعد ذلك بحوالى ٢٨٠٠ سنة .



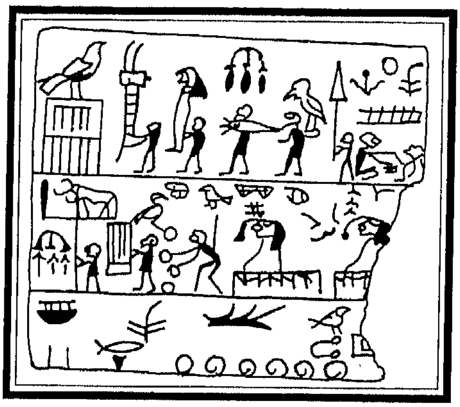
(شكل ١٩) الاسم الحوريسى للملك دجر.

ومن وثائق عصر الملك دجر بطاقتان بالغتا الأهمية ، إحداهما من العاج وقد عثر عليها فى أبيدوس ، والأخرى من الخشب وقد وجدت فى سقارة ، والظاهر أن البطاقات التى من هذا الطراز كانت تشير إلى السلعة التى كانت البطاقة ملتصقة بها ، ولكنها أرخت بإحدى سنى حكم الملك ، وسجلت عليها الحوادث الرئيسية فى تلك الفترة ، وللأسف فإن معلوماتنا عن اللغة المصرية فى العصر العتيق محدودة لدرجة لانستطيع معها الآن إعطاء ترجمة موثوق بها لهذه النصوص التى لايمكن تقدير قيمتها ، ونستطيع فقط أن ننتقى كلمات غريبة ومجموعات من العلامات التى لاتعطينا سوى أكثر التفسيرات غموضًا ، ومن هاتين اللوحتين يبدو أن لوحة أبيدوس

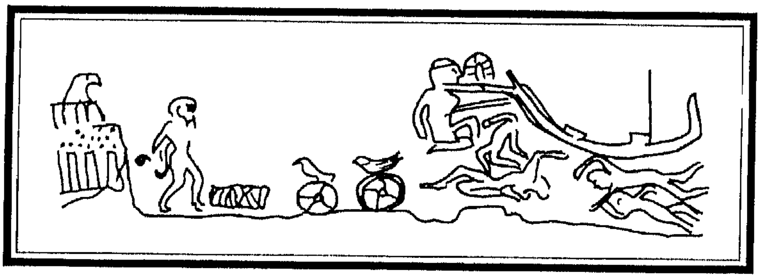
(شكل ٢٠) تسجل زيارة الملك لبلدتى بوتو وسايس(*) وهما البلدتان المقدستان فى الوجه البحرى كما يظهر أن لوحة سقارة (شكل ٢١) تسجل احتفالاً دينياً هاما قدمت فيه ضحايا بشرية . وقد واصل دجر حروب سلفه فى النوبة ، وتوغلت جيوشه جنوبا حتى الشلال الثانى ، إذ يوجد بالقرب من وادى حلفا على الضفة الغربية للنيل نص صخرى (شكل ٢٢) يرينا الاسم الحوريسى للملك دجر وأمامه يقف شخص فى مظهر الأسير ممسك بالقوس وهو علامة تمثل بلاد النوبة ، وهناك أسير آخر يرى مربوطا فى مركب حربى مصرى بأسفله أجسام لأعداء مذبوحين ، ويستحيل البت فيما إذا كان هذا الأثر البدائى يسجل دجر مجرد حملة تأديبية قام بها دجر أم أنه انتصار فعلى ، ولكنه قد عثر فى بلاد النوبة السفلية على أشياء من هذا العصر لايشك فى صناعتها المصرية .



(شكل ٢٠) بطاقة عاجية للملك دجر من أبيدوس.



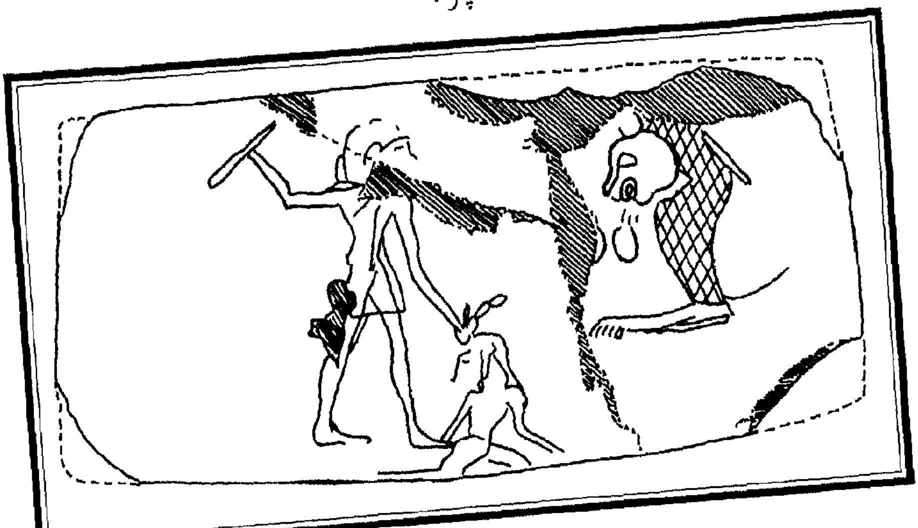
(شكل ٢١) بطاقة خشبية للملك دجر من سقارة.



(شكل ٢٢) نص صخرى للملك دجر.

(*) بوتو هى حاليا تل الفراعين مركز دسوق وسايس هى بلدة صا الحجر مركز بسيون .

ومن الممكن أن يكون دچر قد شن حربًا عند الحدود الشرقية ، إذ وجدت فى مقبرته فى سقارة لوحة من المرمر عليها نقش بدائى يبين الملك فى وقفته المألوفة كفرعون المنتصر يصرع أسيرًا ليبيًا (شكل ٢٣) ، وقد أسفرت الحفائر الحديثة فى سقارة عن الكشف عن مقبرة كبيرة للملكة حور - نيت ، ومما عثر عليه فيها من آثار مكتوبة يمكننا اعتبارها زوجة للملك دچر .

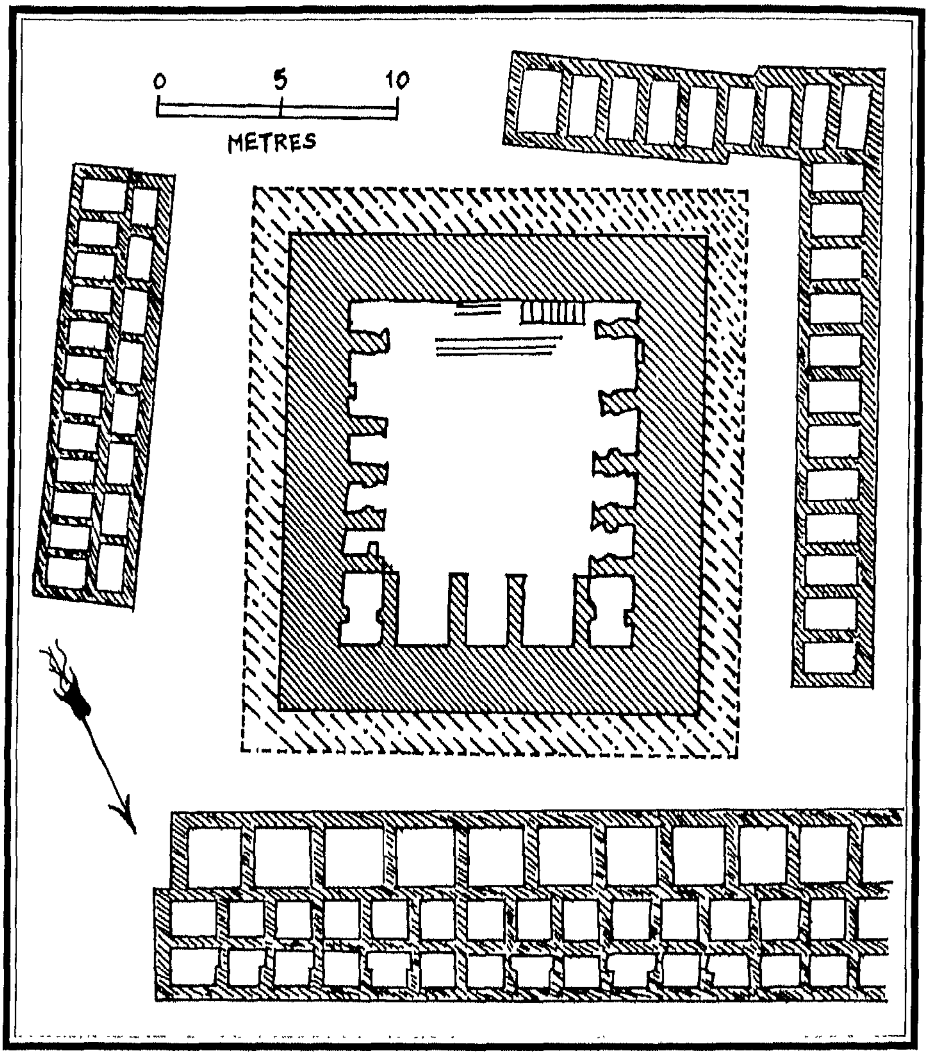


(شكل ٢٢) بطاقة مكتوبة للملك دچر.

واستمر تدعيم وحدة مصر طوال حكم الملك دچر ، إذ لاتوجد أية وثائق عن وجود نزاع داخلى ، بل على العكس هناك ما يصح أن يكون خطوة هامة فى سبيل الرخاء ، ويتبين ذلك من التوسع فى الإنتاج الفنى والصناعى ، ومن أميز أمثلة هذا التوسع تلك الحلى التى اكتشفت فى مقبرة الملك الجنوبية فى أبيدوس ، وكذلك المجموعة الضخمة من الأوانى النحاسية والآلات والأسلحة التى وجدت فى المقبرة الشمالية بسقارة والسكين الظران البديعة ذات المقبض الذهبى المحفوظة الآن فى متحف تورنتو .

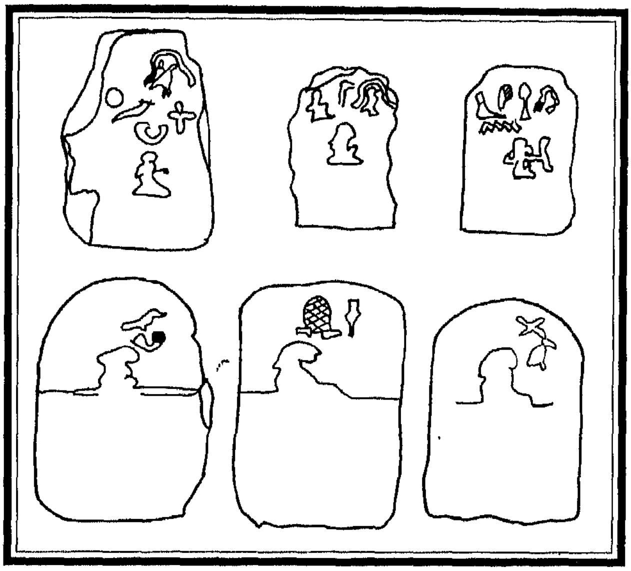
ومقبرة دچر الجنوبية فى أبيدوس (شكل ٢٤) أكبر بكثير من مقبرة سلفه الموجودة بنفس المنطقة ، فهى تتكون من حفرة كبيرة مستطيلة مكسوة باللبن ، ولها مخازن غير منتظمة فى ثلاثة جوانب ، ويظهر أن حجرة الدفن الأصلية كانت مبنية بالخشب ،

وكانت المقبرة كلها فى الأصل مسقوفة بكتل وألواح خشبية ، على أننا لم نعثر على أى أثر للمبنى العلوى ، ولكن الخطوط المنقوطة المبينة على الرسم (شكل ٢٤) توضح المظهر المقترح والممكن قبوله بصفة عامة لما كان عليه البناء العلوى فى الأصل ، وتبلغ الأطوال الكلية لهذه المقبرة بما فى ذلك المبنى العلوى ٢١,٥×٢٠ مترا .



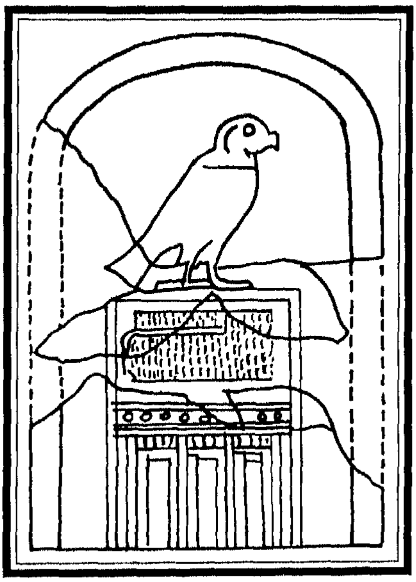
(شكل ٢٤) مسقط أفقى للمقبرة و(O) فى أبيدوس.

وكان يحيط بالمقبرة صفوف من مقابر جانبية عددها ٣٣٨ مقبرة ، حوت رفات الخدم الذين ضحى بهم عند دفن الملك ، وكان معظم هؤلاء الضحايا من النساء ، ووجد مع كثير منهن لوحات حجرية خشنة الصنع تسجل أسماءهن (شكل ٢٥)



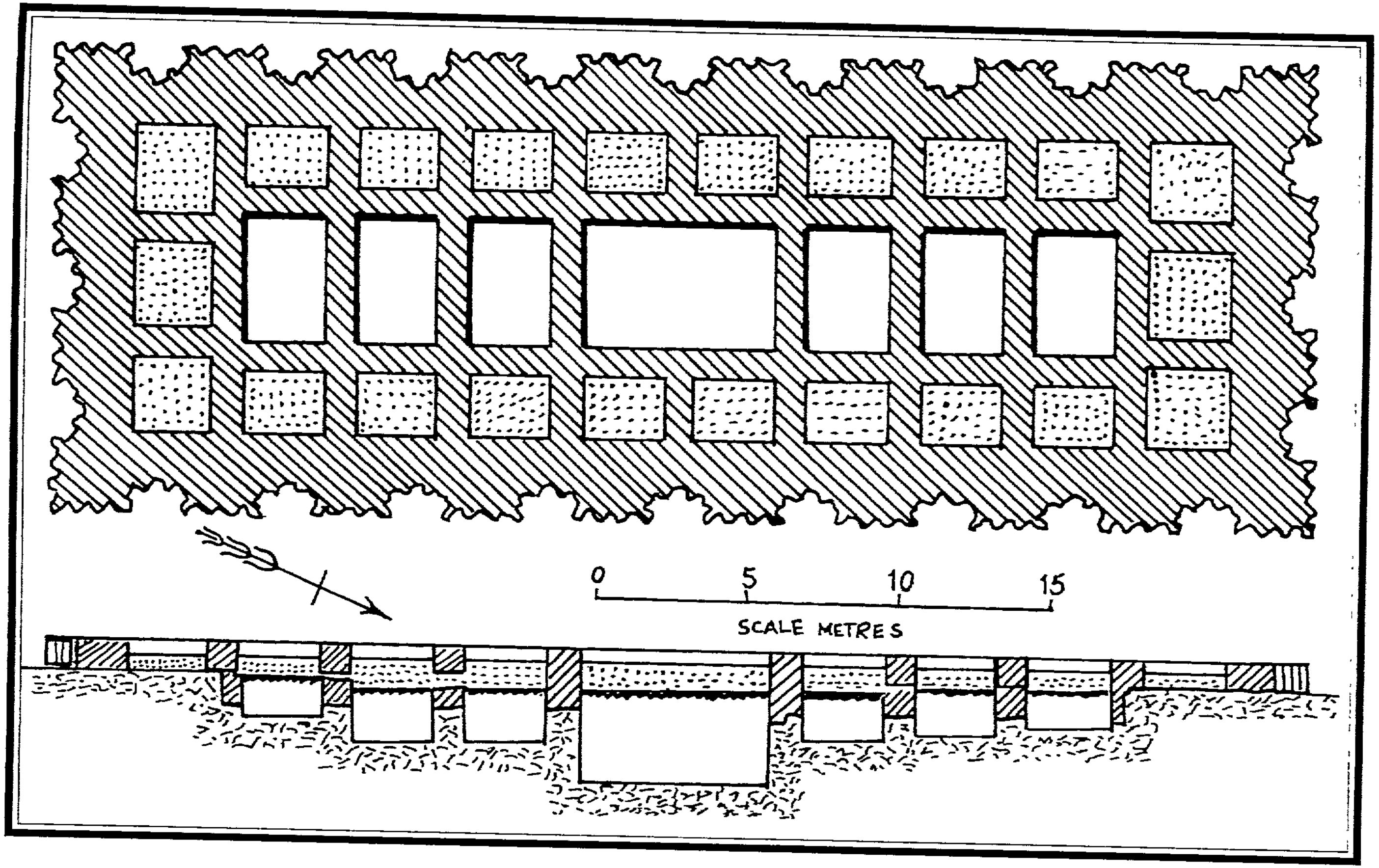
(شكل ٢٥) نماذج لوحات من المدافن الجانبية فى أبيدوس.

وعثر أيضًا فى المقبرة على قطع من اللوحة الملكية الكبيرة (شكل ٢٦) ، ولكن أعجب ما عثر عليه كان تلك الحلى التى أشرنا إليها سابقًا ، والتى تشمل أساور ثمينة من الذهب والفيروز والجمشت واللازورد التى وجدت على عظام ذراع آدمية تركها اللصوص لسبب لايمكن تعليله ، ويزيد فى دهشتنا تغاضى لصوص أتوا بعد ذلك عن هذه الحلى .



(شكل ٢٦) لوحة الملك دجر
التى عثر عليها فى أبيدوس.

أما المقبرة الشمالية فى سقارة والتى يعزوها البعض مؤقتا إلى الملك دجر (شكل ٢٧) فهى أكبر بكثير من مقبرته فى أبيدوس ، وتشبه فى الحجم إلى حد كبير مقبرة حورعحا الشمالية ، ولكنها أكثر إتقانًا وتبين تقدمًا عظيمًا فى تطور العمارة لاسيما فيما يختص بحجرة الدفن السفلية والمخازن السبعة المنحوتة إلى عمق أكبر ، ولم يكشف حول المقبرة عن سياجها أو مقابرها الجانبية ، ومن الممكن أنها دمرت عند بناء مقابر العصور المتأخرة ، وتبلغ الأطوال الكلية للمقبرة ٤١,٣٠×١٥,١٥متر ا .

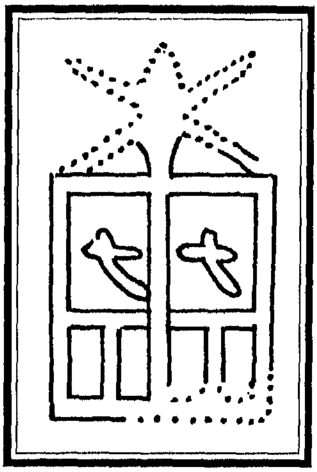


شكل (٢٧) مسقط أفقى ومسقط رأسى للمقبرة ٢٤٧١ فى سقارة.

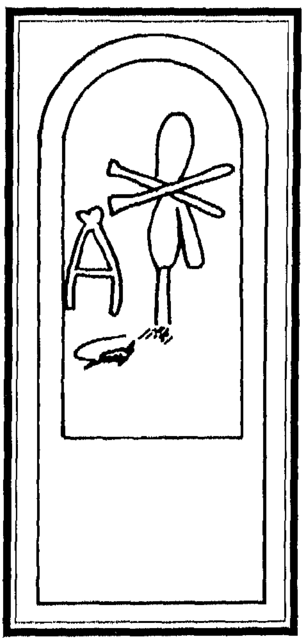
وقد كشف أيضًا فى سقارة عن مقبرة أخرى ذات تصميم ومقاييس مشابهة ، عُثِر فيها على سدادات أوان عليها أختام ، وربما يستنتج من ذلك أنها أيضًا من عصر الملك دجر .

الملكة مريت ـ نيت (شكل ٢٨)

إن الوضع التاريخى والاجتماعى لمريت ـ نيت غير مؤكد ، ولكن هناك ما يحملنا على الفرض بأنها ربما كانت خليفة الملك دجر ، وثالثة ملوك هذه الأسرة ، ذلك لأنه عند الكشف عن المقبرة المرقومة بحرف (ى) فى أبيدوس سنة ١٩٠٠ وجد فيها بترى لوحة كبيرة تحمل اسم مريت ـ نيت فقط دون أن يحيط به واجهة القصر التقليدية التى يعلوها الصقر (شكل ٢٩) ، وكان يعتقد فى ذلك الوقت أن مريت ـ نيت اسم ملك ، ولكن الأبحاث التى أجريت بعد ذلك أوضحت أنه اسم امرأة ، وإذا حكمنا بناء على ثراء المقبرة فإنها تكون ملكية ، ومع أن اسمها ظهر على أوان حجرية وجدت فى المقبرة إلا أنه لم يعثر فيها على أختام سدادات الأوانى باسم مريت ـ نيت ، وإنما وجدت سدادات كثيرة تحمل اسم أوديمو خامس ملوك الأسرة ، وكنتيجة لذلك رأى بعض المؤرخين خطأ أنها زوجته ، ومن المؤكد أن أختام أوديمو دخيلة على هذه المقبرة لأن مقبرته ملاصقة لها ، وبعثرة مثل هذه القطع كان للأسف مظهرًا من مظاهر الحفائر التى أجراها أميللينو ، ومع ذلك فقد كشفت الحفائر الحديثة بسقارة عن مقبرة أخرى يظهر أنها للملكة مريت – نيت ، وذلك لأن النصوص التى وجدت على الأوانى الحجرية وعلى أختام سدادات الأوانى متشابهة مع تلك التى عثر عليها فى أبيدوس ، وأحدها يظهر أنه اسمها داخل واجهة القصر «سرخ» يعلوه سهام نيت المتقاطعة وهذه الأختام تشبه أختام نيت ـ حتب ـ التى عثر عليها فى نقادة (شكل ٢٨) .



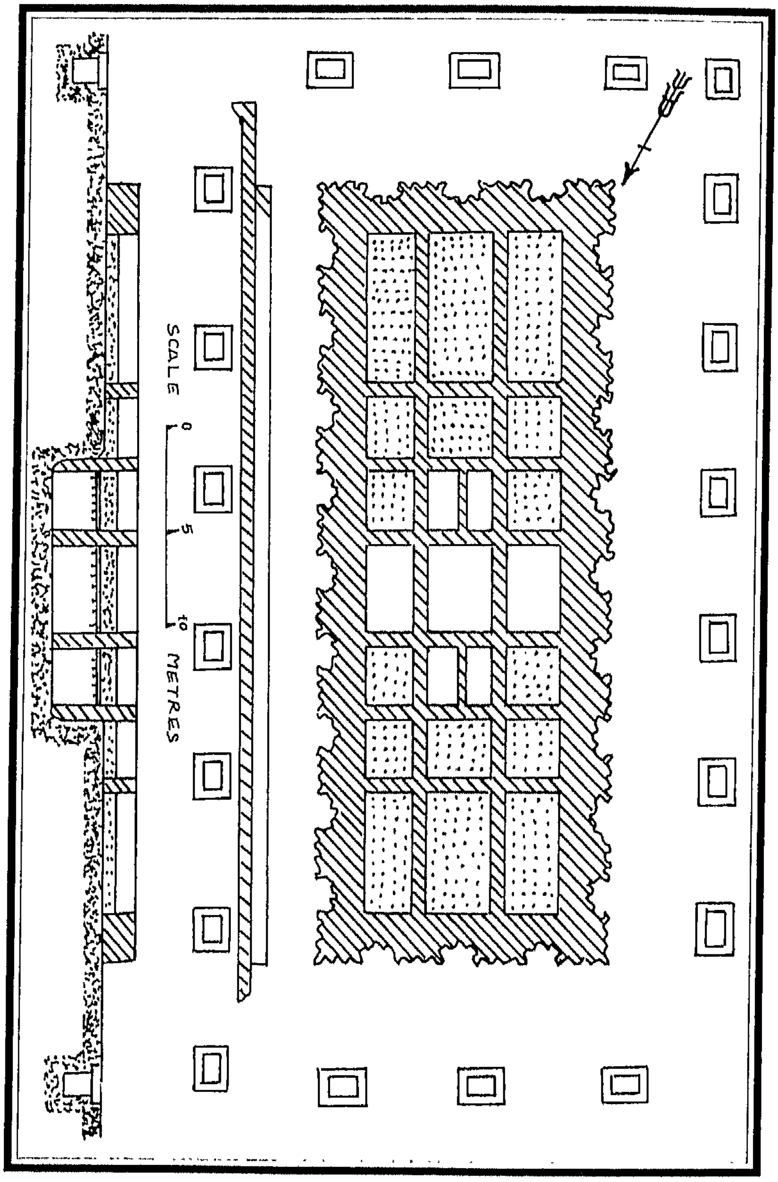
(شكل ٢٨) اسم مريت ـ نيت.



(شكل ٢٩) لوحة مريت ـ نيت من أبيدوس.

ومقبرة سقارة رقم ٣٥٠٣ (شكل ٣٠) أكبر بكثير من مقبرة أبيدوس ويمكن تأريخها استنادًا إلى تصميمها وإلى ما عثر عليه فيها ، إلى أوائل الأسرة بكل تأكيد ، فقد عثر فيها على أختام سدادات للملك دچر الذى يبدو جيدًا أنه قد سبقها فى الحكم .

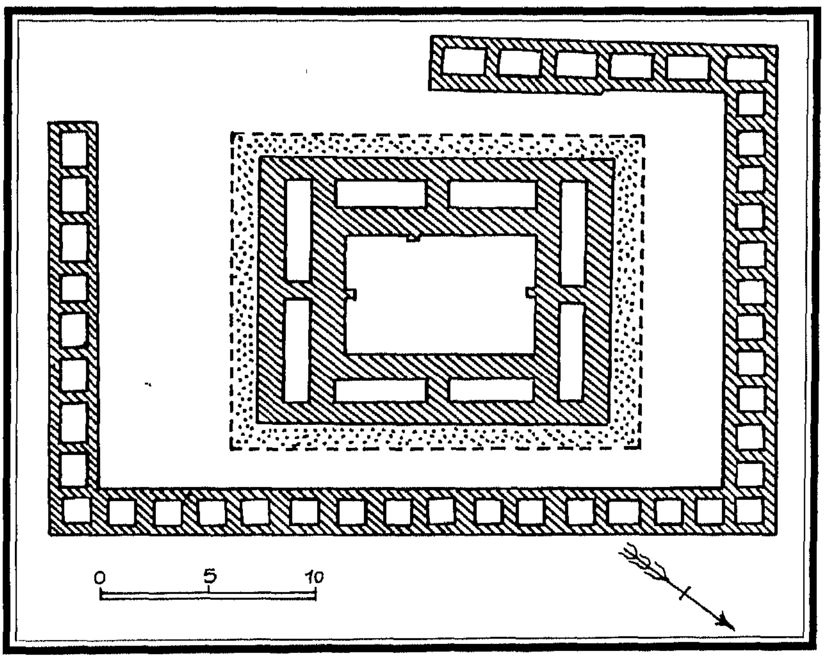
ويشبه البناء العلوى لهذه المقبرة المبانى العلوية فى مقبرتى حورعحا ودچر اللتين تقعان على مقربة منها ، والواقع أن مريت ـ نيت تمتلك وحدها دون كل سيدات الأسرة الملكية



(شكل ٣٠) مسقط أفقى ورأسى للمقبرة ٣٥٠٣ فى سقارة.

مقبرتين كبيرتين ، إحداهما فى أبيدوس والأخرى فى سقارة بجوار مقابر الملوك ، مما يوحى بأنها كانت أكثر من زوجة ، بل ربما كانت هى شخصيا ملكة حاكمة .

ومقبرتها فى أبيدوس (شكل ٣١) تعتبر من أكبر مقابر المجموعة وأحسنها بناء ، وتتكون من حفرة كسيت جوانبها باللبن ، وتقسمها جدران متقاطعة إلى حجرة دفن كبيرة فى الوسط تحيط بها ثمانية مخازن ، وكان البناء السفلى كله فى الأصل مسقوفا بالخشب كما كان لحجرة الدفن أرضية خشبية ، وتبلغ الأطوال الكلية للمقبرة بما فى ذلك البناء العلوى المهدم إذا تخيلنا الصورة التى كان عليها ١٩,٢×١٦,٣متر ، ويحيط بالمقبرة ٤١ قبراً جانبيًا وجد فيها عدد قليل من اللوحات التى تشبه ما عثر عليه فى مقبرة الملك دجر ، ولمقبرة سقارة أيضًا مدافن جانبية تحيط بالبناء العلوى الذى تبلغ أطواله الكلية ٤٢,٦×١٦مترا ، ولهذه المدافن أهمية كبيرة إذ وجد الكثير منها سليمًا ، ويضم أجسام الضحايا من الخدم الذين دفنوا ووضعت مع كل منهم الأدوات التى تشير إلى ما كان يؤديه لسيدته الملكة ، وذلك مثل نماذج قوارب ومعها قبطانها ، وأوانى الطلاء موضوعة مع الفنان ، والأوانى الحجرية ، والآلات البرنزية مع صانع الأوانى ، وغير ذلك .



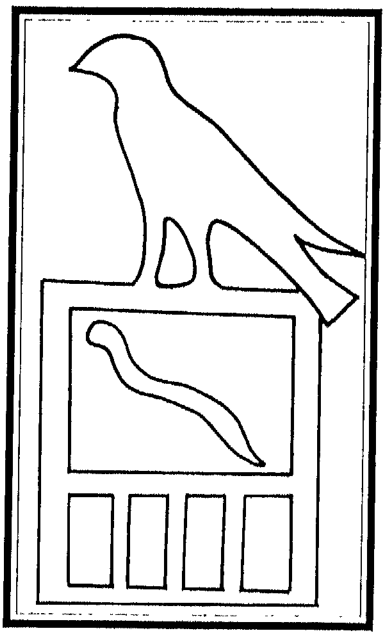
(شكل ٣١) مسقط أفقى للمقبرة ى (Y) فى أبيدوس.

ومثل حورعحا كان للملكة حفرة مركب مبنية باللبن إلى الشمال من مقبرتها ، وكانت أصلا تحوى مركب شمس طوله ١٧,٧٥ متراً ، وذلك لكى تبحر فيه روحها مع إله الشمس .

وبالإضافة إلى مقبرتى أبيدوس وسقارة ، فقد عثر فى أبيدوس على مجموعة أخرى من المدافن عددها ٧٧ مدفنا لخدم مريت ـ نيت سويت فى صفوف منظمة حول الجوانب الثلاثة لمستطيل ، وعلى مقربة من هذا توجد مستطيلات مماثلة لمدافن خدم كل من الملكين دجو وأوادجى ، ولم يتضح لنا بعد بطريقة مرضية المقصود من هذه الجبانات الغريبة ، ولكن يرى البعض أن المدافن قد صفت حول مبان عظيمة اختفت تماماً ، ومهما كان الأمر فيهمنا أننا للمرة الثانية نجد مقبرة للملكة مريت ـ نيت ذات حجم مساو وعلى مقربة من مقابر الملوك ، ونستطيع أن نحكم من اسمها وهو مريت ـ نيت أى «نيت منتصرة» أنها أسوة بالملكة نيت حتب كانت أميرة من الشمال وعلى ذلك كانت عاملا قوياً فى الميزان السياسى فيما بعد الوحدة التى لابد أنها كانت مزعزعة فى ذلك التاريخ المبكر من بدايتها ، وكما أشرنا سابقا ، فإن هذه الوحدة لم تدعم بواسطة حق الفتح فحسب ، بل بواسطة الوحدة الزوجية أيضا .

أوادچى **Uadji** (شكل ٣٢)

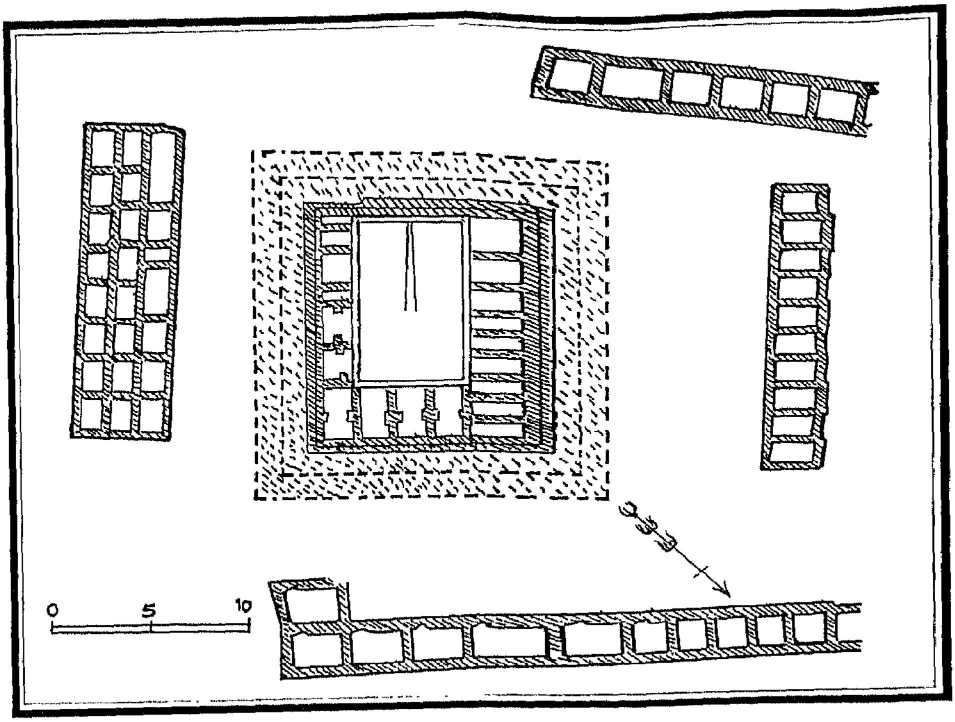
إذا فرضنا أن مريت ـ نيت كانت ملكة حاكمة سواء قبل الملك دچر أو بعده مباشرة فإن أوادجى قد يكون الملك الرابع فى الأسرة ويبدو محتملا إذا فحصنا إحدى بطاقات سقارة المكتوبة ، أن لقب نبتى لهذا الملك كان يسبق الاسم «إيترتى» **Iterti** وهو اسم يجوز أن ينطبق على أى من الأسماء الثانى أو الثالث أو الرابع من الأسماء الموجودة على قائمة ملوك أبيدوس ، ويبدو أيضًا أن إيترتى هو نفس أثوثيس **Athosis** فى عرف مانيتون الذى اعتبره الملك الثانى فى الأسرة ، وهو اعتبار يستحيل قبوله ، بالنسبة لأداوچى الذى


(شكل ٣٢) الاسم الحوريسى لأوادچى.

تولى الملك بعد دچر ومريت ـ نيت ، وقد وجد اسم أوادچى على صخرة طبيعية فى الصحراء الشرقية جنوب إدفو ، يشير إلى إحدى البعثات المرسلة إلى هذه المناجم وربما إلى شاطئ البحر الأحمر ، وخلال حكمه استمر التقدم فى الأعمال المعمارية والفنية ، ومع أن مقبرته الجنوبية فى أبيدوس تمثل تطورًا ضئيلاً بالنسبة إلى مقابر أسلافه المباشرين ، إلا أنه قد كشف حديثاً فى سقارة عن إحدى المقابر العظيمة التى يحتمل أن تكون مقبرته ، وهى تبين خطوة حاسمة للأمام ، سواء فى التصميم أو فى فن البناء .

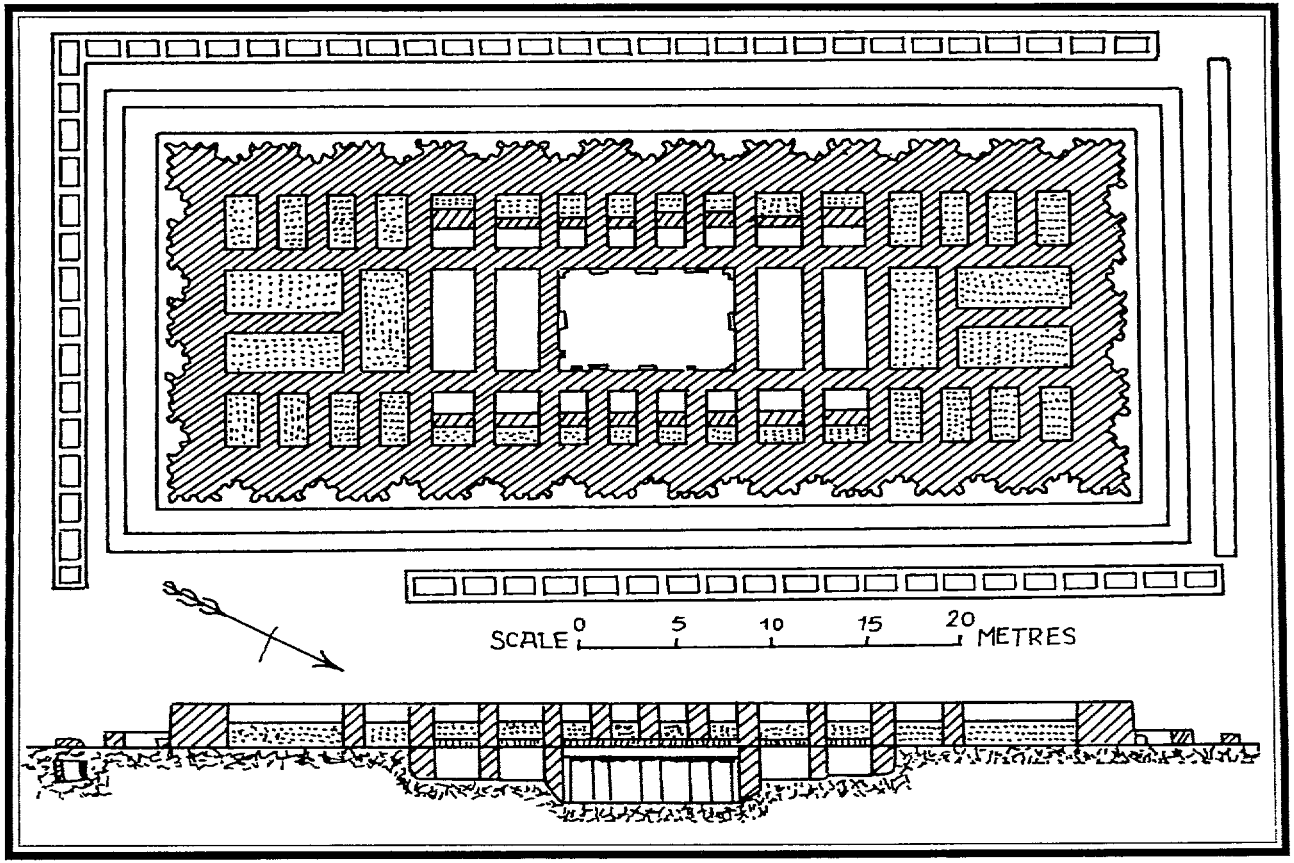
وقد كشف عن لوحة أوادچى الجنائزية فى مقبرة أبيدوس ، ويمكن اعتبار هذه اللوحة أول عمل عظيم فى الفن المصرى وصلنا من مصر القديمة ، وهى توضح كمالا فى التصميم والصناعة تعذر التفوق عليه فى العصور التالية الجوفاء وهى الآن من أعظم كنوز المجموعة المصرية فى متحف اللوفر «لوحة ٢ب» وقد أمدتنا المقبرة الشمالية فى سقارة أيضا بقطع أثرية لها قيمتها الفنية الهامة ، لاسيما تلك المصنوعة من الخشب المنقوش والأثاث وقطع اللعب المصنوعة من العاج ، وهناك شخص يدعى سخم ـ كا ، ربما كان موظفا هامّاً فى ذلك الوقت ، وطالما ظهر اسمه مقرونا باسم الملك على قطع أثرية عثر عليها فى مقبرة سقارة .

وتتكون مقبرة أوادچى الجنوبية فى أبيدوس (شكل ٣٣) من حفرة كبيرة وجدت بها بقايا حجرة دفن خشبية ، يحف بها من ثلاثة جوانب مجموعة من المخازن المبنية باللبن ، وتبلغ أطوال المقبرة كلها مع إضافة البناء العلوى ، كما اقترحنا ترميمه ١٩ × ١٥ مترًا ، وكان يحيط بالمقبرة ١٧٤ مدفناً للضحايا من خدم الملك عثر فيها على نحو عشرين لوحة خاصة من النوع العادى غير المصقول ، وكان للملك أوادچى أسوة بما كان للملكة مريت ـ نيت مستطيل كبير يضم ١٦١ مقبرة للخدم فى الأرض التى هى أكثر انخفاضا فى أبيدوس .



(شكل ٢٣) مسقط أفقى للمقبرة ز (Z) فى أبيدوس.

ويبدو أن المقبرة الكبيرة رقم ٣٥٠٤ فى سقارة (شكل ٣٤ و٣٥) كانت المدفن الشمالى للملك ، مع أن تكرار اسم الموظف الكبير المسمى سخم ـ كا على قطع أثرية عثر عليها فى المقبرة يرجح أن المقبرة له وليست مقبرة الملك ، إلا أنه من المستحيل غالبا أن يتصور الإنسان أن نبيلا مهما كانت عظمته ، يمكن أن يمتلك مقبرة أعظم بكثير من مقبرة سيده ، ذلك أن المقبرة تكاد تكون ضعف مقبرة أبيدوس فى الاتساع ، والتصميم العام للمبنى يمثل تطورًا فى طراز المقابر التى بنيت فى سقارة خلال حكم الملكين حورعحا ودجر ، ولكن فيما عدا هذا فإنها تعتبر أكبر ، وأطوالها الكلية هى ٥٦,٤٥×٢٥,٤٥ متراً ، ويتكون البناء السفلى من حفرة كبيرة نُحتت تحت مستوى الأرض ، وتقسمها جدران متقاطعة إلى خمس حجرات ، الوسطى منها هى حجرة الدفن ، وكان لها فى الأصل لوحات من الخشب المطعم بشرائط من صفائح ذهبية ، ولهذه الحجرات الخمس مجموعة من المخازن المبنية فى الجانبين الشرقى والغربى ، وقد سقف بالخشب كل المبنى السفلى وحجرات الدفن والحجرات الجانبية ، أما البناء العلوى الكبير فقد كان أجوف ، ومقسما إلى ٤٥ مخزنا ، وزين من الخارج بالدخلات والخرجات العادية .



(شكل ٣٤ و٣٥) مسقطان أحدهما أفقى والآخر رأسى للمقبرة ٣٥٠٤ فى سقارة.

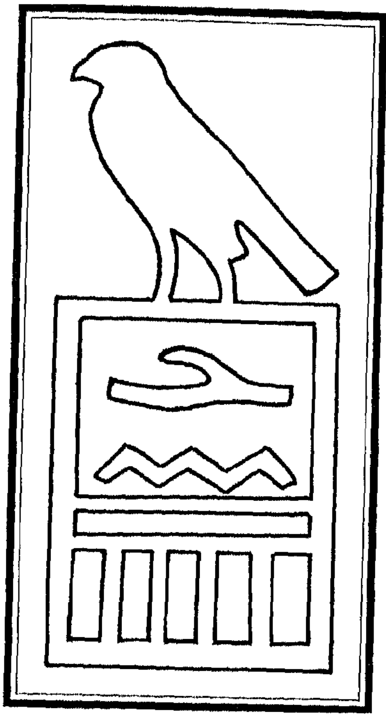
ومن مظاهر هذا البناء العلوى مما لم يعثر عليه فى المقابر الأخرى من الأسرة الأولى ، وجود نضد منخفض يحيط به ، كما صفت عليه نحو ٣٠٠ رأس عجل شُكِّلت من الطين ولها قرون حقيقية (لوحة ٨ ، ٩) ، وكان هناك خارج السور الذى يحيط بالمقبرة اثنان وستون مدفناً للخدم ، لكل منها بناؤه العلوى الخاص ، ومثلما حدث بكل المقابر الملكية الأخرى تقريبا فى الأسرة الأولى ، دمرت النيران حجرة الدفن والحجرات السفلية ، ولكن الملك قاعا آخر ملوك هذه الأسرة قام بترميم مادمر فى هذه المقبرة ، ولموضوع تدمير المدافن الملكية بالنيران أهمية خاصة ، سوف نبحثها فيما بعد فى هذا المجمل التاريخى .

وقد كشف فى الجيزة عن مقبرة أخرى عظيمة من عصر الملك أوادچى وهى أكثر تحطيما ، ولكنها تشبه تقريبا فى ضخامتها مقبرة سقارة ، ومن الممكن أن تعزى هذه المقبرة إلى زوجته التى لم يعرف اسمها ،وهذه المقبرة مثل مقابر سقارة وأبيدوس ، كانت محاطة بمدافن الضحايا والخدم .

وقد ذكر مانيتون أن الملك الرابع ويسميه ينيفيس **Uenephes** قد حكم ثلاثة وعشرين عاما «أفريكانوس» أو اثنين وأربعين عاما «يوزبيوس» .

ويقص علينا المؤرخ المصرى مانيتون أنه خلال حكم هذا الملك قاست مصر من قحط كبير ، وأنه قد بنى هرمًا بالقرب من كوشيمى **Kochimei** وهى منطقة عرفت الآن بأنها سقارة .

أوديمو Udimu (شكل ٣٦)



(شكل ٣٦) الاسم الحوريسى لأوديمو.

باعتلاء «أوديمو» خليفة أوادجى عرش البلاد ، أصبحت الوثائق والمواد التاريخية أكثر وضوحا ، كما بدأت تظهر أدلة أقرب إلى الحقيقة ، ونذكر على سبيل المثال ما أكده نص وُجد مكتوباً على إناء حجرى فى هرم سقارة المدرج من تسلسل أوديمو وخلفائه فى الأسرة الأولى على العرش ، حيث حفر على هذه القطعة الهامة الأسماء الثانوية لأوديمو وعندج - أيب وسمرخت وقاعا فى تسلسلهم المتفق عليه ، ويمتاز أوديمو عن أسلافه بأننا نعرف اسمه الذى يلحق نيسو - بيت «ملك الوجه القبلى والبحرى» وهو «سمتى» **Semti** وبهذا يكون من الممكن اعتباره «حسبتى»[1] الذى ذكرته قائمة أبيدوس ، أو الملك أوسافيدوس[2] الذى ذكره مانيتون ، والذى يقول عنه إنه حكم مدة عشرين عاما ، ويزودنا العديد من البطاقات المكتوبة وأختام الجرار بيانات عن حوادث بعضها يبدو مكررًا فى الجدول السنوى لأحد الملوك غير المعروفين على حجر بالرمو ، وقد نستطيع أن نستنتج من ذلك بأن هذه السجلات التاريخية القصيرة التى كتبت فى الأسرة الخامسة تشير إلى حكم الملك أوديمو ، وقد سجلت الحوادث الرئيسية لمدة أربع عشرة سنة ، ومن موضعها على الحجر يبدو أنها حدثت فى النصف الأخير من حكمه .

فالسنة س+٢ تسجل هزيمة البدو كما ترينا لوحة عاجية من أبيدوس الملك أوديمو فى وقفته التقليدية كفرعون منتصر يضرب زعيما لهؤلاء البرابرة مع عبارة «أول مرة لضرب الشرق» ، وكانت الحرب ضد سكان الصحراء الشرقية ضرورية لتأمين الطرق التجارية فى وادى المغارة لاستيراد النحاس والدهنج من مناجم سيناء وهى مواد بالغة الأهمية .

---

(١) Hesepti (٢) Usaphaidos

والسنة س+٣ تسجل مهرجانات تسمى «ظهور ملك الوجه القبلى» ثم «ظهور ملك الوجه البحرى» ، والاحتفال بالعيد الثلاثينى للملك وهو المعروف بعيد «سد» وهذا الاحتفال كان إحياء للزمن الذى لم يكن مسموحًا للحاكم فيه أن يتخطى مدة ثلاثين سنة ، ولكن بحلول الأسرة الأولى تطورت هذه العادة إلى عيد ثلاثينى واحتفال سحرى ، كان الملك يجدد فيه صباه ويستمر فى الحكم وهناك لوحة أخرى من أبيدوس وخاتم سدادة من الطين من سقارة يسجلان أيضا هذه الحوادث .

والسنة س+٤ تسجل إحصاء لجميع سكان المقاطعات فى الغرب والشمال والشرق ، كما تذكر السنة س+٥ الحلول الثانى لعيد الإلهة أواجيت ، المعبودة الحامية لمدينة بوتو ، وهى إحدى المدن الرئيسية فى الوجه البحرى .

والسنتان س+٦ ، ٧ تذكران تصميم ووضع أساس قصر أو معبد يسمى «عروش الآلهة» وفى السنة س+٨ يذكر افتتاح البحيرة المتصلة بهذا المبنى ، وفى هذه السنة أيضا سجلت حادثة صيد فرس النهر ، وهى حادثة ذات أهمية كبيرة جاء ذكرها أيضا على ختم سدادة إناء عثر عليه فى أبيدوس .

والسنة س+٩ تسجل مقراً من المفروض أنه خاص بالملك عند بحيرة الإلهة حرسافيس فى هيرافليوبوليس (إهناسيا) ويبدو أن هذا أيضا قد سجل على بطاقة من أبيدوس رسم عليها هيكل المعبود .

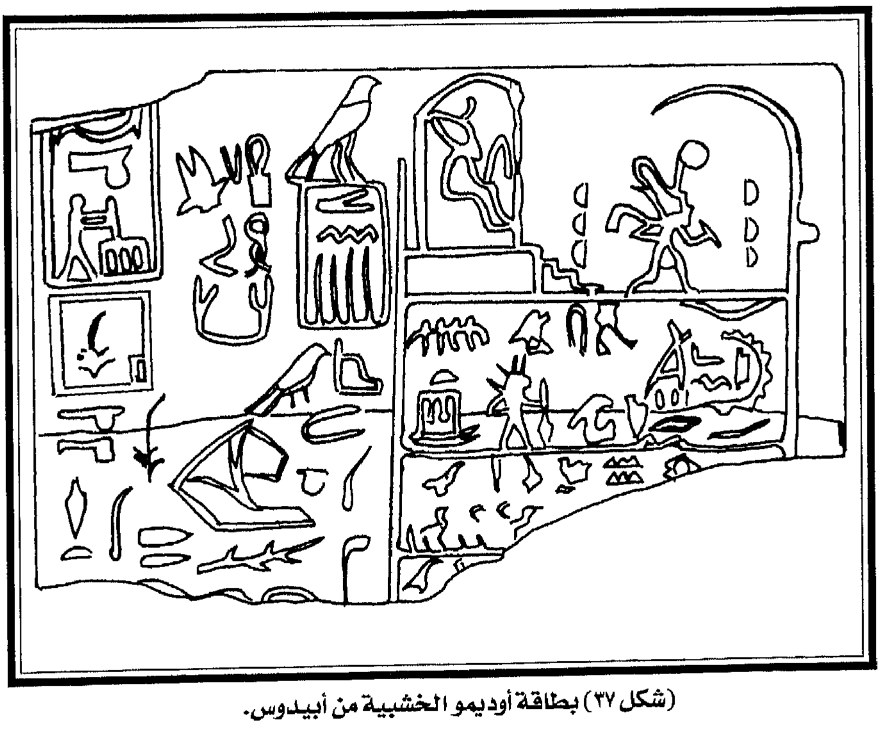
والسنة س+١٠ تسجل تدميرًا حربيًا لمنطقة غير معروفة تسمى «وركا» والسنة س+١١ تحدد فيها احتفال يقال له ميلاد الإله سد .

والسنة س+١٢ تسجل احتفالا يسمى «ظهور ملك الوجه البحرى» وكذلك «الحلول الأولى لجرى أبيس» وهذه الحادثة الأخيرة لها أهمية عظيمة ، حيث نجد أنها تظهر أيضا على ختم سدادة إناء من سقارة ، والاحتفال «بجرى أبيس» يظهر أنه كان من طقوس الإخصاب التى كانت مرتبطة برباط وثيق باحتفال عيد سد «انظر الفصل٢» .

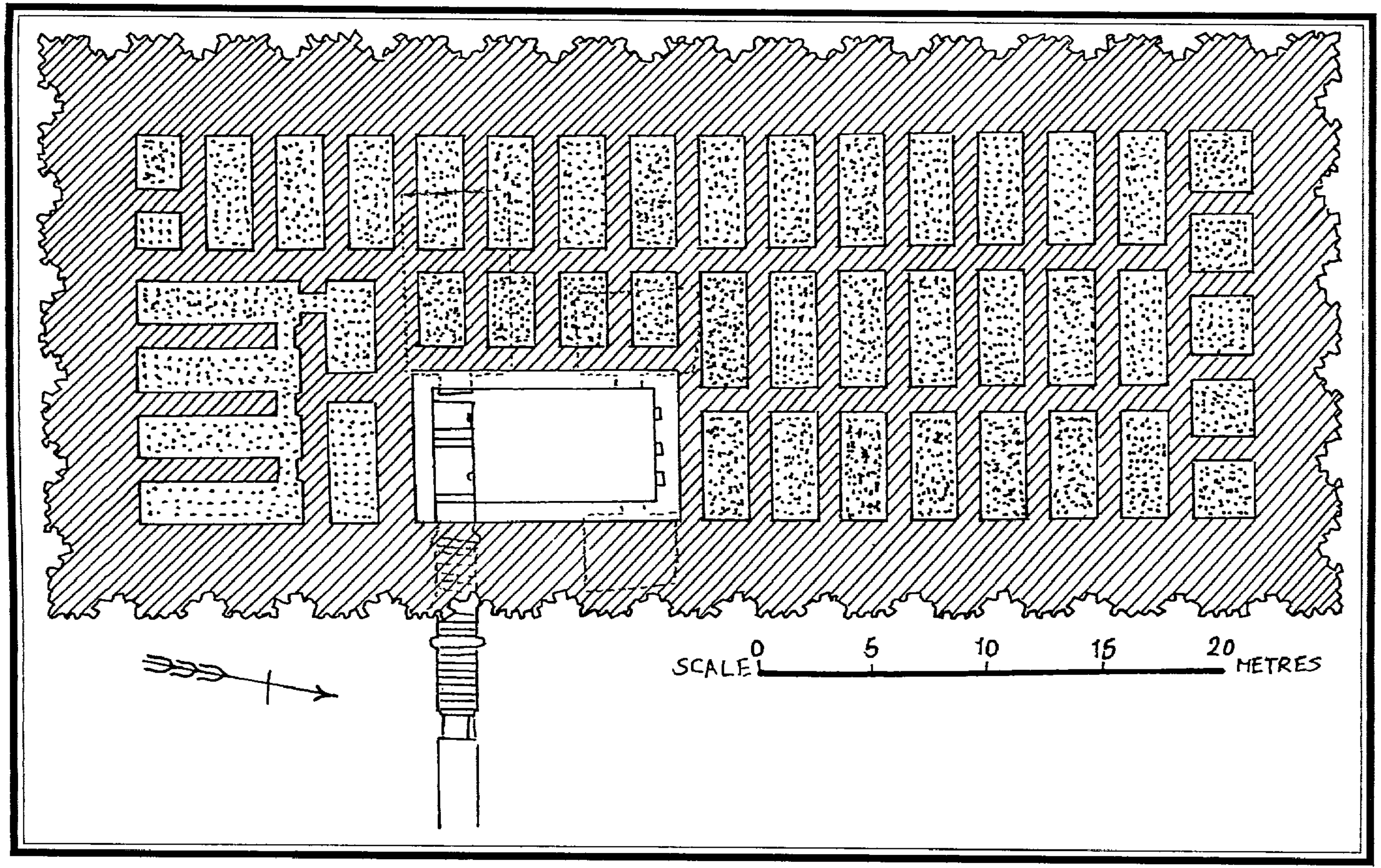
والسنتان س+١٣ ، ١٤ تسجلان احتفالات الألهة «سشات» ومفدت **Mefdet** وظهور ملك الوجه القبلى .

وللأسف تنتهى قطعة حجر بالرمو عند هذه النقطة ولاتعطينا حلاً لبدء الحكم أو نهايته .

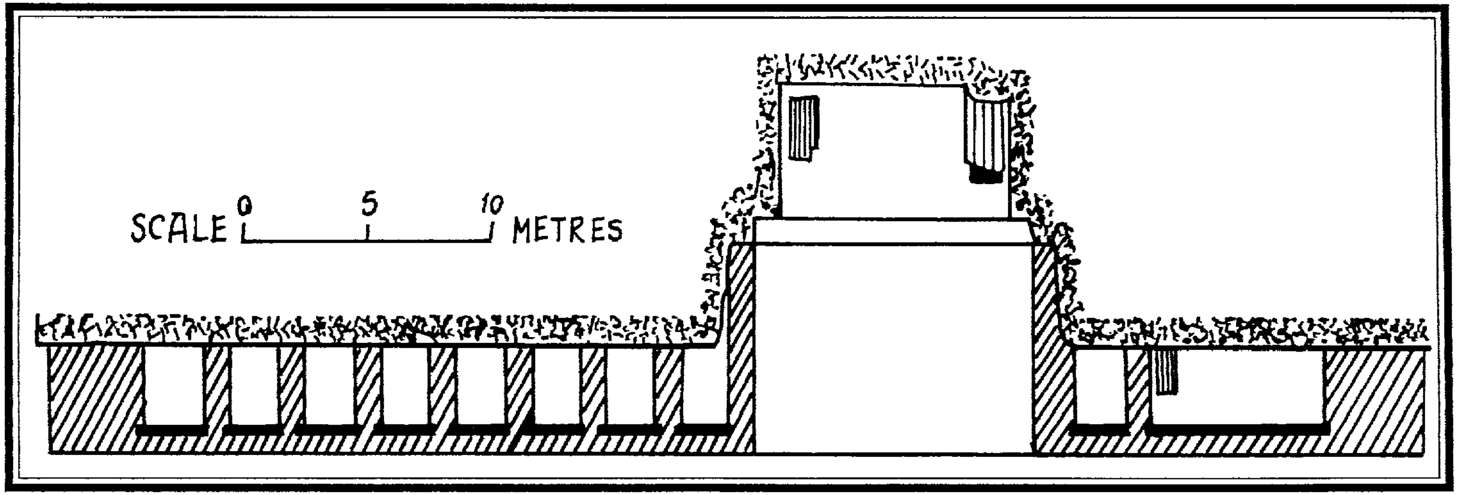
ونلمس فى حكم أوديمو تقدمًا مطردًا فى الفنون والحرف ، ودليلاً واضحاً على حالة التحضر فى ظل حكومة حسنة التنظيم ، وقد قام نبيل يسمى حماكا بدور هام فى هذه الحكومة ، حيث كان كبيرًا للقضاة وله مكانة مرموقة ويحمل لقب «المسيطر على قلب الملك» ويظهر اسم هذا النبيل العظيم مرارًا على بطاقات (شكل٣٧) وعلى أختام السدادات من أبيدوس وسقارة ، كما يظهر عليها أيضا اسم آخر لموظف كبير فى هذا العصر يسمى «عنخ كا» ، وقد كشف فى سقارة فى سنة ١٩٣٥ على مقبرة كبيرة ، ظن حينذاك أنها مثوى حماكا ، ولكن الاكتشافات الحديثة فى مقبرة أخرى فى سقارة قد بينت على وجه التأكيد خطأ هذا الظن ، وأنه من الواجب الآن أن تعتبر هذه المقبرة الكبيرة رقم (٣٠٣٥ شكل ٣٨) أنها لم تكن مقبرة كبير القضاة ، ولكنها الضريح الشمالى للملك أوديمو ، ومهما كان الأمر فإنها تعتبر أكبر مقبرة من عصر هذا الملك ، وحجمها يكبر بكثير عن حجم مقبرة الملك الجنوبية فى أبيدوس ، وتبلغ الأطوال الكلية للمقبرة ٥٧,٣×٢٦متر ، وتحتوى على بناء سفلى من ثلاث حجرات منحوتة فى الصخر تفتح على حفرة كبيرة مكشوفة كان لها فى الأصل سقف من الخشب (شكل٣٩) .



(شكل ٣٧) بطاقة أوديمو الخشبية من أبيدوس.



(شكل ٣٨) مسقط أفقى للمقبرة ٢٠٣٥ فى سقارة.



(شكل ٣٩) مسقط رأسي للمقبرة ٢٠٢٥ في سقارة.

وقد كان الوصول إلى البناء السفلى عن طريق درج منحدر تحت الأرض ، أغلق على مسافات بواسطة سدادات حجرية مستطيلة ، كانت توضع فى أماكنها بعد الدفن ، وكان يوجد فى الجزء العلوى بناء مستطيل مبنى باللبن يحوى ٤٥ مخزنا ، وله جدران خارجية بنيت كالعادة بطريقة الدخلات والخرجات ، وبعض هذه المخازن قد نجا من سطو اللصوص القدماء ، وكشف عنها سليمة مع مجموعة من القطع الأثرية التى ظلت حيث هى لم تلمسها يد إنسان مدة ٥٠٠٠ سنة ، ووجدت بكثرة آلات وأسلحة ولعب وأوان من البلور الصخرى والمرمر والشيست ، وهى تكون حاليا أكبر مجموعة كشف عنها من آثار العصر العتيق .

ومع أن مقبرة أوديمو فى أبيدوس (شكل ٤٠) أصغر بكثير من مقبرة سقارة إلا أنها تدل على تقدم معمارى كبير ، وإذا قورنت بمقابر الملوك السابقين كانت عمارتها أعظم تأثيرًا ، وبها مثل مقبرة سقارة درج ينحدر إلى أسفل حيث يؤدى إلى حفرة كبيرة كانت مسقوفة أصلاً بالخشب ولها أرضية من كتل الجرانيت ، وقد اختفى البناء العلوى تمامًا ، ولكن من المحتمل أن أطواله كانت ٢٣,٥×١٦,٤ متر ، ويحيط بالمقبرة نحو ١٣٦ مدفنًا للخدم ، منها ما كان يضم رفات رجال ونساء ، وجد فيها الكثير من اللوحات العادية الخشنة الصنع ، كما عثر على أختام جرار للملك أوديمو في المقبرة التى ظن أنها للملكة «حرنيت» زوجة الملك دجر ، ولا يوجد أدنى شك فى أنها دفنت خلال حكمه .

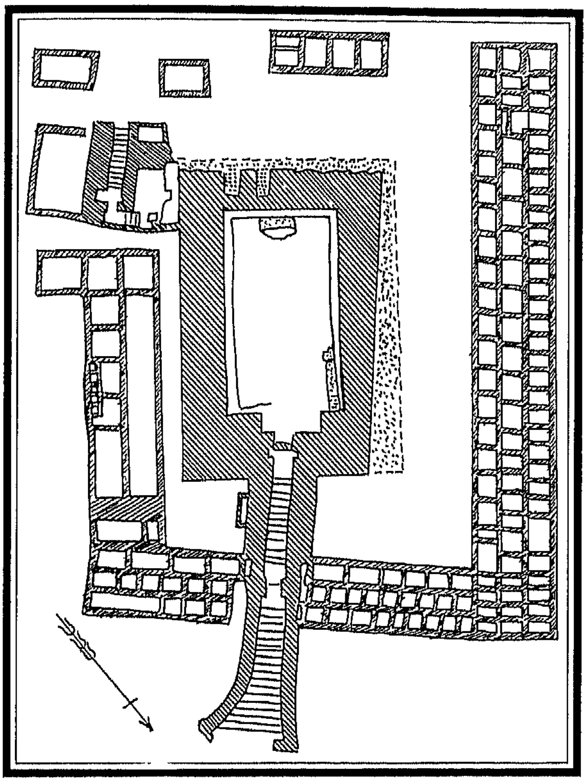
ويبدو أن حكم أوديمو كان أزهى حكم فى الأسرة الأولى كلها ، وظلت ذكرى الملك العظيم فى الأذهان فى العصور التالية فسجلت بردية أيبرس[1] الطبية وصفة طبية تعزى إلى هذا الوقت ، وترجع إلى الوراء ١٥٠٠ سنة كما أن الفصل الرابع والستين من كتاب الموتى يعزى إلى حكمه ، ومن أشهر القطع التى حصلنا عليها من مقبرة أبيدوس غطاء صندوق من العاج لابد أنه كان فى الأصل معدًا لحفظ خاتمه الذهبى المخصص للأحكام ، وذلك حيث كتب عليه مايفيد ذلك .

عندج ـ أيب[2] (شكل ٤١)

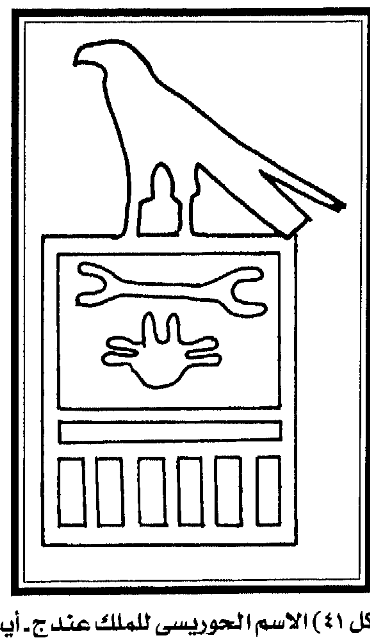
---

(١) كشف عنها بالأقصر عام ١٨٦٢ واشتراها العالم الألمانى أيبرس وترجع إلى عام ١٥٥٠ ق .م وتشير لغتها إلى أنها منسوخة عن كتب طبية أقدم من الأسرة ١٢ وجاء بإحدى عباراتها أنها منسوخة من عهد الأسرة الأولى . وهذه البردية تحوى ٨٧٧ وصفة طبية وعقاقيرها وطريقة التداوى بها . (المترجم) .

(٢) Andigeb عندج أيب (وقد يقرأ عدج أيب) وبالإنجليزية Enezib .



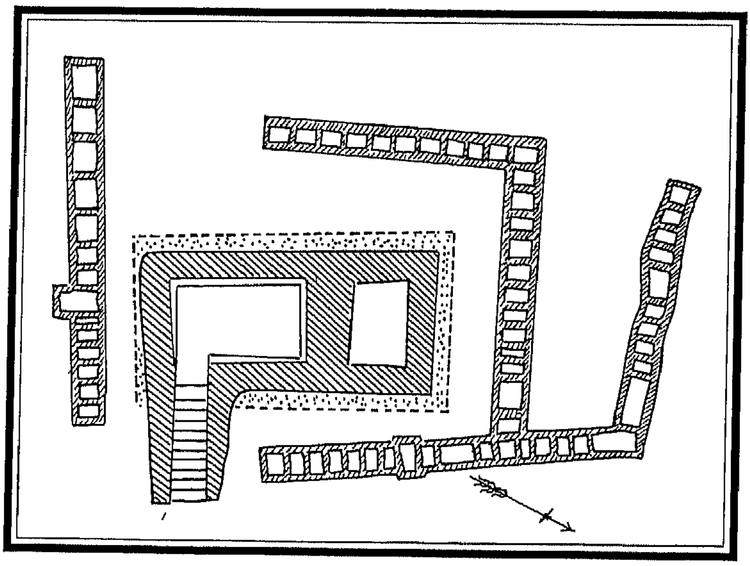
(شكل ٤٠) مسقط أفقى للمقبرة ت (T) فى أبيدوس.



(شكل ٤١) الاسم الحوريسى للملك عندج-أيب.

خلف أوديمو على العرش الملك عندج ـ أيب ، وكان اسمه المسبوق بلقب «نيسو بيت» هو مربابن[1] وعلى ذلك يمكن معرفته باسم ميبيدوس **Miebidos** طبقا لمانيتون ، الذى أفاد بأنه حكم ستة وعشرين عامًا ، وكان عندج أيب أول ملك ورد ذكره فى قائمة سقارة الملكية ، ومن هذا نستنتج أنه كان أول حاكم من طينة اعترف الوجه البحرى به كحاكم شرعى . ومن الجدير بالأهمية أن اسمه المكتوب على الأوانى الحجرية قد أزيل مرارًا بواسطة خلفه سمرخت ، وهذا بدوره قد أزيل اسمه أيضًا من قائمة سقارة .

وكل ذلك يوحى بنزاع فى الأسرة بين المتنافسين على الملك الذين نال واحد منهم تعضيدًا من الوجه القبلى ، بينما عضد الوجه البحرى الآخر ، ومع ذلك فلايبدو مايدل على حدوث انقسام معين فى وحدة القطرين خلال حكم عندج ـ أيب على أقل تقدير ، وذلك حيث توجدمقبرتين ، إحداهما لايشك فى أنها مقبرته وهى تقع فى أبيدوس بينما يحتمل أن الأخرى وهى من عصره أيضًا كانت مثواه فى سقارة ، ومع هذا يلاحظ أن مقبرته فى أبيدوس هى أصغر وأفقر المبانى فى المجموعة كلها ، وحتى مقبرة سقارة مع إبداع تصميمها وعمارتها فهى ولاشك أصغر من المقابر الأخرى من هذا الطراز فى المنطقة ، وتتكون مقبرة أبيدوس من حفرةيكسوها بناء من اللبن وتنقسم بواسطة جدار قاطع إلى حجرتين يمكن الوصول إليهما بواسطة درج ينحدر من الشرق إلى الغرفة الرئيسية (شكل ٤٢) وكان لحجرة الدفن فى الأصل أرضية وجدران وسقف من الخشب ، وأطوالها الكلية ، بما فى ذلك البناء العلوى كما نتخيله ١٦,٤×٩أمتار ، ويحيط بالمبنى الرئيسى أربعة وستون مدفناً فقير البناء للضحايا من الخدم .

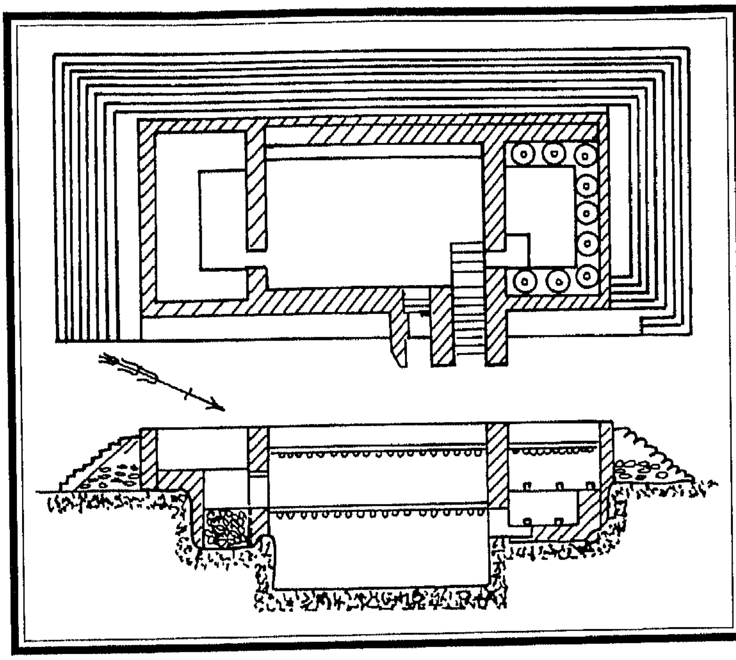


(شكل٤٢) مسقط أفقي للمقبرة س «X» فى أبيدوس.

---

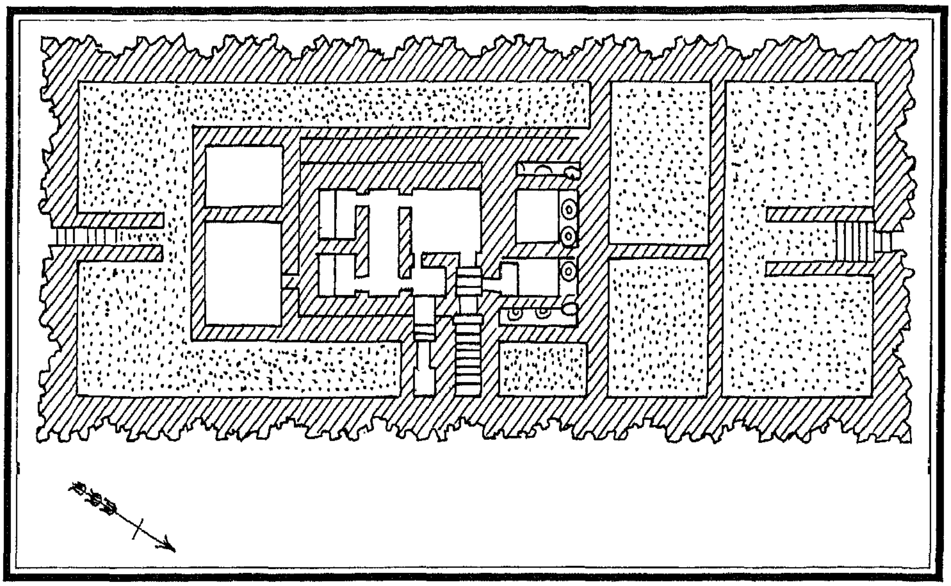
(1) Merbapen .

وتقدم إلينا مقبرة سقارة رقم ٣٠٣٨ (شكل ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥) مظاهر معمارية هامة وشيقة لم تحفظها لنا حتى الآن أية مقابر أخرى من ذلك العصر ، فالبناء يرجع تاريخه إلى «عندج - أيب» ومع أن اسم أحد الموظفين ويدعى «نبت كا **Nebitka**» قد وجد على أختام سدادات للجرار وعلى أشياء أخرى ، إلا أنه يبدو محتملا أن هذه المقبرة هى المكان الذى دفن فيه الملك ، وعندما كشف عنها فى بادئ الأمر ، ظهر أن البناء العلوى للمقبرة يتبع التصميم الشائع لمنصة مستطيلة ، قد زين خارجها بدخلات وخرجات ، ولكن مع موالاة الحفر ظهر مبنى هرم مدرج مخبأ بداخلها (شكل ٤٣) ، ولم يبق من البناء المدرج سوى جزء منخفض ربما استمر بناؤه إلى أعلى مكونا بذلك شكل هرم مدرج كامل ، وقد اتضح أن مقبرة الملكة حرنيت فى سقارة كانت ذات مظهر مشابه ، مع أنها من نوع أكثر قدما ، وقد أخذ هذا المظهر شكل

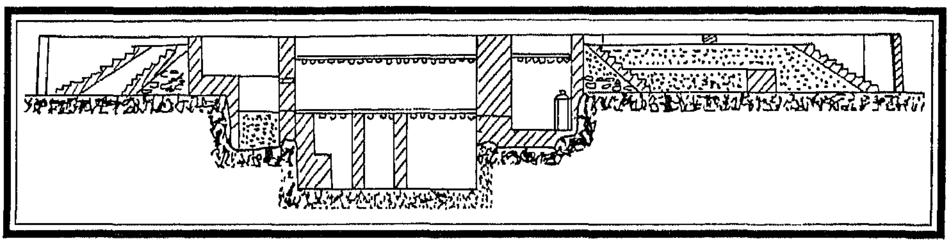


(شكل ٤٣) مسقطان أفقى ورأسى للمقبرة ٣٠٣٨ فى سقارة.

رابية ترابية مستطيلة يكسوها بناء من اللبن ، ومن الواضح أن هذا طراز سابق لداخل المبنى العلوى لمقبرة عندج - أيب وقد وجدت بقايا هذه الركمة الترابية فى مقابر أخرى بسقارة ، وهناك مايدعو إلى أن نفترض أن المبنى التالى وهو البناء اللبنى المدرج ، كان مظهرًا عاديًا لمعظم المقابر الكبيرة فى الشمال فى النصف الأخير من الأسرة ، وسبب إخفاء تصميم داخل آخر ذى فكرة مختلفة جذرياً يدعو إلى الحيرة ، ولكننى أظن أن التفسير المحتمل لذلك هو أنه يمثل الارتباط بين تصميمات المبانى العلوية فى الوجهين



(شكل ٤٤) مسقط أفقى للتصميم الثانى للمقبرة ٢٠٣٨ فى سقارة.



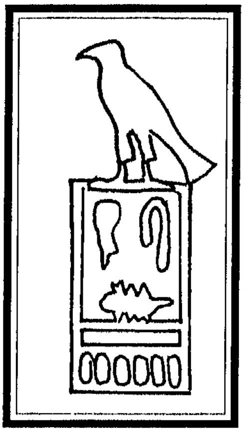
(شكل ٤٥) مسقط رأسى للتصميم الثانى للمقبرة ٣٠٣٨ فى سقارة.

القبلى والبحرى فى مبنى واحد ، وهو الركمة الترابية و المبنى المدرج فى الجنوب والمبنى المستطيل ذو الدخلات والخرجات فى الشمال ، والتأثير الممكن لهذه الظاهرة المعمارية الغريبة على تطور تصميم الهرم سوف تكون مدار بحث فى الفصل الرابع (انظر أدناه) ، وهناك ظاهرة غير عادية أخرى لمقبرة عندج ـ أيب الشمالية وهى الدرج ذو المدخلين أحدهما لحجرات الدفن السفلية والآخر إلى حجرة فوقها وإلى مخزن حبوب به صوامع قمح مبنية .

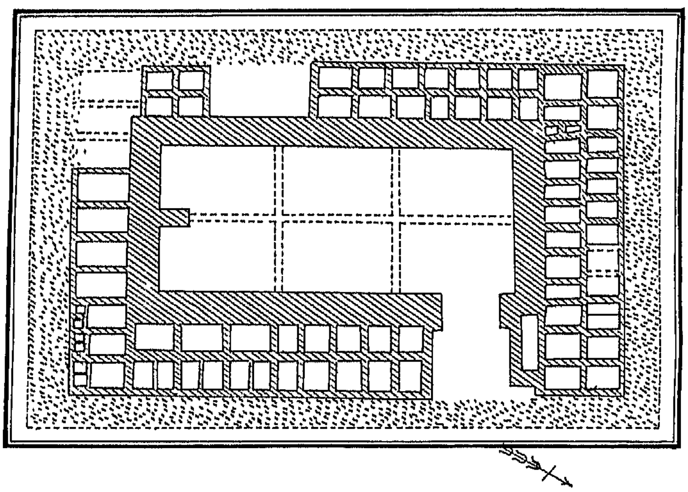
والأطوال الكلية لهذه المقبرة هى ٣٧× ١٣,٨٥متراً .

سمرخت Semerkhet (شكل ٤٦)

يرى بعض المؤرخين أن سمرخت كان مغتصبًا للملك ، ولكن إلى جانب محوه لاسم سلفه على الأوانى الحجرية وإغفال اسمه من قائمة سقارة لايوجد برهان قوى على ذلك ، ومع ذلك يظهر أن حكمه لم يكن مستقرًا لأن اسم سمنبتاح **Semenptah** الذى كان يأتى بعد كل من لقبى نبتى ونيسوبيت يمكن بالتأكيد أن يكون سممبسيس **Semempses** الذى ذكره مانيتون والذى ورد عنه أنه خلال حكم هذا الملك كانت توجد نذر شؤم عديدة وكارثة عظيمة ، ويقدر مانيتون مدة حكمه بثمانى عشرة سنة ، ولكن قطعة الحجر الموجودة بالقاهرة من حجر بالرمو تعطيه تسع سنوات فقط ، وإلى وقت قريب كان يعتقد أن لوحة صخرية كبيرة فى وادى المغارة بشبه جزيرة سيناء سجلت انتصارات سمرخت فى غزوة بتلك المنطقة ، ولكن الاسم الموجود على هذا الأثر أمكن معرفته الآن باسم «سخم خت» وهو أحد الملوك الأوائل فى الأسرة الثالثة ، وقد كشف عن هرمه الناقص فى سقارة سنة ١٩٥٤ ، ولم يعثر حتى الآن على أى أثر للملك سمرخت فى سقارة ، ولكن مقبرته فى أبيدس (شكل ٤٧) تفوق بكثير مقبرة سلفه عندج - أيب وتتكون من حجرة دفن سفلية كسيت جدرانها باللبن ويمكن دخولها من الشرق بواسطة ممر

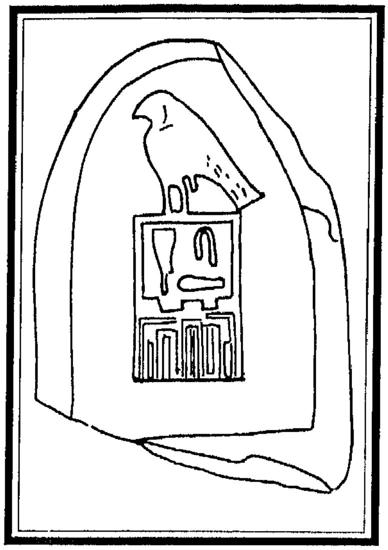


(شكل ٤٦) الاسم الحوريسى للملك سمرخت.

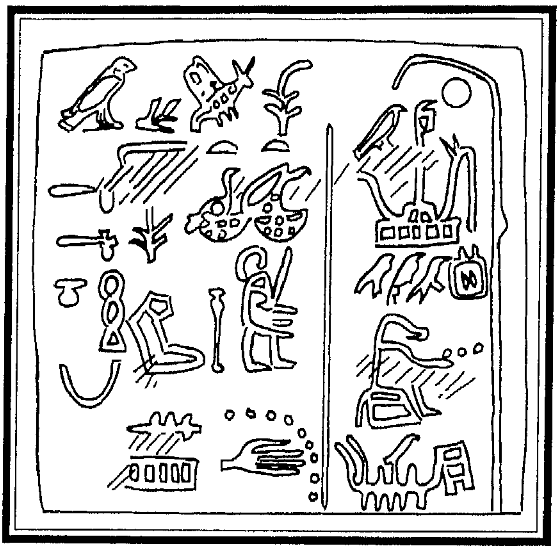


(شكل ٤٧) مسقط أفقى للمقبرة (U) فى أبيدوس.

وكانت المقبرة فى الأصل ذات سقف خشبى ، يحيط بها مدافن منتظمة جيدة البناء للخدم الملكى ، ويظهر أنه من المحتمل أن البناء العلوى كان يغطى حجرة الدفن كما يغطى المدافن الجانبية وتبلغ أطواله الكلية نحو ٢٩,٢×٢٠,٨مترًا ، وقد عثر فى المقبرة على لوحة كبيرة من حجر الكوارتز الأسود وعليها اسم الملك يعلوه لقب الصقر (شكل ٤٨) ، ويظهر على بعض بطاقات عاجية وجدت فى مقبرة سمرخت اسم المدعو «حنوكا **Henuka**»(شكل ٤٩) الذى يمكن اعتباره موظفًا كبيرًا خلال حكم هذا الملك وحكم خلفه .



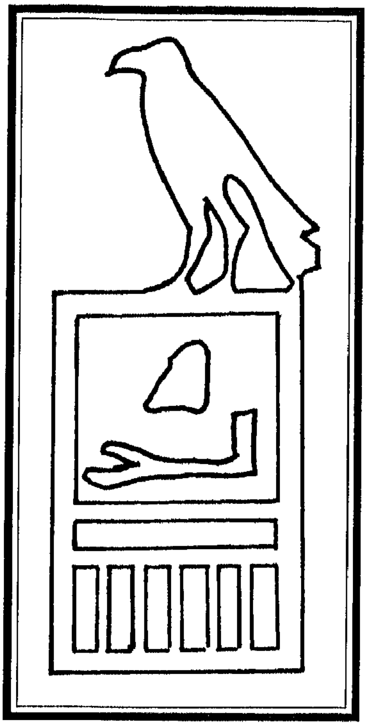
(شكل ٤٨) لوحة الملك سمرخت من أبيدوس.



(شكل ٤٩) بطاقة سمرخت العاجية من أبيدوس وعليها اسم حنوكا(١).

(١) وجد المترجم خلال حفائره فى طرة الأسمنت لوحة عاجية مماثلة لهذا الموظف مع اختلاف يسيرفى طريقة كتابة المواد التى كانت تشير إليها البطاقة .

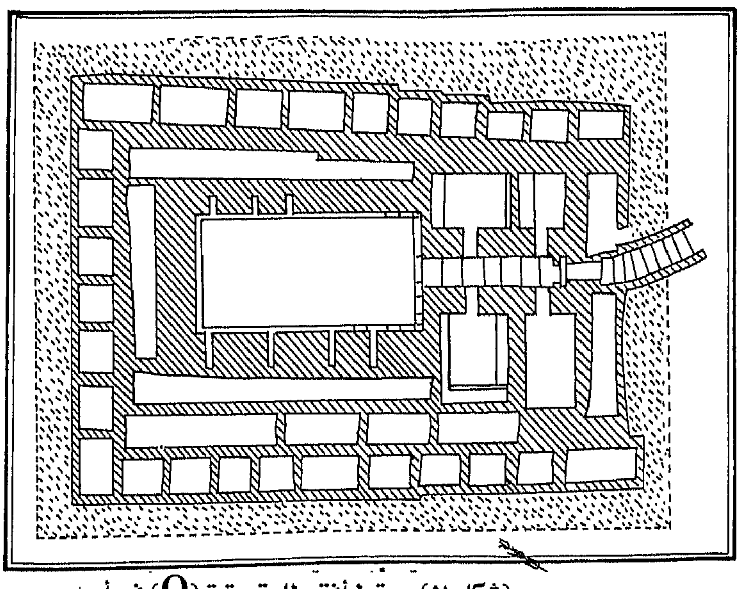
قاعا (شكل ٥٠)



(شكل ٥٠) الاسم الحوريسى للملك قاعا.

بعد أن حكم سمرخت البلاد لفترة قصيرة خلفه على ما يبدو الملك قاعا ، الذى قد يكون الملك كبحو **Kebhu** الذى ورد اسمه فى قائمة أبيدوس ، ويعطى مانيتون اسم بينيخيس **Bieneches** لآخر ملك فى الأسرة ، كما يذكر أنه حكم مدة ستة وعشرين عاما ، ولكن لايوجد دليل مايؤيد انطباق هذا الاسم على الملك قاعا ، ومن الممكن أن المؤرخ المصرى قد أخطأ على الأقل فى الاسم مع جواز أن يكون ما قرره عن مدة حكمه صحيحًا .

ويلاحظ بوضوح تقدمًا فى التصميم المعمارى خلال هذه الفترة وعدا مقبرته الجنوبية أو التذكارية فى أبيدوس ، فقد كشف حديثًا فى سقارة على أربع مقابر كبيرة من عهد الملك قاعا ، إحداها وهى رقم ٣٥٠٥ هى بكل تأكيد المكان الذى دفن فيه فعلا .

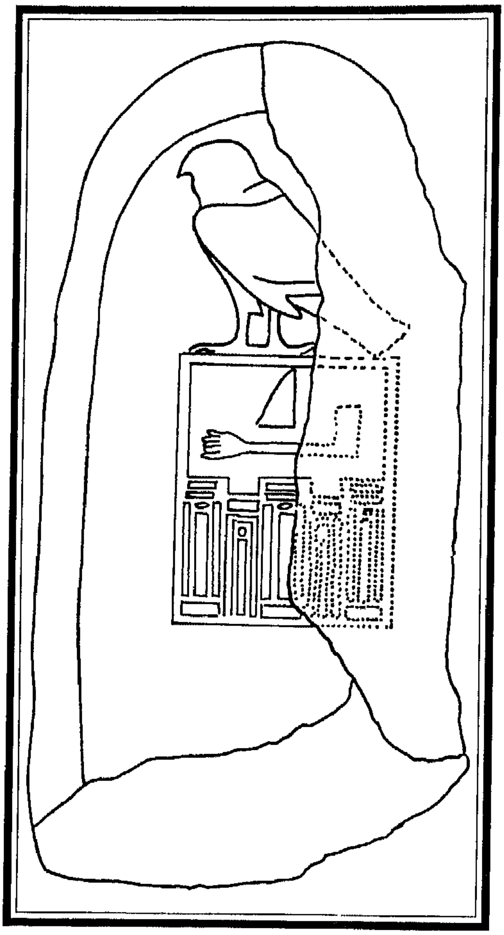


(شكل ٥١) مسقط أفقى للمقبرة ق (Q) فى أبيدوس.

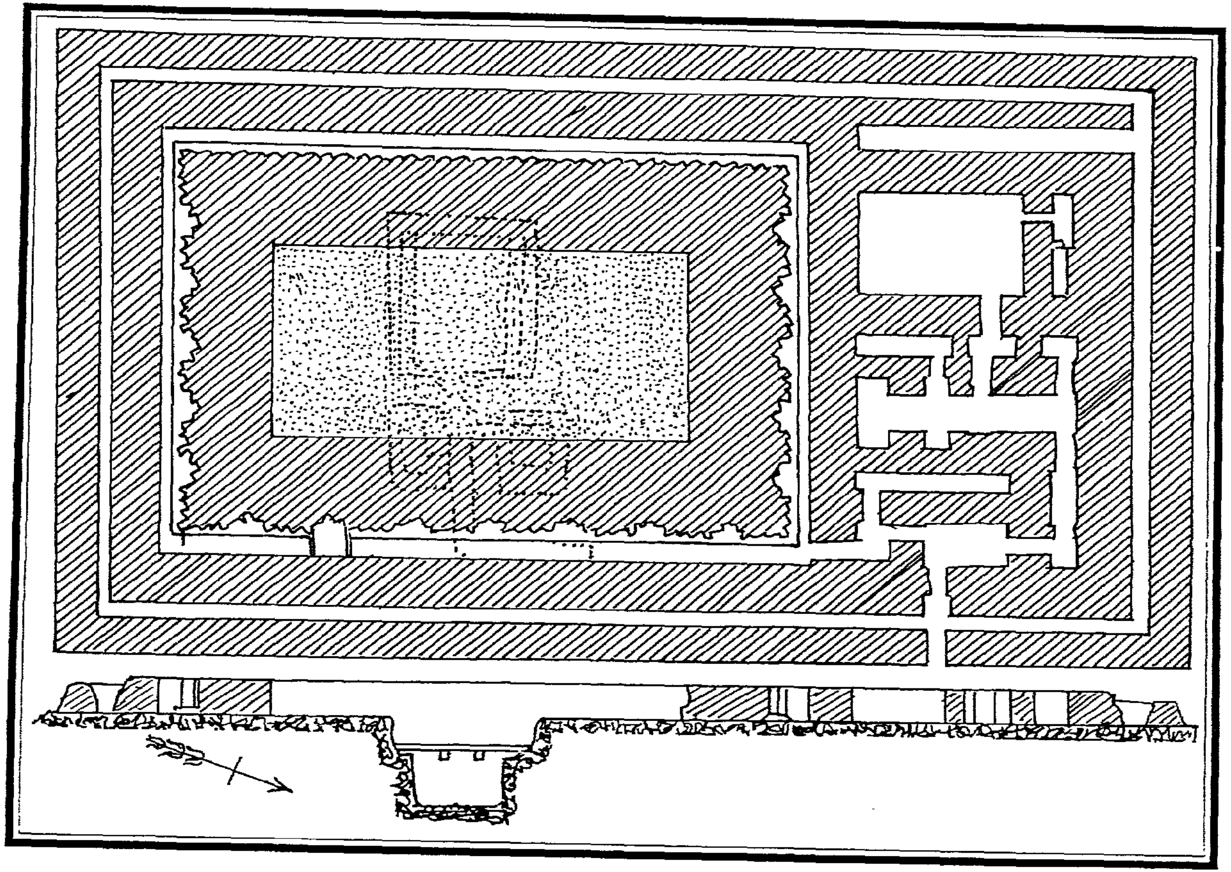
ومقبرة الملك فى أبيدوس (شكل ٥١) أكثر إتقانًا فى البناء من مقبرة سلفه ، والتصميم العام لمبناها العلوى يضاهى بدقة مبانى نفس العصر فى

سقارة ، وهى تتكون من حفرة مستطيلة عميقة ذات مدخل على شكل درج ينحدر من الشمال الغربى ، وعلى كلا جانبى الدرج يوجد مخزنان ، وقد كان لهذه المخازن ولحجرة الدفن سقف خشبى ، ويحيط بالمبنى الأوسط مخازن أكثر وكذلك أربعة وعشرون مدفنًا للخدم ، لها جميعًا أرضية على مستوى أعلى من حجرة الدفن والدرج ، وهناك من الأسباب مايدعو إلى الاعتقاد بأن البناء العلوى المهدم كان يغطى فى الأصل المقبرة كلها ، وكانت أطواله تبلغ ٣٠×٢٣مترًا .

وإلى جانب أختام سدادات الجرار أو البطاقات فإن المقبرة يمكن تمييزها بما كشف فيها من بقايا لوحتين فى الجانب الشرقى للبناء وكلاهما يحمل الاسم الحوريسى للملك قاعا (شكل ٥٢) ، ولكن هذه المقبرة الهائلة فى أبيدوس تعتبر صغيرة وقبيحة المنظر إذا قورنت بالمقبرة الكبيرة المكتشفة عام ١٩٥٤ فى سقارة (شكل ٥٣) ، فيتكون المبنى من بناء علوى مستطيل من اللبن مزين من الخارج بالدخلات والخرجات العادية التى وجد عليها طبقة جصية «فرسكو» متعددة الألوان فى حالة جيدة من الحفظ ، وتتكون من رسوم هندسية تقلد زخارف الحصير ، ويوصل ممر منحدر إلى حجرة الدفن المنحوتة فى الصخر وإلى مخازن تخطيطها يشبه تخطيط مقبرة أبيدوس ويحيط بالبناء العلوى ذى الدخلات والخرجات سور سميك ، بداخله على الجانب الشمالى من المقبرة معبد جنائزى يتكون من تيه من الحجرات والدهاليز



(شكل ٥٢) لوحة قاعا من أبيدوس.



(شكل ٥٣) مسقطان أفقى ورأسى للمقبرة ٣٥٠٥ فى سقارة.

يشبه المعابد الجنائزية للأهرامات ، وفى الحقيقة يمكن اعتبار هذا المبنى العظيم الذى يرجع تاريخه إلى نهاية الأسرة الأولى الطراز السابق لمبانى الأهرامات وملحقاتها فى العصور التالية ، وتبلغ الأطوال الكلية لهذه المقبرة ٦٥×٣٧مترًا ، ولم يعثر حول المقبرة على مدافن إضافية للضحايا من الخدم ، ويظهر أنه فى عهد قاعا تلاشت هذه العادة الهمجية فى الشمال الأكثر تحضراً ، صحيح أن هناك مقبرة جانبية على قدر من الحجم قد كشف عنها فى الجانب الجنوبى من مدخل المقبرة ، ولكنها كانت مقبرة نبيل ، من المحتمل أن يكون قد أعطى شرف الدفن داخل حرم القبر الملكى ، وقد وجدت لوحة هذا النبيل المسمى «مركا» لوحة ٣٠ (أ) على مقربة من المقبرة . وهذا الأثر المكتوب بالإضافة إلى لوحة أخرى أصغر لنبيل يدعى «سابف» وجدت فى مقبرة أبيدوس ويبينان بما عليهما من قائمة طويلة بالألقاب ، أنه فى زمن قاعا كانت الكتابة قد تطورت فى العصر العتيق ، وفضلا عن ذلك فإن ألقاب هذين النبيلين كانت تقريبًا بالشكل التقليدى الذى أصبح القاعدة فى العصور التى تلت ذلك .

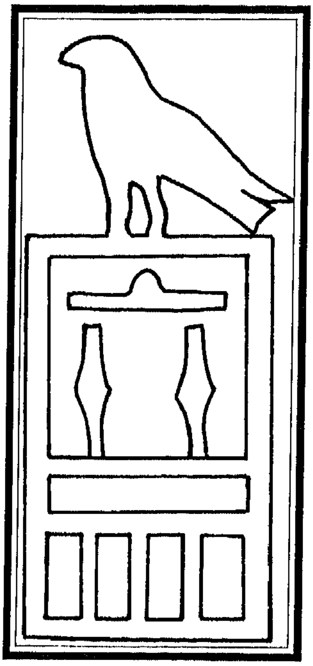
وهناك مقبرة أخرى كبيرة فى سقارة وهى رقم ٣٥٠٠ ترجع أيضا إلى عصر الملك قاعا ، وربما كانت تخص زوجته أو تخص شخصية أخرى هامة من الأسرة الملكية ، وقد وجدت أربع مقابر جانبية ملاصقة لهذه المقبرة ، ومع أنها جميعا تدل على أن دفناتها كانت فى نفس الوقت إلا أنها لاتوحى بالتضحية الجماعية التى رافقت دفن الملوك فى أبيدوس .

وفيما عدا مركا وسابف فإن النبيل حنوكا استمر يتقلد وظيفته خلال حكم الملك قاعا .

موجز الأسرة الأولى

الاسم	المقابر الهامة	المراجع
حورعحا	المقبرة رقم ب١٩ في أبيدوس المقبرة ٣٣٥٧ في سقارة مقبرة نيت حتب في نقادة	(Petrie, Royal Tombs) (Emery, Hor-aha) (De Morgan, Recherches sur Les origines de L'Egypte, Tambau royal de Nagadeh Borchardt, Das Grab des Menes, Zeitchrift Fur Agyptische Sprache, 36)
دجر	المقبرة وO في أبيدوس المقبرة ٣٤٧١ في سقارة المقبرة ٢١٨٥ في سقارة	(Petrie, Royal Tombs) (Emery, Great Tombs, I) (Quibell, Archaic Mastabas)
مريت - نيت	المقبرة ى Y في أبيدوس المقبرة ٣٥٠٣ في سقارة سياج مدافن الضحايا	(Petrie, Royal Tombs) (Emery, Great Tombs II) (Petrie, Tombs of the Courtiers)
أوادجى «الثعبان»	المقبرة ز Z في أبيدوس المقبرة ٣٥٠٤ في سقارة مقبرة الجيزة	(Petrie, Royal Tombs) (Pertie, Great Tombs II) (Petrie, Gizeh and Rifeh)
أوديمو	المقبرة ت T في أبيدوس المقبرة ٣٠٣٥ في سقارة المقبرة ٣٠٣٦ في سقارة المقبرة ٣٥٠٦ في سقارة	(Petrie, Royal Tombs) (Emery, Tomb of Hemaka) (Emery, Great Tombs I) (Emery, Great Tombs II)
عندج - إيب	المقبرة ٣٠٣٨ في سقارة المقبرة س X في أبيدوس	(Emery, Great Tombs I) (Petrie, Royal Tombs)
سمرخت	المقبرة ى U في أبيدوس	(Petrie, Royal Tombs)
قاعا	المقبرة ق Q في أبيدوس المقبرة ٣٥٠٥ في سقارة المقبرة ٣٥٠٠ في سقارة	(Petrie, Royal Tombs) (Emery Great Tombs III) (Emery Great Tombs III)

الأسـرة الثـانيـة



(شكل ٥٤) الاسم الحوريسى للملك حتب سخموى.

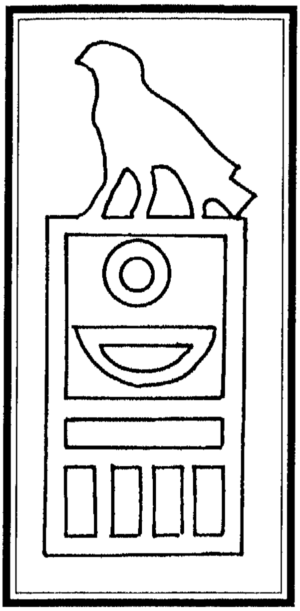
حتب سخموى (شكل ٥٤) Hotepsekhemui

لا نعرف سبب سقوط الأسرة الأولى كما أن الفرق بين البيتين المالكين غير واضح ، ويذكر مانيتون أن كليهما كانا أصلا من طينة ، ولكن مقابرهم الجنوبية - باستثناء مقبرتى خاسخموى وپر إيب سن - إن كان لهاتين المقبرتين وجود ، لم يعثر عليها بعد فى المنطقة وهى بالتأكيد لا تشكل جزءاً من مجموعة أبيدوس فى أم الجعاب .

وعلى ذلك نستنتج أن ما ذكره مانيتون عن تغيير فى الأسرة إنما يستند إلى أساس ثابت ، وهو ما يخبرنا بأن الأسرة تكونت من تسعة حكام حكموا جميعًا مدة ٣٠٢ سنة ، وقد ثبت بناء على أسانيد أثرية نظام تعاقب الأربعة الأول من هؤلاء الملوك ، ولكن بعد ذلك أصبح تسلسلهم أو التعرف عليهم غير مؤكد ، وكان الاسم الحوريسى لمؤسس الأسرة هو حتب - سخموى ، الذى يمكن أن يكون بوزاو **Buzau** الذى ورد فى قوائم الملوك ، وكذلك بوذوس **Boéthos** فى عرف مانيتون ، ويظهر اسمه «حتب سخموى» مع أسماء اثنين من خلفائه المباشرين على تمثال من الجرانيت وجد فى منف ، وقد ظن البعض كنتيجة للعثور على إناء من الظران فى الجيزة أن ترتيب الأسماء على التمثال ليس من الضرورى أن يكون مطابقاً للتاريخ ، ولكن هذا الظن ليس محتملاً ، ويبدو أن تسلسل الأسماء كان صحيحاً ، ولم يعثر على مقبرته بعد ، ولكن استناداً إلى الكشف فى دهليز سفلى بالقرب من هرم أوناس فى سقارة عن أختام سدادات جرار تحمل اسمه يجعل من المحتمل أن مقبرته كانت تقع فى هذه المنطقة ، ويذكر مانيتون أنه خلال حكمه الذى استمر ثمانية وثلاثين عاماً ، حدث تشقق فى الأرض فى بوبسطة وأن كثيرين قد هلكوا ، ونظراً لأن فى هذه المنطقة من الدلتا دلائل جيولوجية تشير إلى اضطرابات بركانية ، فمن المحتمل أن يكون لهذه القصة أساس من الحقيقة .

رع ـ نب (شكل ٥٥)

خلف حتب سخموى على عرش البلاد الملك رع ـ نب وهو يسمى كاكاو **Kakaw** فى قوائم الملوك وكايخوس **Kaichos** طبقا لمانيتون ، ولم يكشف عن مقبرته بعد ، غير أنه كخلفه حتب سخموى ، قد وجد اسمه على أختام طينية عثر عليها فى الدهاليز السفلية بالقرب من هرم أوناس فى سقارة حتى أن مقبرته يحتمل وجودها فى مكان ما فى هذه المنطقة .



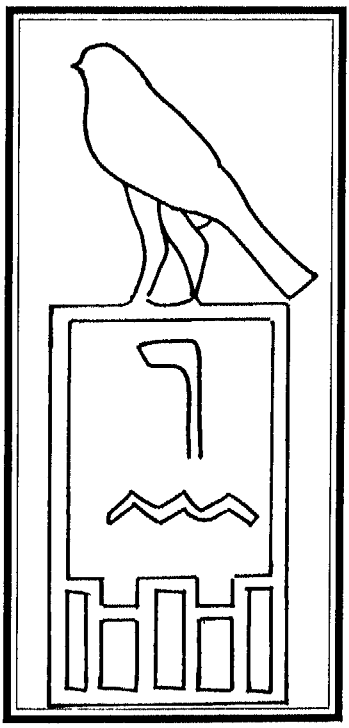
(شكل ٥٥) الاسم الحوريسى لرع ـ نب.

وعلى مقربة من طريق تجارى قديم يوصل للواحات الغربية خلف أرمنت ، وجد اسم رع ـ نب مكتوبًا على صخر بطريقة خشنة (شكل ٥٦) .

ويذكر مانيتون أنه خلال حكم رع ـ نب استقرت عبادة عجل أبيس فى منف ، وعجل منيفيس **Menevis** فى هيليوبوليس ، والماعز فى منديس ، ولكنا كما لاحظنا نرى أن عبادة أبيس كانت قائمة منذ الأسرة الأولى ، ويذكر المؤرخ المصرى أن رع ـ نب حكم تسعة وثلاثين عاما .

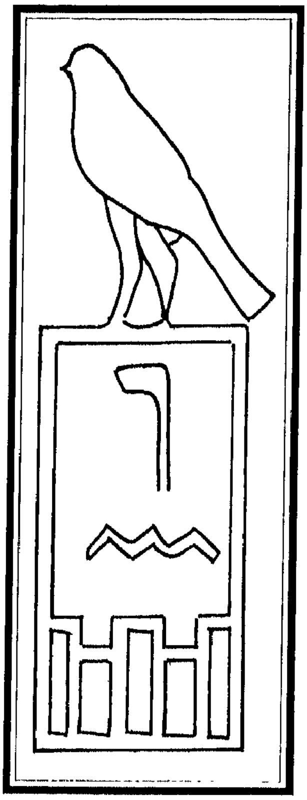
نترن Neteren أو نترمو Netermu (شكل ٥٧)

يمكننا التعرف على نترن ، خليفة رع ـ نب ، باسم بانتيرو **Banentiru** الذى ورد فى قوائم الملوك وأيضا باسم بينو ثريس **Binothris** الذى ذكره مانيتون ، والذى يقول عنه ، إنه حكم مدة سبعة وأربعين عاما ، وقد حفظ لنا حجر بالرمو أخباره فيما بين السنة السادسة والسنة العشرين من حكمه ، ولكنها ليست أخبارا عظيمة الأهمية ، لأنها تنصب أساسا على الأعياد الدينية وأرقام



(شكل ٥٦) اسم منقوش على الصخر لرع ـ نب.

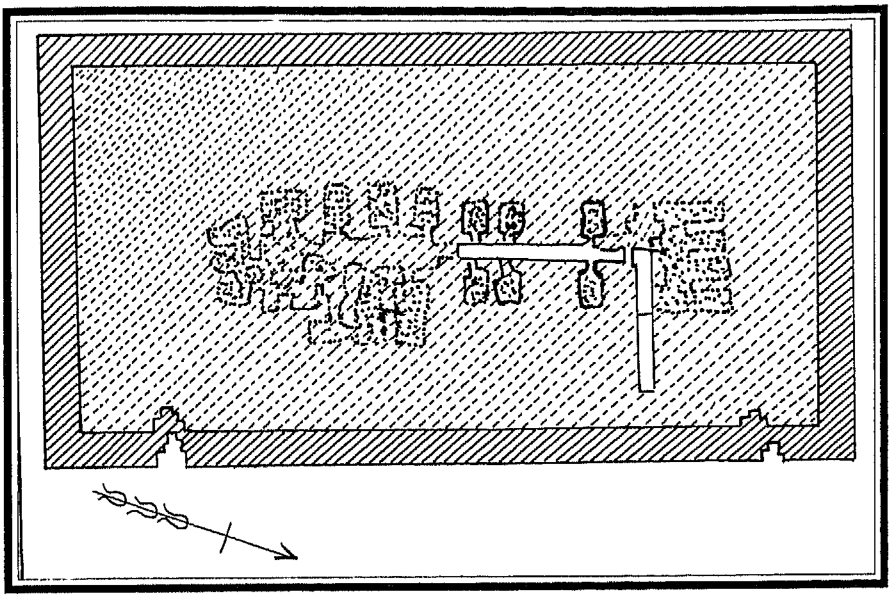
الإحصائيات العادية ، ومع ذلك فإنها تسجل إنشاء قصر أو مبنى آخر هام يسمى حور - رن **Hor-ren** فى السنة السابعة ، ومما هو أكثر أهمية وجود إشارة فى هذه الأخبار إلى حرب أهلية فى السنة الثالثة عشرة ، وفيها مايشير أيضا إلى تدمير شمرا **Shemra** وها **Ha** (بيت الشمال) ، وتذكر الأخبار أيضاً «جرى أبيس» فى السنة التاسعة والسنة الخامسة عشرة .



(شكل ٥٧) الاسم الحوريسى للملك نترن.

وبناء على ما ذكره مانيتون ، فإنه قد تقرر خلال حكم نترن أن المرأة قد تستطيع أن تتولى العرش ، وهذا يثير سؤالاً هاماً بالنسبة إلى ما يحيرنا عن مركز الملكة مريت - نيت فى الأسرة السابقة .

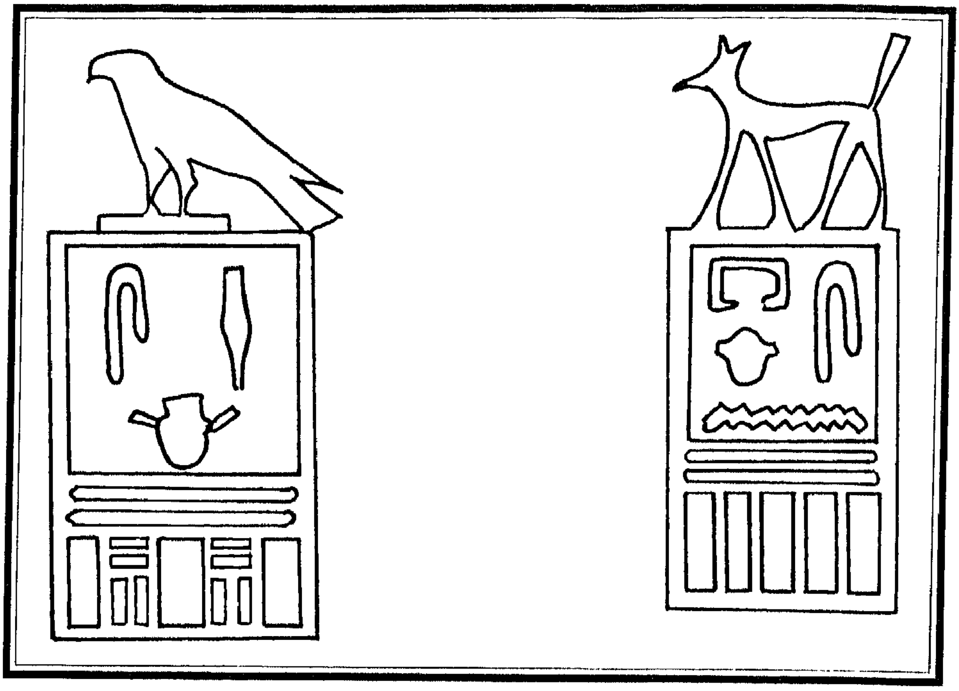
والظاهر أنه لم يعثر بعد على مقبرة نترن ، ولكنه قد عثر على أختام أوان تحمل اسمه بالقرب من الجيزة ، ولابد من أن نوضح أنه من الممكن أن تكون هذه المقبرة هى المكان الذى دفن فيه رغم وجود ثلاث مقابر كبيرة فى سقارة لايشك فى أنها من عصره ، وإحداها رقم ٢٣٠٢ (شكل ٥٨) وهى ذات حجم كبير يمكن اعتبارها المكان الذى وجد فيه راحته الأبدية ، ومع ذلك فقد عثر داخل المبنى العلوى لهذه المقبرة على بقايا إناء حجرى يحمل اسم أمير يدعى راوبن **Rauben** والبناء العلوى الذى تبلغ أطواله ٥٨×٣٢,٦٤ متراً قد بنى باللبن ، وحشيت جدرانه بالطمى الأسود ، والبناء الخارجى للمقبرة بسيط وله مشكاة عند الطرف الشمالى والجنوبى من الجانب الشرقى وينحدر الدرج من الشرق ويميل بزاوية قائمة ناحية الجنوب مؤديا عبر سدادة إلى سلسلة معقدة من الحجرات السفلية المنحوتة فى الصخر ، وقد وجدت سدادات جرار تحمل اسم نترن على مقربة من هرم أوناس فى سقارة ، وفى مجموعة ميخايليدس فى القاهرة تمثال صغير جالس من المرمر يعزى إلى نترن وذلك بناء على نص مكتوب على العرش ، وقد صور الملك لابساً التاج الأبيض ومرتدياً رداءه التقليدى الذى يلبس فى احتفال عيد سد .



(شكل ٥٨) مسقط أفقى للمقبرة ٢٣٠٢ فى سقارة.

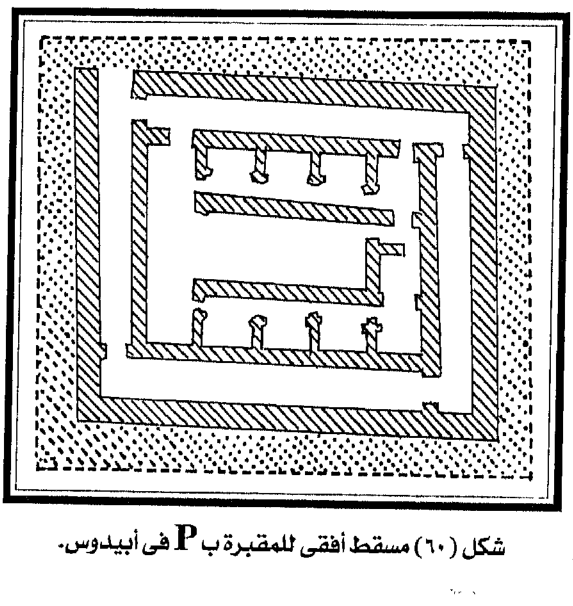
سخم ـ إيب (شكل ٥٩)

خـلال حكم سـخم ـ إيب الذى عـرف فى قـائمـة الملوك باسم «وادج نس Waznes» كـمـا عـرف باسم تلاس **Tlas** عند مـانيتـون ، قـامت بوادر إحـدى الثورات السياسـية والدينية ومع أننا لانستطيع التأكـد من كنُهِـها ، إلا أنه يبـدو محتملا أن السكان الأصليين لوادى النيل كانوا لايزالون يحتلون مساحة واسعة من البلاد حيث كانوا يعبدون ست الملك الإله لمصر قبل أن يدخلها أتباع حوريس ، ولم تعرف البواعث السياسية وراء عمليات سخم ـ إيب ، ولكن فى وقت ما خلال حكمه القصير ، الذى استمر سبعة عشر عاما ، كما يذكر مانيتون ، يبدو أنه قد تنازل عن ولائه للإله حوريس وعبد الإله ست وغيـر اسـمـه إلى بر إيب ـ سن ، وكتب هذا الاسم فى إطار «سرخ» يعلوه حيوان الإله ست بدلا من الصقر الذى كان يعلو اسمه الأصلى «سخم ـ إيب» ، وكما صنع إخناتون فى الأسرة الثامنة عشرة ، فإن الملك محا اسمه الأصلى من لوحته الجنائزية التى أقامها فى مقبرته الجنوبية فى أبيدوس ، ووضع مكانه اسمه الذى حمله من جديد يعلوه رمز الإله ست ، وقد وجد اسم سخم ـ إيب مع لقب «قاهر البلاد الجنوبية» على قطع إناء



(شكل ٥٩) الاسم الحوريسى لسخم ايب واسم بر- ايب سن يعلوه الإله ست.

حجرى عثر عليه فى الهرم المدرج ، ولكن عدا ذلك لم يعثر على أية بقايا تعزى إليه فى سقارة ، والأثر الوحيد الذى تركه يتمثل فى مقبرة أبيدوس (شكل ٦٠) ، ومما يثير الدهشة أن هذه المقبرة تقع ضمن مجموعة المقابر الملكية للأسرة السالفة ، وقد تحطم تماما بناء المقبرة العلوى ولم يبق منها سوى حفرة البناء السفلى التى كسيت باللبن ، والتى تحوى حجرة الدفن الوسطى تحيط بها بعض المخازن ، ومبناها هزيل ، لايمكن حتى مع بنائها العلوى أن تتعدى بكثير الأطوال الكلية ٢١×١٨,٥ متراً .



شكل (٦٠) مسقط أفقى للمقبرة ب P فى أبيدوس.

ومن المظاهر غير العادية أن المدخل فى الشرق ، وقد عثر بالقرب منه على اللوحتين اللتين تغيرت نقوشهما ، ولم يعثر للآن على أى دليل يمكن أن يعلل ارتداد حاكم من أسرة من طينة إلى عبادة الإله ست ، ولكن وجهة نظر سخم إيب (بر إيب سن) موضحة تماماً فى تغييره لاسمه على لوحته الجنائزية فى أبيدوس وصور ست فوق اسم بر إيب سن على أختام كثيرة ولاسيما على ختم لأحد نبلائه عثر عليه فى مقبرته ، ويقرأ هذا الختم «إله أومبوس» **Ombos** مركز قبائل ست فى الوجه القبلى ، إلى ابنه بر إيب سن ، ومن المحتمل أن أتباع ست الذين كانوا يمثلون أهل البلاد قد زادت قوتهم إلى درجة ،كبيرة خلال تداعى قوة طينة حتى أن الملك رأى أن من السياسة الحكيمة أن يعبد إلههم ، ومن المؤكد أن خليفته خع سخموى أيضا وكان أكثر منه قوة ، رأى أن من الضرورى أن يضع فوق اسمه صورة ست مع حوريس على قدم المساواة ، ومعلوماتنا عن هذا العصر ضئيلة ، لدرجة يستحيل معها أن تفترض أية نظرية تتفق مع كل الحقائق ، ولكن يبدو من المؤكد تماما أنه خلال حكم سخم إيب قد حدثت ثورة ما دينية أضعفت من حكم قوة ملوك طينة ، وهناك حقيقة أثرية ربما تفسر حوادث هذا العصر المضطرب حقا ، ألا وهى حرق المقابر الملكية ، وقد وجدت كل المقابر الملكية تقريباً فى كل من أبيدوس ونقادة وسقارة مدمرة تماماً بواسطة الحريق ، وقد ظن بادئ الأمر أن ذلك الحريق كان من عمل اللصوص الأوائل الذين أرادوا محو كل ما يشير إلى انتهاكهم حرمة هذه المقابر ، ولكن الحفائر الحديثة فى سقارة قد قدمت دليلا يوعز بقوة إلى أن هذا الإحراق كان عمدًا وبموافقة رسمية ، وربما نلمس هنا أهداف الجماعات المحاربة التى كانت تسعى وراء تدمير الحياة الأخرى لخصومهم من جنس الأسرات ، وقد حدث بلاشك تدمير هذه المقابر بواسطة الإحراق فى تاريخ مبكر ، وربما لانكون مخطئين إذا عزوناه إلى هذه الفترة التى ساد فيها الغليان الدينى والسياسى بشكل واضح .

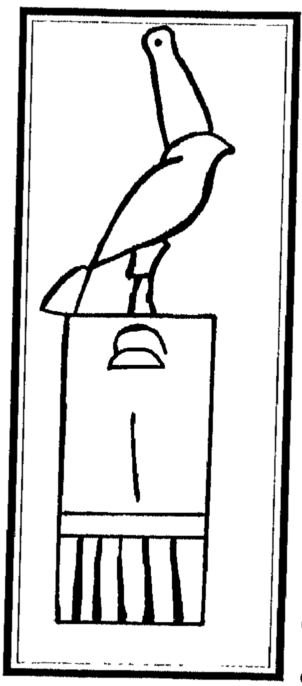
ومهما كانت آثار هذه التغييرات على ولائه الدينى فإن روح سخم إيب حظيت بالاحترام والتبجيل ، وظلت عبادته قائمة فى منف مع عبادة خليفته المباشر سندجى **Sendji** وذلك حتى الأسرة الرابعة .

سندجى:

لاتوجد آثار من عصر سندجى ، الذى خلف على ما يبدو سخم إيب فى حكم البلاد ، ومن المحتمل أنه كان يسمى «سيثينيس **Sethenes**» فى عرف مانيتون الذى يذكر أنه حكم مدة واحد وأربعين عاماً ، ومع قلة المعلومات حالياً عن هذا الملك ، إلا أنه من الواضح أنه فيما عدا حكمه الطويل كان حاكماً همامًا ونحن نعرف أن عبادته ظلت قائمة حتى عصر متأخر ، وفى الواقع فإن تمثالا برنزيا يحمل اسمه قد نحت فى الأسرة العشرين بعد موته بأكثر من ألفى سنة .

نتركا Neterka:

كان مانيتون يسمى سادس ملوك الأسرة «خايريس **Chaires**» وقد حكم سبعة عشرة عاماً ، ولم يعثر على وثائق تاريخية يمكن أن تعزى إليه من العصر الذى عاش فيه ، ولكن تبعًا لما ذكر فى قائمة الملوك بتورين ، فإن سندجى قد خلفه على عرش البلاد شخص يدعى «نتركا **Neterka**» ومع أن قائمتى سقارة وأبيدوس لم تذكرا شيئا عنه ، إلا أنه من الجائز أن نتركا وخايريس كانا اسمين لشخص واحد .



(شكل ٦١) الاسم الحوريسى خع سخم.

نفر كارع Neferkara:

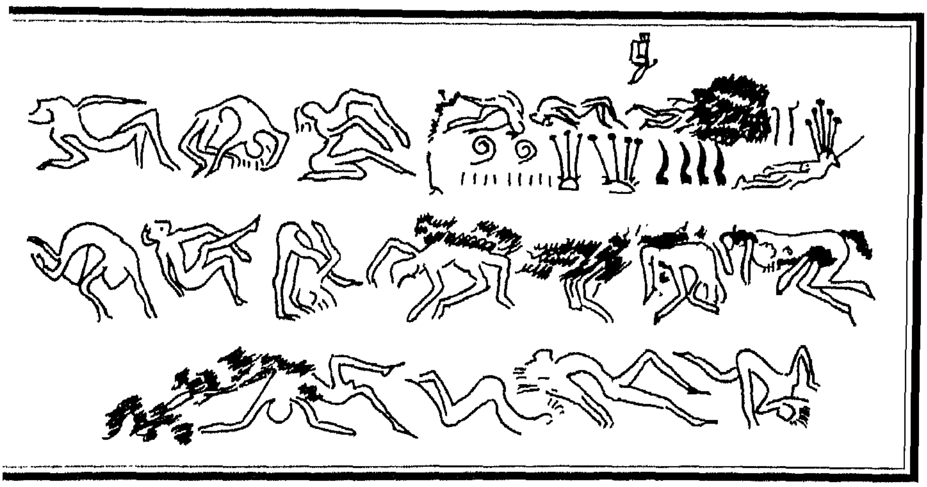
وطبقا لما أورده مانيتون فإن خايريس قد خلفه فى الحكم نفر خيريس **Nephercheres** الذى يمكن التعرف عليه تحت اسم نفر كارع كما ورد فى قائمة ملوك أبيدوس ، ويخبرنا المؤرخ المصرى أنه حكم مدة خمس وعشرين سنة ، وأنه توجد أسطورة تقول إنه خلال حكمه فاض النيل عسلا مدة أحد عشر يوماً .

خع سخم Kha-Sekhem : (شكل ٦١)

تنتهى الأسرة الثانية بملكين : خع سخم وخع سخموى ، ويعتقد بعض المؤرخين أن كليهما شخص واحد ، وأن الاسم الأول كان نسخة سابقة للاسم الآخر ، الذى اتخذه الملك عندما أعاد توحيد مصر بعد الحروب الدينية التى قسمت الدولة ، ومعنى الاسم الثانى «ظهور

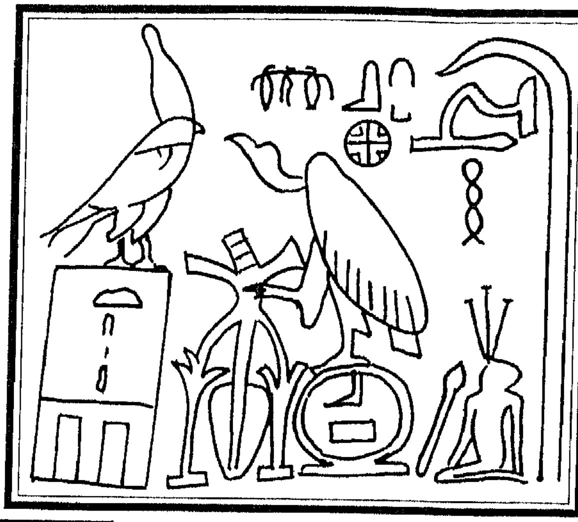
القوتين» بدلا من «ظهور القوة» ، ولكن بالموازنة يظهر أن خع سخم وخع سخموى
شخصين مختلفين ، ومن المحتمل أنهما الثامن والتاسع من ملوك الأسرة .

وعلى ذلك يمكن التعرف على خع سخم تحت اسم «حوزيفا» **uzefa**
(نفركاسكر **Neferka-Sokar**) الذى ورد ذكره فى قائمتى ملوك سقارة وتوري
وكذلك تحت اسم (سيزوخريس **Sesochres**) الذى ذكره مانيتون ، والذى يق
عنه إنه حكم مدة ثمانية وأربعين عاما ، ومع أن اسم الملك قد أُغفِل فى جد
أبيدوس ، إلا أننا قلما نشك فى أن سلطانه امتد على مصر كلها ، وذلك لأنه
عثر من هذا العصر فى مدينة هيراكونبوليس على آثار له ، ولكن يبدو أن حك
كان عاصفا ، وتسجل الآثار الوحيدة التى عثر عليها من هذا العصر ، ألا و
تمثالان ولوحة وثلاثة أوان حجرية الحرب التى شنها الملك وكذلك انتصاره ، و
أنه يجوز أن بعض هذه الحوادث قد حدثت فيما وراء حدود مصر ، إلا أنها تش
إلى فترة من القلاقل الداخلية ، والتمثالان أحدهما من الشيست «لوحة ١
والآخر من الحجر الجيرى ، ولهما قيمة فنية لاتقدر ، وهما يمثلان خع سخم جال
على عرشه وفوق رأسه تاج الوجه القبلى مرتديا الرداء الذى يلبس فى احتفال
سد ، وحول قاعدتى التمثالين صف من صور آدمية ملتوية تمثل أعداء مذبوحي
وعلى مقدمة التمثال كتب «الأعداء الشماليون وعددهم ٤٧٢٠٩» (شكل٦٢
وقد رؤى أن الأعداء الشماليين كانوا من الليبيين الذين أغاروا على الدلتا ، ول
يجب ألا نغفل إمكان حدوث ثورة داخلية فى الوجه البحرى .

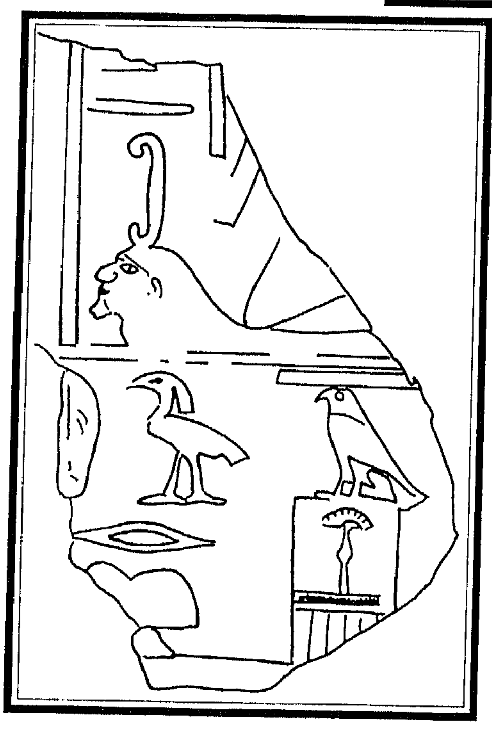


(شكل ٦٢) نقوش وكتابة على قاعدتى تمثال خع سخم.

وقد وصلنا برهان آخر على ثورة الشمال فى شكل نص مدون على ثلاثة أوان حجرية كتب عليها «عام مقاتلة العدو الشمالى» داخل مدينة نخب ؛ والإلهة نخبت على شكل نسر تقبض على دائرة ختم بداخله كلمة «بش **Besh**» (ثوار) ، بينما يرتكز مخلبها الآخر على رمز وحدة مصر أمام خع سخم (شكل ٦٣) .



(شكل ٦٣) نقوش وكتابة للملك خع سخم على إناء حجرى.



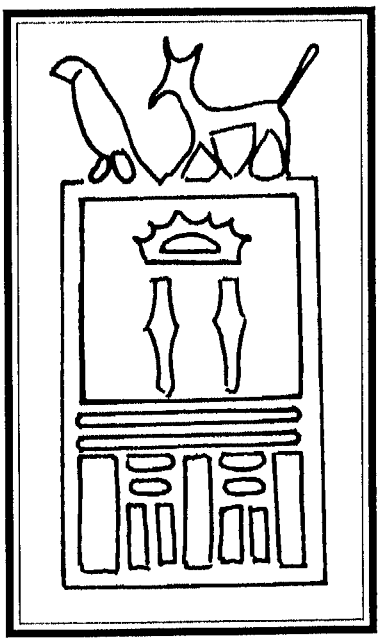
(شكل ٦٤) جزء من لوحة خع سخم.

وهذه القطعة من اللوحة تبين جزءاً من أسير راكع على منصة تنتهى برأس شخص أجنبى على رأسه قوس (شكل ٦٤) وفى أسفل هذا المنظر يرى اسم خع سخم مع عبارة «مخضع البلاد الأجنبية» ، وجدير بالملاحظة أن الملك يرى على تماثيله لابسًا التاج الأبيض فقط ، وهو تاج الوجه القبلى ، وعلى الأوانى الحجرية يرى الصقر الذى يعلو اسمه يلبس أيضا التاج الأبيض ، ويلوح لنا من هذا الدليل المحدود والمقبول أن خع سخم كان أحد حكام الأسرة الطينية فى مصر العليا ، وهى الأسرة التى جددت وحدة وادى النيل بعد الحروب الدينية بين أتباع حوريس وأتباع ست ، التى يحتمل أنها قسمت الدولة منذ حكم الملك بر إيب سن ، ومجرد اسمه «ظهور القوة» لايخلو من مغزى ، كما أن عدم وجود أى أثر له فى هذا الوقت بسقارة يوحى بشدة بأن حكمه كان مركزًا فى أقصى الجنوب ، إذ لم يكتشف بعد حتى فى أبيدوس أى أثر له ، فجميع الآثار السابق وصفها قد وجدت فى هيراكونبوليس وهى العاصمة الأصلية لأتباع حورس ، ولم يعثر بعد على مقبرته ومن المحتمل أنه دفن فى هذه المنطقة .

وإذا سلمنا بأن خع سخم هو الملك الثامن فى عرف مانيتون ، فلابد أنه كان قائدًا ، إذ إن هذا المؤرخ قد ذكر أن طول سيزرخيس **Sethorches** كان خمسة أذرع وثلاثة كفوف ، مما يجعل منه عملاقًا طوله نحو مترين ونصف المتر .

خع سخموى (شكل ٦٥)

تولى العرش بعد خع سخم الملك خع سخموى ، الذى ربما كان أبرز ملك فى هذه الأسرة ، ففى عهده استقرت وحدة الدولة نهائيا ، ووضع أساس التوسع المذهل وتطور القوة الفرعونية فى الأسرة الثالثة وحيث أن ترتيبه التاسع بين ملوك الأسرة الثانية فإنه يمكن اعتباره الملك جاجاى **Zazai** الذى ورد اسمه فى القوائم

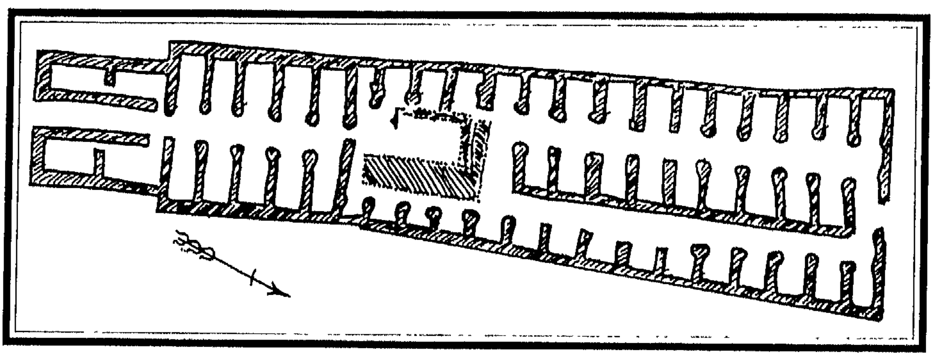


(شكل ٦٥) حوريس وست يعتليان اسم خع سخموى.

الملكية ، وأيضًا الملك خينيريس **Cheneres** تبعًا لمانيتون الذى نسب إليه مدة حكم بلغت ثلاثين عاما .

وقد انتهى النزاع بين أتباع حوريس وأتباع ست وبعد أن كان اسمه خع سخموى «ظهور القوتين» أضيف إلى اسمه الكامل «الإلهان فى سلام» ونجد دائما على الكثير من أختام سدادات الجرار أن صورة الصقر وحيوان الإله ست قد اعتلت اسم الملك ، وهذه إشارة أخرى إلى أن نوعًا من الوحدة القائمة على المساواة قد تحقق .

وتعتبر المقبرة الجنوبية لخع سخموى فى أبيدوس مقبرة غريبة البناء لاتتشابه أبدا مع المقابر الأخرى بالمنطقة ، أو حتى مع أى مبان من هذا العصر فى سقارة (شكل ٦٦) ، وللأسف لايوجد لها الآن أى مبنى علوى ، شأنها فى ذلك شأن المقابر الأخرى فى أبيدوس وليس لدينا سوى المبنى السفلى الذى يدل على ضخامة حجم المبنى ، ويبلغ طوله ٦٨,٩٧متراً ، ويتراوح عرضه بين ١٧,٦ ، ١٠,٤ متراً ، وهو يتكون من ثلاثة أقسام ، فيوجد فى الناحية الشمالية باب يؤدى إلى ثلاثة صفوف تضم ثلاثة وثلاثين مخزنا للقرابين والأثاث الجنائزى ، ثم حجرة دفن مبنية بالحجر يحف بها من كل من الجانبين أربع حجرات ، ويلى ذلك عشرة مخازن أخرى ، خمسة منها على كل من جانبى الردهة الموصلة إلى الباب الجنوبى الذى يحف به أربع حجرات أخرى .



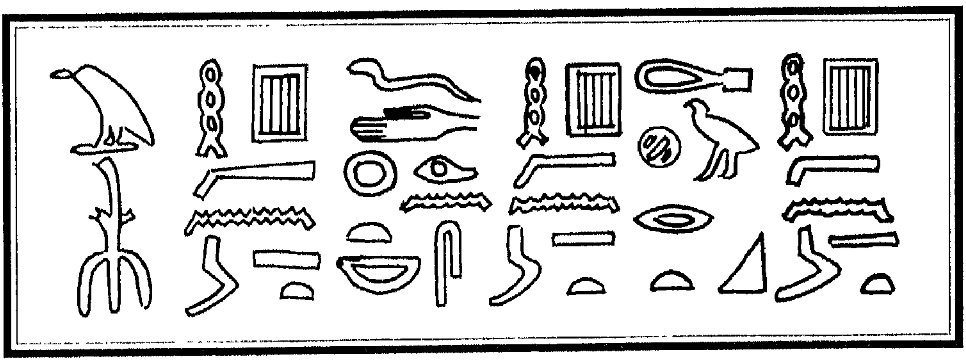
(شكل ٦٦) مسقط أفقى للمقبرة ف V فى أبيدوس.

وكان المعتقد فى وقت ما أن حجرة الدفن هى أقدم مثل للعمارة الحجرية القائمة ولكن حفائر سقارة وحلوان بينت أن البناء بالحجر كان معروفا فى الأسرة الأولى*

(*) وجد المعرب أيضا فى الحفائر التى أشرف عليها فى منطقة طرة الأسمنت مقابر مبنية بالحجر من الأسرة الأولى .

ومن المظاهر الغريبة فى مقبرة خع سخموى عدم انتظامها والخطأ فى تخطيطها ، ومع أن حجمها كان هائلا ، إلا أنه من الصعب أن نعتقد أن سنين قليلة فقط تفصلها عن هرم زوسر المدرج الرائع البناء فى سقارة ، وعلاوة على بقايا الأثاث الجنائزى من أوان حجرية ونحاسية وأدوات من الظران والنحاس والأوانى الفخارية والسلال ، فقد وجدنا فى المقبرة صولجان الملك المصنوع من الذهب وحجر السارد الأحمر .

وقد شيد خع سخموى أيضا مبان عديدة فى هيراكونبوليس ، حيث عثر على كتف باب من الجرانيت عليه الاسم المزدوج للملك يعلوه الصقر وحيوان ست ، ومن المحتمل أن مصدر هذا الحجر هو معبد تهدم منذ زمن بعيد وصناعة الحجر متقدمة وتشبه بوضوح ، فى طرازها وفى طريقة التنفيذ ، أعمال النحت فى أوائل الأسرة الثالثة ، حتى أنه يمكن أن يؤرخ هذا الحجر بلاجدال بنهاية الأسرة الثانية ، وعلى ظهر الكتف يوجد نص أزيل جزء منه يصور الملك والإلهة سشات فى احتفال يبدو أنه كان لوضع أساس ، ويبدو أن خع سخموى شأنه فى ذلك شأن أسلافه من أوائل الأسرة الأولى ، قد طبق الخطة السياسية بزواجه من احدى أميرات الشمال ، ويبدو أن زوجته كانت الملكة نى معات حب ، وهى طبقا لختم إناء من أبيدوس ، كانت تحمل لقب الأم الملكية (شكل ٦٧) وقد عبدت فى العصور التالية بصفتها جدة ملوك الأسرة الثالثة .



(شكل ٦٧) خاتم إناء للملكة نى - معات - حتب.

وبموت الملك خع سخموى انتهى العصر العتيق فى تاريخ مصر ، ووقفت المملكتان المتحدتان على أبواب عصر بناة الأهرام المجيد .

موجز الأسرة الثانية

الاسم	المقابر الهامة	المراجع
حتب سخموى	مقبرة غير معروفة	
	أختام جرار من سقارة	(Barsanti Fouilles autour de La Pyramide d'Ounas. Annales du service des Antiquités. Vol III p.182)
رع - نب	مقبرة غير معروفة	
نترن	مقبرة غير معروفة	
	مقبرة راوبن رقم ٢٣٠٢ فى سقارة	(Quibell, Archaic Mastabas)
سخم ايب - بر ايب سن	المقبرة بـP فى أبيدوس	(Petrie, Royal Tombs)
سندجى	لا توجد آثار من عصره	
نتركا	لا توجد آثار من عصره	
نفر كارع	لا توجد آثار من عصره	
خع سخم	مقبرة غير معروفة	
	تماثيل ولوحة من هيراكونبوليس	(Quibell, Hieraconpolis)
	المقبرة ف V فى أبيدوس	(Petrie, Royal Tombs)
خع سخموى	بقايا معبد من هيراكونبوليس	(Quibell, Hierakonpolis)

الفصل الثانى

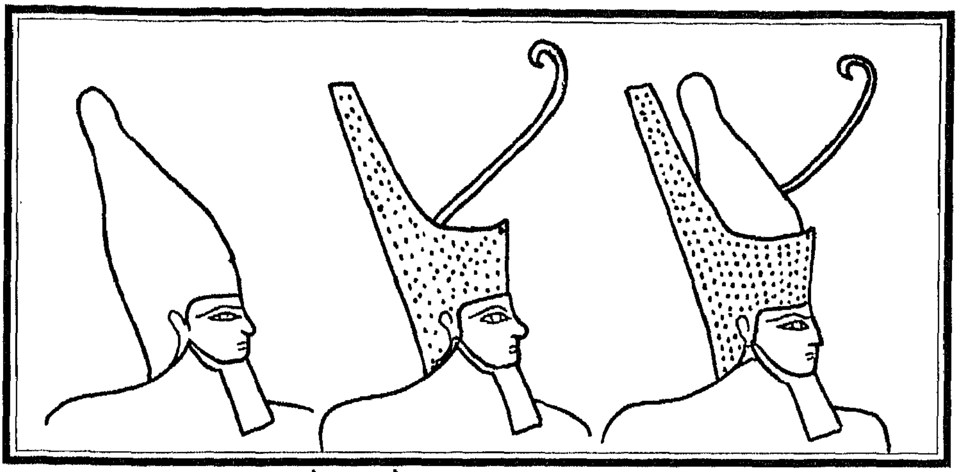
الدولة الملكية

يظهر أن الملكية فى عصر الأسرتين الأولى والثانية كانت لها كل الخصائص التى تجعلنا نربطها بالعصور المتأخرة ، فقد كانت فردية ، وكان الملك إلها متجسدًا ، ومع أنه كانت توجد بطبيعة الحال فواصل بين الطبقات إلا أنه لم يكن هناك طوائف ، لأن الجميع كانوا متساوين أمام «الإله الطيب» الذى اكتسب شخصية حوريس الإله ، ونحن على استطاعة أن نتقبل السؤال الذى كتبه الوزير رخمارع سنة ١٥٠٠ ق .م وإجابته عليه كصورة لما كان يحدث فى عصر الإمبراطورية ، وما كان جاريا فى العصر العتيق ولو أن الفارق بينهما يقدر بنحو ١٧٠٠ سنة ، فقد كتب رخمارع يقول :

«ماذا يكون ملك الوجه القبلى والوجه البحرى ؟ إنه إله يتصرف فى حياة البشر ، وهو أب وأم لجميع الناس ، وحيد فى ذاته لامثيل له».

ولكنها كانت ملكية مزدوجة ، وما إن قامت الوحدة حتى برزت فردية الدولتين فى الشمال والجنوب أكثر مما كانت فى العصور المتأخرة وفى الحقيقة يظهر لنا أنه كانت هناك إدارتان منفصلتان ، لايوحدها سوى العرش ، وحتى تلك الاحتفالات المنمقة التى كان الملك يقيمها عند اعتلائه العرش «عيد سد» أو العيد الثلاثينى والدفن الأخير ، كانت تكرر مرتين مع شعائرها المختلفة من عمارة وعادات الوجهين القبلى والبحرى .

وكانت شعارات الملكية فى القطرين فى المبدأ منفصلة ، وكان الملوك يظهرون أحيانا وهم يرتدون تاج الجنوب الأبيض (حدجت **Hedjet**) وأحيانا أخرى تاج الشمال الأحمر (دشرت **Deshert**) ولكن سرعان ما صنع أحد المصممين ممن نسيهم الدهر ، منذ أمد بعيد التاج المزدوج (سخمتى **Sekhemti**) ، وهو توحيد للناجين ، ومنذ ذلك الحين كان الملك يظهر لابسًا تاج مصر بأجمعها ما عدا بعض الحالات التى كانت تدعو إلى ارتداء هذا التاج أو ذاك مما كان يتميز به كل قطر من قبل (شكل ٦٨) .



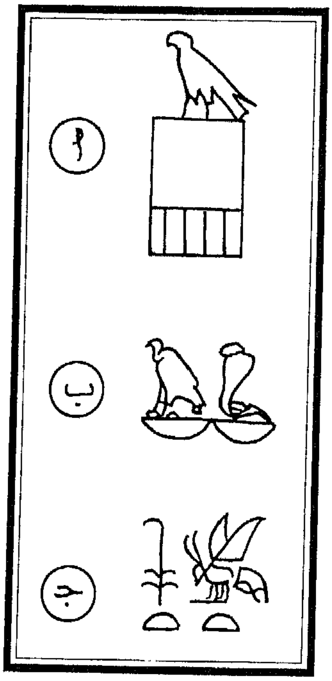
(شكل ٦٨) التاج المصرى المزدوج والأحمر والأبيض.

كانت الألقاب الملكية طوال تاريخ مصر تبين بوضوح أن فكرة وجود شعبين مختلفين ومنفصلين توحدا تحت حكم ملك واحد ، قد ظلت سائدة بدقة ، وفى الحقيقة حتى أيامنا هذه ، فإن التمييز بين الوجهين لايزال باقيا فى أمور عديدة ، ويظهر أن ألقاب الملك فى العصر العتيق كانت قاصرة على ثلاثة من الأسماء االكبيرة ، أى الألقاب التى ظلت مستعملة بصفة عامة حتى فى العصور التالية ، فأولا لدينا الاسم الحوريسى الذى كان يكتب داخل إطار مستطيل يمثل واجهة البيت الكبير أو القصر الملكى بما له من دخلات وخرجات ، ولدينا صورة طبق الأصل من هذا فى المبانى العلوية للمقابر الشمالية فى سقارة (شكل ٦٩ «أ») ويعلو هذا الإطار المستطيل الذى يسمى (سرخ **Serekh**) صقر حوريس إله الأسرات لكل مصر ، وكان يعرف بأنه إله الشمس أو الابن المنتقم لأوزوريس رمز «الملك الميت» والاسم الحوريسى هذا قد كانت له الأسبقية على كل الأسماء الأخرى عندما كان يذكر علي الآثار ، وهو أداة تعريفنا الوحيدة المؤكدة التى وجدت على الأشياء التى كشف عنها فى أبيدوس وسقارة .

وليس هناك برهان على تحول حالات الولاء أصدق من وجود حيوان الإله ست على «سرخ الملك» بر إيب سن (**Perabsen**) فى الأسرة الثانية ، إذ إننا نجد هنا أن الملك عند ذكر اسمه الأول قد عرف نفسه بالإله الذى يعتقد أنه الإله الأسمى فى مصر كلها .

أما الاسم الثانى الذى يأتى بعد هذا فهو اسم «نبتى» الذى سمى كذلك بسبب قراءة اللقب المبدئى «السيدتان» ممثلتان فى صورتى رخمة وهى إلهة الوجه القبلى «نخبت **Nekhbet**» ، والحية وهى إلهة الوجه البحرى «واوجيت» (شكل ٦٩ب) وهذا اللقب الذى كان يذكر فوق الاسم الثانى للملك يرمز إلى الحقيقة التتى تفيد الملك هو القوة التى تربط الملكية المزدوجة بوادى النيل ، واسم «نبتى» يعود بنا على الأقل إلى أيام الملك «حورعحا» فى بداية الأسرة الأولى .

والاسم الثالث الذى كان يعطى للملك عند تسلمه السلطة كان مسبوقا بلقب «نيسو بيت **Nisu-bit**» (شكل ٦٩ج) ، ويعنى «ذلك الذى ينتمى إلى نبات الحلفاء والنحلة» ونحن لازلنا لا نعلم المعنى الصحيح لهاتين العلامتين ولكن مما لاشك فيه أن نبات الحلفاء كان يمثل الوجه القبلى ، كما كانت النحلة تمثل الوجه البحرى ، وبذلك يتضح أن اللقب يمثل «ملك الوجه القبلى والوجه البحرى» ، وقد ظهر اسم نيسو - بيت ، أول ما ظهر على القطع الأثرية التى يرجع تاريخها إلى الملك «أوديمو» ، ولكن ذلك لايعنى بالضرورة أنه لم يكن مستعملا فى العصر السابق .



(شكل ٦٩) الأسماء «الألقاب» الملكية العظيمة الثلاثة

وتلك الأسماء المختلفة التى كان يحملها كل ملك قد سببت حيرتنا فى التعرف عليهم ، ذلك لأنه حينما يسود أهم الأسماء وهو الاسم الحوريسى على الآثار التى من هذا العصر ، نجد أن قوائم الملوك فى الأسرة التاسعة عشرة تستعمل أسماء نيسو بيت لهؤلاء الملوك ، ويظهر أن مانيتون قد استعمل الصيغة اليونانية لأسمائهم المسبوقة إما بألقاب «نيسو بيت» أو «نبتى» وأحيانا فقط نجد على الآثار المعاصرة ألقاب «حوريس» و«نبتى» و«نيسو بيت» بالتبادل .

فالملك كان كائنا منفردًا ، ولكنه عندما يمثل حوريس «الصقر الحى» كان حلقة الوصل بين الآلهة والناس ، وعلى هذا الأساس لايجب أن يعجز سواء من طول العمر أو من اعتلال الصحة ، وقد يكون من المحتمل أنه فى العصور الأولى ، عندما كانت تظهر على الملك

علامات تنبئ بضعف قواه ، كان يعزل بالموت ، ولكن هذا كان فى العصور السحيقة الغامضة ، وما أن بدأ عصر الوحدة بين القطرين حتى حل سحر الكهنة محل هذه العادة البربرية ، وبدلا من استبداله بالعنف كانت تجدد قوة الملك بواسطة الشعائر السرية فى «عيد سد» ومع أنه يبدو أن العيد قد اتخذ صيغة يوبيل لتأكيد سيادة الملك وتملكه لأرض مصر ، إلا أنه من المؤكد أنه كان أكثر من مجرد إحياء ذكرى اعتلائه العرش ، قد كان هذا العيد تجديدا ضروريا لشباب الملك ، إذ أن رخمارع يذكر لنا أن الملك «إله يتصرف فى حياة البشر» ، وعلى ذلك كانت الأمة جمعاء تهتم اهتماما بالغا بالاحتفال بهذه الطقوس الهامة ، وأحيانا كان العيد يقام بعد ثلاثين سنة من استلام الملك السلطة ، ولكنا استنادا إلى البيانات الواردة على حجر بالرمو كان بعض ملوك العصر العتيق يكررون الاحتفال بهذا العيد ، وعلى فترات أقصر بكثير من هذه المدة ومع أن معلوماتنا عن الاحتفال الفعلى لهذا العيد غير مؤكدة إلا أنه من المستطاع تفسير بعض مظاهره بوضوح معقول .

ولكى يحتفل بهذا العيد كانت تقام بعض المبانى التى تحتوى على قاعة عرش وقاعة للكسوة يغير الملك فيها رداءه وشعاراته طبقا للطقوس المختلفة الخاصة بكل من الوجهين القبلى والبحرى ، ولكن ساحة عيدسد «حب سد» كانت أهم هذه المبانى ، حيث كانت توجد فى كل من جناحيها هياكل لآلهة كل مقاطعة من مقاطعات الوجهين القبلى والبحرى* . وربما يبدو أن الملك وهو يرتدى بالتناوب شعارات كل من الوجهين القبلى والبحرى كان يجرى سباقا تفرضه الطقوس حول مضمار يسمى «الحقل» ، فكان الملك يجرى حول حدود الحقل أربع مرات بصفته حاكما للجنوب ، وأربع مرات أخرى بصفته حاكما للشمال ، ومن المحتمل أن «الحقل» كان يمثل مصر وأن السباق ربما كان يرمز إلى استحقاقه تملك البلاد ، وأيضا باعتباره منبع الخصوبة الوطنى ، فإن عمله هذا يجعل البلاد خصبة مثمرة .

وكانت هناك احتفالات أخرى تجرى خلال «عيد سد» مثل تقديم الطاعة للملك بواسطة «الأفراد العظام فى الوجهين القبلى والبحرى» ، ولكن المعنى الصحيح لعملية تجديد شباب الملك ليس مفهومًا للآن ، وكذلك أيضا معنى «حب سد» وهو اسم العيد ، ولكن مما لاشك فيه أن الأبحاث التى ستستجد فى هذا الموضوع الحيوى ستكشف لنا فى النهاية الأساس الأصيل لفكرة الملكية عند قدماء المصريين .

(*) مثل هذه المبانى لاتزال بقاياها قائمة فى مجموعة مبانى زوسر فى سقارة إلى الشمال من المدخل الشرقى .

(الحكومة)

كانت الحكومة الفعلية للدولة الموحدة حكومة مزدوجة ، مثلها فى ذلك مثل الملكية ، إذ نجد أن كلا من شعبى الوجهين القبلى والبحرى كان له مركزه الخاص بالإدارة ، والذى يتكون من مقر حاكم الأختام ومن بيت المال ، يضمهما ما يسمى فى الجنوب «البيت الأبيض» وفى الشمال «البيت الأحمر» .

وقد اختفت أو كادت صفة الازدواج فى حكومة مصر فى الأزمة التالية ، ولكن مما لاشك فيه أنها كانت قائمة خلال عصر الأسرتين الأولى والثانية ، وربما يبدو من البيانات الضئيلة التى لدينا أنه كان هناك وزيران أحدهما لمصر العليا والآخر لمصر السفلى ، ومن الواضح أن المظهر الوحيد لوحدة الإدارتين كان يتمثل فى شخص الملك .

وكان كل من الوجهين ينقسم إلى مقاطعات تمثل المساحات التى كانت تشغلها القبائل فى العصر السابق للأسرات ، وربما كان حكام هذه المقاطعات فى تلك الفترة المبكرة خلفاء لزعماء القبائل السابقين ، وكانوا «الأفراد العظام» الذين كانوا يسدون النصح للملك .

ونستطيع أن ندرك من أختام سدادات الجرار ومن البطاقات المكتوبة أنه كانت هناك إدارة مالية فعالة ، ورقابة مركزية للرى ، ونظام قضائى منظم ، وكل ما يدل على وجود جهاز إدارى حازم ، ونجد أيضا لقب «كاتم الأسرار» الذى ربما يوحى بما يسمى «إدارة الأمن» وهى ضرورة من ضروريات العصر الحديث .

(الطبقات الاجتماعية)

نستطيع ، بما حصلنا عليه من معلومات عن عادات الدفن فى مصر ، أن نميز ثلاث طبقات اجتماعية محددة خلال عصر الأسرتين الأولى والثانية ، وهذه الطبقات تتكون من الأشراف ، وموظفى الدولة وصناعها والفلاحين ، وأماكن دفن كل طبقة من طبقات السكان الرئيسية هذه ممثلة تمثيلا جليا فى المناطق المحيطة بعاصمة الملك مينا «الحائط الأبيض» منف .

فهناك خلف مدينة سقارة ما يبدو أنه مقابر الملوك وأفراد الأسرة المالكة وعظماء الأشراف ، مزودة بكل أثاث وضروريات الحياة العظيمة التحضر المترفة ، وهناك عبر النهر فى حلوان مقابر الطبقة الثانية من الأشراف وطبقات الموظفين ، وهى مشابهة فى تصميمها ، ومع أنها أصغر منها بكثير ، وأثاثها أقل ثراء ، إلا أنها تدل على مستوى رفيع فى الحياة ، أما طبقة الصناع فينحصر وجودها حتى الآن فى المدافن الجانبية التى تحيط بمقابر الملوك وعظماء الأشراف ، ولكننا نجد هنا أيضا مبانى جنائزية ، تعتبر نسخاً مصغرة لمقابر سادتهم ، وقد أحيطت جثث أصحابها المدفونة بعناية فى توابيت بالمأكل والمشرب واللوازم الضرورية لحرفهم المختلفة .

ونكتفى بهذا القدر عن حكام الدولة وأتباعهم المباشرين وخدمهم ، ويبدو أنهم جميعا يشكلون طبقة منفصلة تحكم وتدبر أمور عامة الشعب الذين ربما كونوا خلال الأسرة الأولى جنسًا منفصلا بذاته ، لكونهم خلفاء السكان الأصليين لوادى النيل قبل دخول جنس الأسرات ، ومقابرهم التى نجدها منتشرة فى مصر تعتبر تطورًا طبيعيّاً لمدافن الجزء الأخير من عصر ما قبل الأسرات ، وباستثناء المقابر الأكبر حجمًا لعظماء القرية ، فإن المدافن تتكون من حفرة قليلة العمق وبناء علوى مستدير ، وأثاث جنائزى متواضع ، وبمقارنتها بمدافن من ضحى بهم من خدم وصناع الأسرات تعتبر فقيرة ، وتحمل كل علامات طبقة الفلاحين من الشعب ، ولكن حوالى نهاية الأسرة الثانية ظهرت بوضوح نتائج الامتزاج الجنسى ، فهناك ما يدل على أن الطبقات الدنيا فى أجزاء كثيرة من مصر طبقت عادات الدفن الخاصة بسادتها ، وهى حقيقة يحتمل جداً أنها انعكست على كل مظاهر حياتهم اليومية .

ورغم أن الوثائق التى لدينا حتى الآن ضئيلة جداً ، بحيث لاتسمح بتحليل أكيد عن النظام الاجتماعى فى تلك الفترة السحيقة ، إلا أن الدلائل العامة تشير إلى أنها كانت ذات طبيعة إقطاعية أساساً بمعنى أن الشعب الكبير الذى يعمل بفلاحة الأرض والذى انحدر عن السكان الأصليين ، كان يخدم طبقة من الأشراف أرفع جنسًا وحضارة ، وكانت جمهرة الشعب تعمل فى الزراعة ، ولكن جزءاً من السكان كان لابد وأن يعمل فى المناجم والمحاجر ، وبناء مشروعات الرى ، والخدمة الحربية ، وبناء المعابد والقصور والمقابر .

ويبدو أنهم بالتدريج قد ازدادوا صلة بحكامهم نتيجة لنمو طبقة من الصناع كانوا قرب نهاية العصر العتيق سببا فى مزج الجنسين ، وهذه الطبقة تطورت فى العصور التالية إلى الطبقة الوسطى ذات الأهمية الكبيرة وذات الأصالة والقوة فى دولة الفراعنة .

الفصل الثالث

الجهاز الحربي

لقد شكل العسكريون فى ذلك الوقت العتيق قطاعاً هاماً فى المجتمع ، ومع أنهم كانوا يجندون فى الواقع من كل المستويات الاجتماعية للجنس السائد ، إلا أنه لايمكن اعتبارهم طبقة مميزة ، ومن المحتمل أن الجنود كانوا جميعاً من خلفاء الجنس السائد ، وذلك فى سنوات التكوين التى تلت الوحدة ، ولكن يبدو أنه بازدياد الهدوء فى البلاد ، ورسوخ قدم القوة الفرعونية امتد التجنيد للجيش إلى جمهرة السكان الأصليين .

تنظيم الجيش

كان الجيش فى العصور التالية يسير وفق النظام الإقطاعى ، ولدينا من الأسباب ما يبرر أن هذا النظام قد نشأ فى العصر العتيق ، إذ بامتداد سلطة ملوك طينة الأوائل أرغم زعماء القبائل المهزومة على تزويد سيدهم بالجنود ، ويبدو أن نظام الجيش نشأ هكذا وأن كل مقاطعة كانت ترسل شبانها لخدمة الملك تحت علمها القبلى الخاص ، ومن المحتمل أنه كان يقودها أحد رجال المقاطعة ، وليست لدينا أية معلومات عن وجود طبقة من الضباط أو حتى عن نظام القيادة ، ولكن من المؤكد أنه كانت هناك قيادة عليا للجيوش منفصلة عن قيادة الملك .

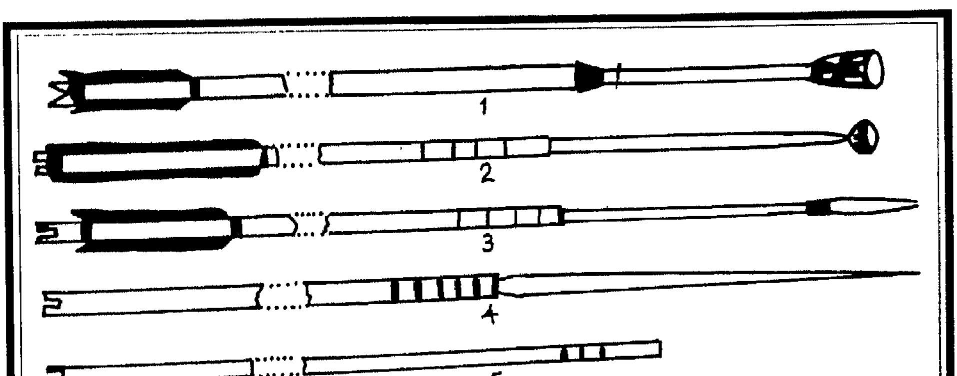
العتاد الحربي

إذا فحصنا المهمات الحربية التى كان مزوداً بها هؤلاء المحاربون القدماء نجد أنهم على ما يبدو لم يكن لديهم زرد للجسم ، أو حتى كانوا يحملون دروعا ، وكانت أسلحتهم تتكون من القوس والسهم والحربة والبلطة والدبوس والخنجر ، وكان القوس صغيرا لايزيد طوله على ثلاثة أقدام ، وكانت صورته على النحو المبين فى شكل (٧٠) ، وللأسف لم نعثر حتى الآن على الأقواس الخشبية لهذا العصر ، ونحن نعتمد فى معلوماتنا على التصميم المشتق من الصور التى رسمت على لوحات للفترة الأخيرة من العصر السابق للأسرات .



(شكل ٧٠) محاربون من العصر العتيق على لوحة الصياد.

ولكن فيما يختص بالسهام فإننا أسعد حظاً ، إذ قد عثر على مئات منها من أنواع مختلفة فى بقايا جعاب جلدية وجدت فى إحدى المقابر الكبيرة فى سقارة ، ويؤكد حجم هذه السهام وخفتها أن القوس كان صغير الحجم نسبياً ، ولم يكن من المستطاع أبداً تقدير حجمه إلا بصورته على اللوحات ، ويبدو أن الخمسة أنواع من السهام الموضحة فى (شكل ٧١) كانت شائعة الاستعمال ، ويبلغ متوسط طول النوع الأول ١٩,٥ بوصة ، وله رأس هلالية من حجر صلب مثبتة فى الجزء العلوى من عصا قصيرة من العاج ، كانت تغمد فى قصبة مجوفة من البوص لها فى أسفلها ريشتان مثبتتان بالصمغ والخيط ، كما أن لها حزاً على شكل الرقم ٧ لحبل القوس ، وهذا النوع من السهام برأسه الهلالية ظل مستعملا فى مصر حتى الأسرة الثامنة عشرة والنوع الثانى له أيضاً رأس هلالية من حجر صلب ، ولكنه أصغر



(شكل ٧١) أنواع السهام

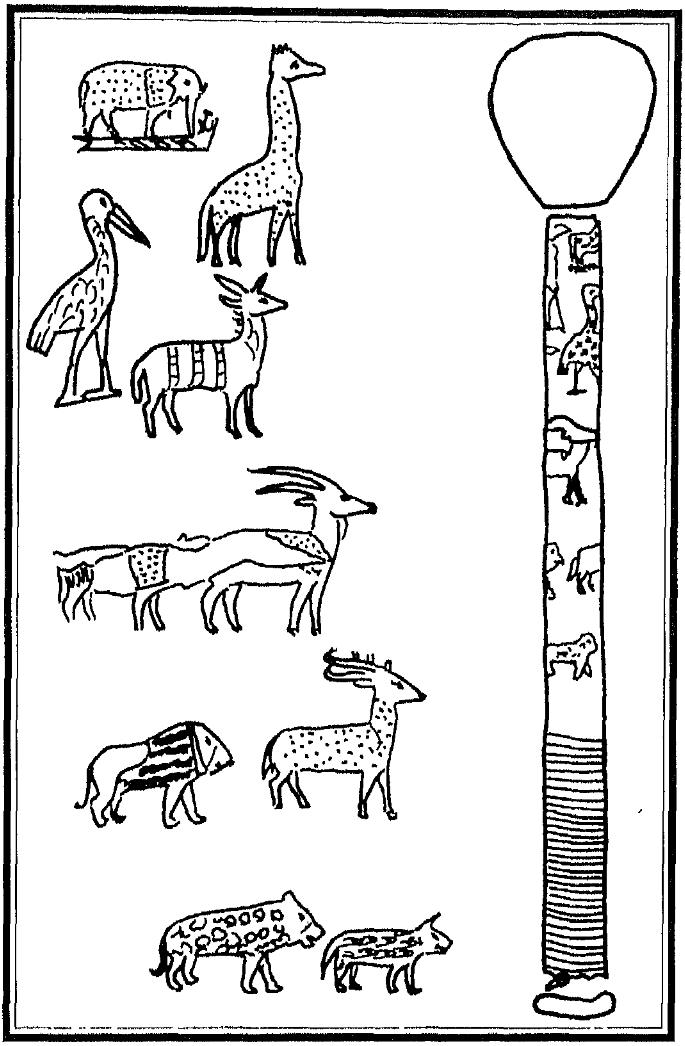
حجما ، ويلتصق بعصا عاجية مغمدة فى قصبة بوص لها أيضاً ريشتان من أسفل ، ولكن حز حبل القوس مقطوع على شكل مربع ، بدلا من شكل ٧ الخاص بالنوع السابق ، أما النوع الثالث ، فله رأس مدببة صنعت من فك سمكة صغيرة ملتصق فى عصا من العاج ، والقصبة البوص لها فى نهايتها ريش وقطع مربع الشكل ، ويختلف النوعان الرابع والخامس فقط فى حجم الرأس ، وهى عبارة عن طرف مستو من العاج قد غمد مباشرة فى قصبة البوص ، وسهام هذين النوعين لايوجد بهما ريش ، لأنه كان يعتبر ضروريا فقط فى السهام ذات الرءوس السيئة التثبيت فى الأنواع الأول والثانى والثالث ، ومن المهم أن نلاحظ أن سهام النوعين الثالث والخامس كانت لها رءوس مطلية باللون الأحمر ، إما للدلالة على أنها كانت مسممة ، أو لأنها تشير إلى قوة سحرية خفية تجذب السهم إلى دم الهدف .

وهناك نوع من السهام أثقل وزنا وله نصال من الظران ، وهذا النوع من السهام كان أيضا شائعًا جدًا .

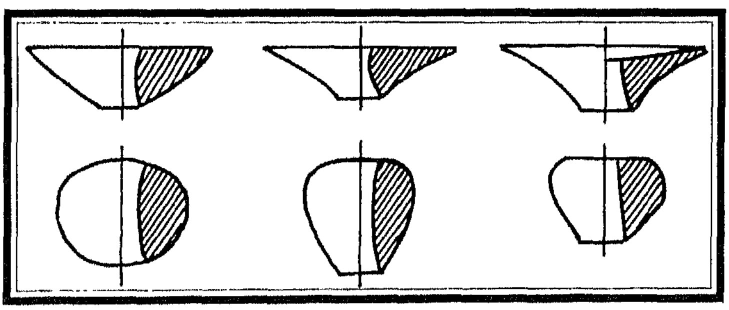
وقد عثر على حراب للطعن لها نصال من النحاس والعاج ، ولكن يحتمل أن هذه الحراب كانت تمثل أسلحة من النوع الرفيع الخاصة بالأشراف ونستطيع أن نستنتج من ذلك أن الحراب ذات النصال الظرانية كانت شائعة الاستعمال بواسطة الضباط والجنود .

ومن الأسلحة الشائعة الاستعمال أيضا بلطة الحرب ذات المقبض القصير ، سواء بسلاحها الحجرى أو النحاسى ، وكانت رأس البلطة تربط فى المقبض بواسطة سيور من الجلد ، وهناك لوحة يرجع تاريخها إلى أواخر العصر السابق للأسرات ، وتظهر عليها صورة محارب يحمل بلطة حرب ذات رأس مزدوجة ، ولكن لم يعثر فعلاً على سلاح من هذا النوع .

ومن الأسلحة المفضلة : الصولجان ذو المقبض القصير والرأس الحجرية التى كانت على نوعين . أما أكثر أنواع الرءوس شيوعاً فقد كان الشكل الكمثرى ، كما هو موضح فى الشكلين ٧٢ ، ٧٣ب ، وكذلك فى المناظر التى يحتفل فيها الملك بقتل عدوه المهزوم ، إذ تراه دائماً ودون أى تغيير قد أمسك بهذا السلاح (شكل ٤) ،أما رءوس الصولجانات العظيمة المستعملة فى الاحتفالات ، وذات الشكل الكمثرى والتى كان يحفر عليها مناظر لها أهمية تاريخية فكانت تحفظ فى المعابد ، ومن الأصح أن النوع الثانى من الصولجانات وهو المبين فى شكل (٧٣أ) كان سلاحاً خفيفاً ربما كان مقبضه قصيراً وكان يستعمل فى المعارك الطاحنة .



(شكل ٧٢) المقبض الذهبى لصولجان من النوبة له رأس حجرية.

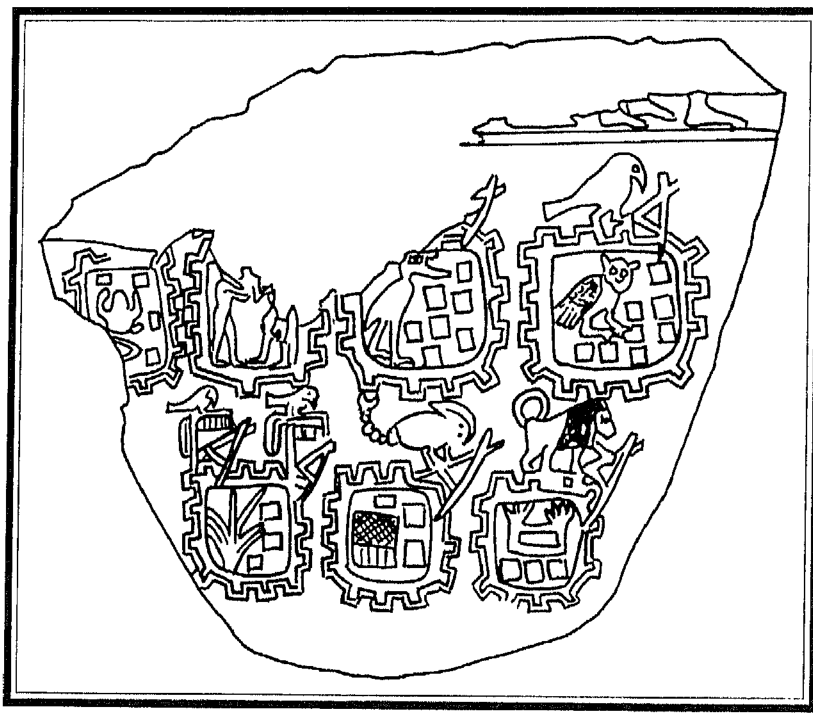


(شكل ٧٣) أنواع الرءوس الحجرية للصولجان.

وكانت للخناجر نصال من الظران أو النحاس ومقابض من الخشب أو العظم أو العاج ، وكان هذا السلاح يحمل فى الحزام

الاستحكامات

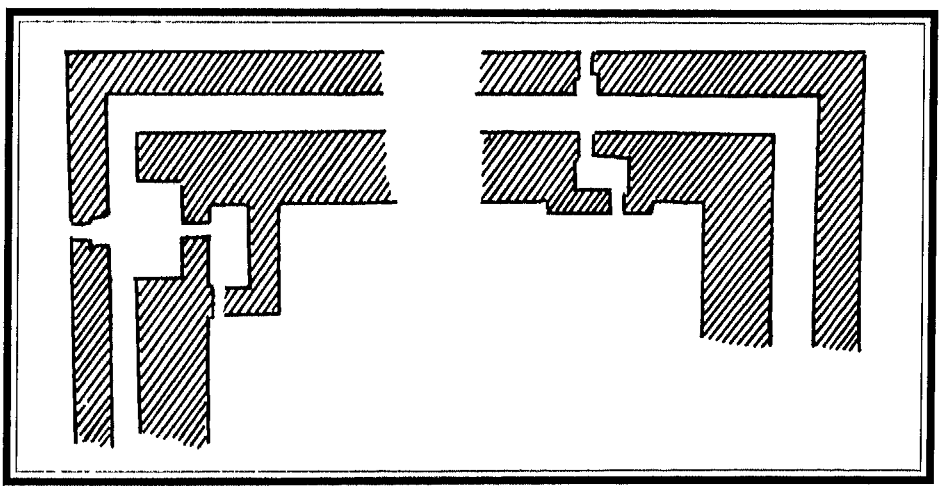
ليست لدينا بالطبع أية شواهد عن الطريقة التى كان هؤلاء المحاربون القدماء يحاربون بها ، وعما إذا كانوا يقتحمون المعارك فى وحدات منظمة أم يندفعون إليها كالغوغاء وراء قائدهم المختار ، ولكن إذا ما تدبرنا الأمر فى ضوء الرسوم التفصيلية لألويتهم القبلية ، وتباين الأسلحة التى يحملها المحاربون على لوحة الصيد (اللوحة ١ب) ظهر لنا أن جيوش هؤلاء الملوك الأوائل كانت تتكون من جماعات محاربة ذات تنظيم سديد ، تنقسم إلى رماة السهام وضاربى الرماح إلى غير ذلك ، وكان يقودهم بكفاءة قواد من قبائلهم ، وتلك القوات ذات التنظيم الرائع كان فى استطاعتها وحدها أن تكتسح المدن الحصينة ، التى نعلم أنها كانت موجودة حيث أن الرسوم التقليدية على اللوحات والبطاقات تبين الصقر الرمزى وحلفاءه يحطمون الجدران الحصينة لمعسكرات الأعداء أو بلدانهم (شكل ٧٤) .



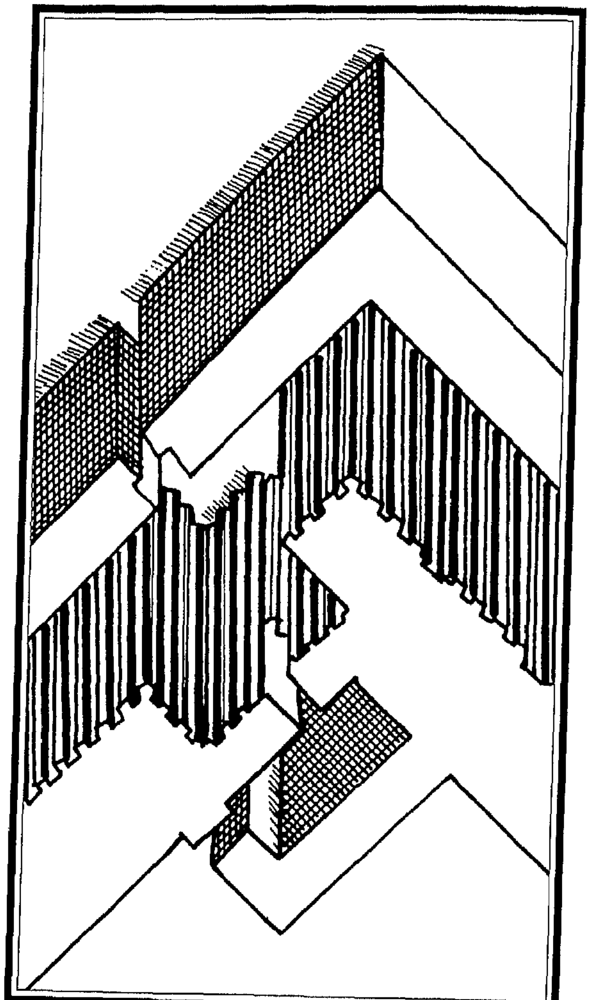
شكل (٧٤) جزء من لوحة تبين معسكرات أو مدنا لكل منها سياج محصن.

ويمكننا إدراك المقصود من هذه الأسوار المحصنة إذا فحصنا ما نسميه قلاع «خع سخموى» وبر إيب سن فى أبيدوس ، ولاتزال هذه الأسوار الهائلة موضع جدال ، ولكن مما لاشك فيه أن تاريخها يرجع إلى النصف الثانى من الأسرة الثانية . وقد وصفت تارة بأنها حصون ، وتارة بأنها معابد الوادى المرتبطة بالمقابر الملكية المجاورة ، ولكنى أعتبر من المحتمل أنها كانت أسواراً تحيط بالمسكن الجنوبى للملك ، ومع أنه لايمكن وصفها كقلاع ، فإن لها مظاهر لايتطرق إليها الشك تنم عن العمارة الحربية .

فالمبنى المنسوب إلى خع سخموى مستطيل الشكل ، وذلك استناداً إلى ما تشير إليه أختام الجرار ، وله جدران مزدوجة يفصلها عن بعضها البعض ممر ، وتبلغ الأطوال الكلية لهذا المبنى ٤٦٥ قدماً من الشمال إلى الجنوب و٢٥٠ قدماً من الشرق إلى الغرب وسمك الجدار الخارجى ١١ قدماً ، كما أن سمك الجدار الداخلى الرئيسى ١٨ قدماً ، وربما يبلغ ارتفاعها على الأقل ٣٠ قدماً ، وكان لهذا المبنى أربع بوابات ، الرئيسيتان منها تقعان فى الركنين الشمالى الشرقى والجنوبى الغربى ، وقد صممتا وفق المبادئ الحربية السليمة للدفاع (شكل ٧٥ ، ٧٦) أما مبنى بر - إيب - سن فهو أقل حجماً ، وله جدار واحد فقط ، ولكن البوابة الباقية منه توضح نفس مبدأ الدفاع السابق ، وهناك مبنى عظيم آخر من نفس الطراز فى هيراكونبوليس ، ومع أننا لم نوفق لمعرفة تاريخه المحدد ، إلا أنه يبدو أن هذا المبنى يرجع أيضاً إلى العصر العتيق .



(شكل ٧٥) مسقط أفقى لبوابات محصنة.



(شكل ٧٦) منظر أكسونومترى لبوابة محصنة.

الفصل الرابع

الديانة
الآلهة

إن معلوماتنا عن الديانة فى مصر فى العصر العتيق تحددها بالضرورة قلة الوثائق المكتوبة ، غير أنه مع تقدم أعمال البحث العلمى ، أمكننا التعرف على آلهة أكثر وأكثر ، ممن عرفوا بعد ذلك معرفة تامة فى العصور التالية ، بأنهم كانوا موضع عبادة المصريين فى أقدم الأزمنة .

كانت هناك قبل توحيد القطرين عدة طقوس دينية لا يرتبط أحدها بالآخر ، وتعتبر محلية بحتة ، انفرد كل منها بعبادة إله القبيلة . وكان تطور هذه الطقوس جزءاً من تطور مصر السياسى ، وحين اتحدت مناطق القبائل فى إمارات وأخيراً فى مملكتين منفصلتين إحداهما فى الشمال والأخرى فى الجنوب ، نشأت الديانة التى ربطت بين آلهة القبائل . فلم تبطل عبادة إله القبيلة المهزومة ، بل كان إلهها يضم إلى معبود القائد المنتصر ، الذى كان يحل محل سلفه المهزوم كابن للإله .

وفى العصور التالية أصبحت آلهة القبائل آلهة للمحافظات ، ينظم الملك حقوقها ، كما يطلب حمايتها أسوة بما كان يفعله أى زعيم نسيه الدهر فى عصر ما قبل التاريخ .

وعندما توحد القطران كانت قبائل الجنس الحاكم فى الشمال والجنوب تتخذ إله السماء حورس[1] معبوداً أعظم ، وكان يرمز إليه بالصقر ، بينما يبدو أن سلالة عامة الشعب اتخذوا من الإله ست معبوداً أساسياً ، وفى الأزمنة الأولى كان أتباع ست يمثلون قطاعاً قوياً من سكان وادى النيل ، ويقطنون منطقة واسعة فى الصعيد مركزها أمبوس[2] (فى محافظة قنا) . وقد كانوا من القوة بحيث أن إلههم ست أصبح فى وقت ما نداً لحورس ، بل وفى إحدى الفترات خلال الأسرة الثانية حل ست محل حورس كمعبود ملكى . ونجد صدى العراك بين أتباع حورس وأتباع ست محل فى أساطير العصور التالية التى تروى انتصار الخير ممثلاً فى حورس على الشر ممثلا فى ست .

---

(١) حوريس هو التحريف اليونانى للاسم المصرى حور أوحر وينطق باللغات الحديثة حورس .

(٢) كوم أمبو .

أما عن أصل حورس فلا نعلم عنه شيئاً . ولكن من المؤكد أنه عندما تم توحيد القطرين عرف كإله سماوى . وكانت ديانة الملك الذى يمثل حورس الحى ديانة متعلقة بالسماء على نحو ما كانت عليه تماماً فى العصور التالية . وكان من المعتقد عامة قبل الاكتشافات الحديثة فى سقارة ، أن عبادة الشمس أصبحت ديانة الدولة الرسمية فى عصر بناة الأهرام فقط ، ولكن وجود حفر للمراكب الجنائزية ملحقة بالمقابر الكبيرة فى سقارة ووجودها بعد ذلك مع مدافن الأشراف فى حلوان ، يبين أن الاعتقاد الأولى فى أن الميت يجب أن يلحق بصحبة الآلهة فى رحلتها عبر السماء ، كان اعتقاداً مقبولاً بصفة عامة منذ بداية الأسرة الأولى . وسرعان ما أدمجت الآلهة الأخرى للجنس الحاكم فى دائرة عقيدة السماء ، وكان معظمها آلهة محلية وقبلية الأصل ، بينما ظلت جماهير الشعب خلفاء السكان الأصليين ، الذين كانوا فى السنوات الأولى من الحكم الملكى المزدوج يشكلون جماعة من جنس منفصل تماماً ، تدين بالولاء لآلهة أجدادهم القبلية وعلى رأسهم جميعاً الإله ست . وكلما ازداد اندماج هذين الجنسين الرئيسيين الواحد منهما بالآخر بتأثير الاستقرار الذى نشأ عن حكم الأرضين الموحد ، امتزج الكثير من هذه الآلهة القديمة فى عبادة الشمس وقد زالت عنها صفاتها الأصلية . ولكن ست لم يدمج وظل طوال عصور التاريخ المصرى معبوداً قائماً بذاته . ولأسباب سياسية فى العصر العتيق كانت عبادته ملتقى شعب ما قبل الأسرات المنتشر فى شتى أنحاء مصر . ولا يمكننا تجاهل وجوده إلا فى فترات قصيرة معينة ، وغالبا لظروف سياسية ملائمة اعتبر تجسيدا للشر ، حتى أنه فى العصور الإغريقية عرف باسم تيفون[1] . أما فى الفترة التى نعالجها ، فمن المرجح أن ست كان معبوداً خيِّراً لجزء كبير من سكان الوادى ، قبل أن يصبح جزءاً من عقيدة أوزوريس بزمن طويل سوف أتكلم عنها فيما بعد . وكان يمثل ست حيوان غير معروف يشبه الكلب ، له ذيل قائم نهايته مشقوقة ، وله رأس كرأس حيوان آكل النمل بأذنين عاليتين طرفاهما مربعان .

وهكذا كان بمصر فى عهد بداية الأسرات عقيدتان متباينتان متصارعتان ، لم يتم توحيدهما بصفة مؤقتة إلا فى نهاية الأسرة الثانية لمأرب سياسى . ومع ذلك فقد كانت هناك ديانات أخرى رئيسية ، وخاصة ديانة رع فى عين شمس ، وبتاح فى منف ،

---

(١) Typhon إله الشر عند اليونان . (المترجم)

وأوزوريس فى أبو صير ، ومين فى قفط . تلك الآلهة التى رغم أنها أدمجت تدريجياً فى نوع من الوحدة النظرية ، إلا أنها قد بقيت بعد الوحدة مباشرة مستقلة إلى حد بعيد . ولا شك أن المصريين لم يصلوا حقاً إلى وحدة دينية معقولة ، فلم ينجح علماء الدين قط طوال عصور التاريخ المصرى فى تشكيل ديانة جامعة لم تعقدها التناقضات .

ويبدو أن عبادة إله الشمس رع نشأت فى عين شمس ، التى ظلت مركزاً لعبادته حتى ظهور المسيحية . وعرف الإله رع بأنه الشمس نفسها وصور بقرصها . وحينما أسس ملوك طينة العاصمة فى منف ، ربما تأثروا بنفوذ كهنة عبادة الشمس ، التى يبدو أنها كانت راسخة قبل توحيد القطرين بكثير . وربما كانت النتيجة النهائية لذلك اندماج إله السماء حورس مع إله الشمس رع فى معبود مزدوج واحد «رع حوراختى» كما أصبح الملك ممثل حورس على الأرض ابناً لرع ، ولكن يبدو أن هذا الاندماج لم يحدث حتى الأسرة الثانية ، رغم أن رمز الشمس المجنحة يظهر فوق الاسم الحوريسى للملك أو ادجى (الثعبان) على مشط وجد فى أبيدوس (شكل ١٤٦) .

وحينما اختار مينا موقعاً لعاصمته فى منطقة قرب رأس الدلتا ، برز على الفور الإله المحلى للمنطقة المجاورة ، ذلك هو الإله بتاح الذى أصبح خالق الكون طبقاً لعقيدة منف . وربما كان أصل هذا الإله رجلا عبقرياً طواه النسيان لزمن بعيد ، إذ إنه بخلاف مجموعة الآلهة المصرية لم يأخذ صورة حيوان ، ولم تكن له صلة بواحد من هذه الحيوانات ، وقد مثل فى شكل رجل فى لفائف مومياء ، لا يغطى رأسه سوى قلنسوة ضيقة ملاصقة لعظام الرأس .

وظلت عقيدة بتاح قوية طوال التاريخ المصرى ، وخاصة بين الطبقات المثقفة ، وهى بخلاف عقائد الآلهة الأخرى كانت تسودها الروحانية ، وبلغت مستوى رفيعاً من التفكير الدينى أكثر من مستويات العقائد المصرية الأخرى التى غلبت عليها المادية .

ورغم أن بتاح لم يرد ذكره بصورة محددة فى أية وثيقة من ذلك العصر ، إلا أنه من الممكن أن الشخص المسجى فى لفائف المومياء المحمول فى المواكب المصورة فى بطاقة الملك دجر (شكل ٢١) إنما هو صورة له . ويقول مانيتون إن مينا بنى معبداً لبتاح فى منف ، كما أن سجلات الأسرتين الأولى والثانية فى حجر بالرمو تذكر عيد سكر إله جبانة منف وشبيه بتاح . وإلى عهد قريب كنا نتساءل عما إذا كانت عبادة أوزوريس قد تطورت فى العصر العتيق حتى أظهرت كشوف حلوان لعلامة الجد التى تمثل هذا

الإله وأنشوطة الحزام لإيزيس زوجته (وترجعان إلى عهد الأسرتين الأولى والثانية) أن تلك العبادة التى كتب أن تكون أكثر العبادات تفضيلاً لدى شعب مصر خلال تاريخها الطويل ، كانت قائمة فى ذلك العصر . ورغم ما لهذه العقيدة من مميزات عبادة الطبيعة ، إلا أنها كانت فى الأصل تقديساً للملك المتوفى ، ويبدو أن أسطورة أوزوريس كانت صدى لأحداث طواها الدهر منذ أمد بعيد ، حدثت فعلاً ، وربما كانت تلك الأحداث غير مرتبطة أصلاً ، وترجع إلى عصور مختلفة اندمجت فيما بعد فى قصة أخلاقية للكفاح بين الخير والشر . إنها أسطورة اغتيال الملك الطيب أوزوريس بيد أخيه ست ثم الثأر لمقتل أوزوريس وإعادة توطيد دعائم الحكم بواسطة ابنه حورس الذى أسس سلسلة من أنصاف الآلهة انحدر منهم الفراعنة . وكلها تشير إلى أحداث ربما كانت ذات صلة بمعارك ما قبل التاريخ ، بين طوائف الأسرات الملكية وسكان وادى النيل الأصليين . ومن العبث أن نبدى رأياً ونحن على هذا القدر من المعلومات ، ولكن العثور أخيراً فى حلوان على دليل بوجود أوزوريس وإيزيس فى الأسرة الأولى يوحى بأن علاقة حورس الإله الملكى بأوزوريس رمز الملكية فى الحياة الأخرى لم تكن أبداً نتيجة الحيل الدينية فى العصور التالية ، بل ربما كانت تستند إلى أساس تاريخى .

كان المركز الأصلى لعبادة أوزوريس فى أبو صير [1] ، ولكنه لم يكن الإله الأول لذلك المكان فقد حل فيه محل معبود أقدم يدعى عندجتى ، وأخذ منه بعض مظاهر شعاراته كريشتى التاج وعصا الراعى المعقوفة ، وليس لدينا صورة لأوزوريس فى العصر العتيق ، ولكن صورة الملك أوديمو فى بطاقة حماكا ، التى تمثله جالساً على شكل مومياء (شكل ٣٧) ، تعتبر سابقة دقيقة لمظهر الإله كما صورته الآثار فى العصور التالية ، حتى أن بعض المؤرخين اعتبرها خطأ صورة أوزوريس ، بينما هى تمثل الملك فى لباس الموتى فى احتفال عيده الثلاثينى (عيد سد) .

ونعرف أيضاً معبودات أخرى أقل أهمية عبدت فى العصر العتيق ، منها آنوبيس إله الموتى وحامى الجبانة الذى كان شخصية هامة فى أسطورة أوزوريس ، وقد مثل فى العصور الأولى فى شكل ذئب أو كلب قابع . وقد ذكرت أعياد أنوبيس فى سجلات الأسرة الأولى فى حجر بالرمو .

وكذلك أكر **Aker** الإله الكونى ، وكان يصور على هيئةمقدمتى أسدين ملتصقتين كل منهما على عكس اتجاه الأخرى . وكان المفروض فى أكر أن يحرس الأفقين ،

---

(١) مركز سمنود غربية . (المترجم)

وكانت الشمس تدخل فى فم أحد الأسدين فى المغرب وتخرج من فم الأسد الآخر فى الفجر . وفى الأدب الدينى فى العصور التالية صور أكر على هيئة أسدين كاملين جالسين وقد ولى كل منهما ظهره للآخر ، ووصفا بأنهما يمثلان اليوم والغد .

وكان أبيس العجل المقدس على منف . وكانت عبادة الثور راسخة قبل الوحدة بكثير ، وربما قبل مجىء الجنس الذى تنتمى إليه الأسرات المالكة . فهذا الحيوان فى نظر المصريين كان يرمز إلى القوة فى الحرب وفى الإخصاب ؛ وعلى ذلك كان يعتبر مقر قوة خارقة ، وكان أبيس صورة للإله بتاح كاشفة له . ويذكر لنا المؤرخ الكلاسيكى أيليان (**Aelian**) أن مينا هو الذى أقام عبادة الثور . والأدلة الأثرية تشير إلى تأييد ذلك ، فلا شك أن تلك العبادة كانت قائمة إبان الأسرة الأولى ، لأن ملوك الأسرات الأولى غالباً ما صوروا على شكل ثيران ، وربما اعتنقوا عبادة الثور ، وهى عقيدة أهل الشمال ، لأسباب سياسية وبصفة خاصة عبادة أبيس ، التى ربما تكون قد نشأت قبل أول ملوك مصر المتحدة بزمن طويل .

هذا وقد ذكر أيضاً اسم حرشاف **Harishaf** الكبش المقدس فى سجلات الأسرة الأولى فى حجر بالرمو . وكانت عبادة الكباش شائعة منذ الأسرة الأولى شأنها فى ذلك شأن عبادة الثور وربما لنفس الأسباب .

وكانت حتحور إلهة للسماء على شكل بقرة ، واعتبرت فى العصور التالية ربة الحب والمرح ، وصورت على هيئة بقرة أو امرأة برأس بقرة أو برأس آدمى له قرنا البقرة وأذناها . ولكن فى عصور الأسرات الأولى يبدو أن حتحور كانت الصورة النسائية لحورس ، لا سيما وقد كان اسمها يعنى «بيت حورس» .

وكان «خنت أمنتيو» إلهاً للموتى فى أبيدوس وتشبه بأوزوريس حتى أنه مثل فى العصور التالية فى صورة مماثلة له .

كما كانت ماتيت أو محيت إلهة فى شكل لبؤة لبلدتى هير اكونبوليس وطينة . وقد مثلت فى كثير من أختام الأسرة الأولى فى شكل لبؤة جاثية يبرز من ظهرها ثلاثة أو أربعة قضبان منثنية ، كما تبدو بنفس هذه الصورة أمام مقصورتها من الأغصان المضفورة التى كانت العلامة المخصصة للبيت الكبير ، أو قصر الملك فى العصور التالية .

وذكرت أيضاً الإلهة «مفدت» ، وهى على شكل قطة ، فى وثائق الأسرة الأولى المدونة على حجر بالرمو . وصورت فى العصور التالية فى شكل امرأة مرتدية جلد القطة وكانت تعتبر الواقية من غصن الثعبان .

وكان الإله «مين» حارساً للمسافرين وكانت مملكته الصحراء الشرقية كلها ، ومركز عبادته فى أخميم وقفط ، فى الطرف الغربى من طريق وادى الحمامات التجارى العظيم . وكان يمثل على هيئة رجل انتصب جنسياً ، وقد لف جسمه فى صورة مومياء بذراع مرفوعة تمسك سوطاً ، وعلى رأسه ريشتان طويلتان . وكان مين إلهاً وطنياً عريقاً فى القدم ، وقد وجد له تمثالان فى قفط ، ربما يرجعان إلى عصر ما قبل الأسرات ، وربما يمكن اعتبارهما أقدم أمثلة للتماثيل الكبيرة فى وادى النيل .

وكانت الإلهة نخبت حارسة لهيرا كونبوليس (نخب - الكاب) ولما امتد نفوذ السكان بالغزو من هذا المركز أصبحت نخبت الإلهة الحارسة لمصر العليا . وفى العصور التالية غالباً ماصورت نخبت فى شكل امرأة برأس رخمة[١] بتاج أبيض ، أما فى العصر العتيق فكانت تصور دائماً ببساطة فى شكل رخمة ، وكانت أولى السيدتين فى الاسم الملكى نبتى «السيدتين» .

وكانت «نيت» إلهة لمدينة سايس[٢] فى الجانب الغربى من وسط الدلتا ، وكان يرمز إليها بدرع وسهام متقاطعة إشارة إلى طبيعتها كإلهة للصيد وللحرب ، وقد استخدم هذا الرمز فى فترة قديمة تسبق عصر توحيد القطرين هذا وكانت عبادتها منتشرة فى العصر العتيق (موضوع هذا الكتاب) فاعتبرت من الآلهة الرئيسية لمصر السفلى . وأقدم معبد لدينا عنه أدلة قاطعة من عصر الملك حورعحا (مينا) هو معبد هذه الإلهة . ولنا الحق أن نعتقد أن ملوك طينة تزوجوا من أميرات الوجه البحرى ليدعموا حقهم الشرعى فى حكم الشمال ، وثلاث من تلك الملكات الأوليات اللاتى وردت أسماؤهن إلينا يحملن اسم نيت كجزء من أسمائهن وهن : نيت حتب ومريت نيت وحرنيت .

هذا وقد ذكر الإله سد فى وثائق الأسرة الأولى بحجر بالرمو ، وكان إلها للموتى ، وربما اتخذ صورة «وبواوت **Wepwawet**» فقد رسم فى شكل ذئب واقف على أحد ألوية الأقاليم .

وكانت سشات إلهة للدراسة ، وقد اعتقد فيما بعد أنها تسجل على أوراق شجرة السماء كل أعمال وأعمار البشر والآلهة . وقد رمز إليها بنجم على صار يعلوه ما يبدو أنه قرنان فى وضع مقلوب .

---

(١) طائر العقاب ويشبه النسر .   (المترجم)

(٢) وهى صا الحجر مركز بسيون غربية .   (المترجم)

وترجع عبادة سشات إلى الأسرة الأولى ، فقد كانت تسجل فى حوليات حجر بالرمو أحداث (فرد الحبل) أو قياس رسم أرض معبد بمعرفة كاهن الإلهة . ومن الجلى أن هذا التخطيط الرمزى للمبانى المقدسة كان من أعمال كهنة الإلهة سشات .

ومن الواضح أن تحوت إله القمر وراعى العلوم كان يعبد منذ الأسرة الأولى ، فقد وجد قرد (**Gynocephalus**) وهو أحد حيواناته المقدسة إلى جانب طائر أبيس على أثرين من عهد أوديمو . كما يظهر لواؤه أيضاً على لوحات العصر السابق للأسرات ، وعثر على هيكل له يرجع ولا شك إلى عصر الملك نعرمر .

وكانت وادجيت الإلهة الأفعى لمدينة بوتو وحامية الوجه البحرى ، وكانت ثانية السيدتين فى اسم (نبتى) الملكى .

ويبدو أن وبواوت (فاتح الطرق) كان فى الأصل إله حرب يقود الملك إلى المعركة ، ولكنه فى العصور التالية أصبح إلهاً للموتى ، وعلى هذا الاعتبار شبه بأنوبيس ، وصور فى شكل ذئب واقف على لواء مقاطعة .

ومعظم آلهة العصر العتيق الذين عرفناهم اتخذوا صور حيوانات أو رموزا ، ولكن فى الأسرة الثانية حدث تطور أدى إلى تجسيد هذه الحيوانات آدمياً ، فلدينا أمثلة لحورس وست فى هيئة آدمية لكن لهما رأس طائر أو حيوان .

وخلاصة القول أن المادة العلمية المحدودة التى لدينا فى الوقت الحاضر تبين أن كثيرا من الآلهة الذين عرفوا جيداً فى العصور التالية كانوا موجودين فعلاً فى عصر الأسرتين الأولى والثانية .

وربما اختلفت خصائصها ، ففى كثير من الحالات كانت عملية التمثيل فى مراحلها الأولى فقط ، ولكن الخطوط الأساسية للمفاهيم الدينية فى العصر التالى كانت قد أدركت تماماً ، وكانت العبادتان الكبيرتان لرع وأوزيريس فى تنافس متطور جنباً إلى جنب ، ورغم أن الديانة الثالثة الكبرى للإله ست كتب عليها أخيراً الامتهان ، إلا أنه كان لها فى ذلك العصر المبكر أتباع عديدون . وكانت هناك جهود لتبرير الآراء الدينية عقلياً ، ولكن التناقضات وعدم الاستقرار الدينى الذى نلمسه فى العصر العتيق لم ينمح بصورة نرضى عنها فى العصور التالية .

العبادة والطقوس

يعوزنا الدليل على طريقة العبادة والطقوس الدينية فى العصر العتيق ، غير أنه من المحتمل أنها كانت تختلف قليلاً عنها فى العصور التالية ، حين كان الكهنة يقومون بتأدية الطقوس الدينية للآلهة فى داخل الهيكل ، بينما كان عامة الشعب مبعدين عن هياكل المعبد الداخلية . وكان الناس يشاهدون تمثال الإله أو رمزه عندما كان يحمل خارج المعبد فقط فى مواكب الأعياد . وإذا حكمنا بناء على ما ورد فى سجلات حجر بالرمو كانت هناك أعياد كثيرة لعديد من الآلهة . ومن الواضح أن مراعاة الشئون الدينية كانت ذات أهمية فى حياة الأمة الحديثة العهد بالوحدة على نحو ما كانت عليه طوال مئات السنين من تاريخ مصر . ومعلوماتنا الضئيلة عن المعابد لا تعدو الرسوم البدائية على البطاقات وأختام سدادات الجرار ويبدو أن هذه المعابد كانت عبارة عن مبان خشبية بدائية نوعاً ما ، وقد كان المصريون على درجة من التحفظ حتى أنهم فى الوقت الذى استطاعوا فيه تشييد مثل تلك المبانى الرائعة التصميم والتناسق ، كمقابر سقارة العظيمة التى أعدت لسكنى الآلهة ظلوا متمسكين بتصميمات أجدادهم القديمة ، ولا شك أن تصميم هذه المبانى الدينية القديمة ظل قائماً فى مبانى الهياكل الداخلية لمعابد العصور التالية . ومن المحتمل أيضاً فى العصر العتيق أن البيت الخشبى للإله كما هو مبين فى لوحة حورعحا الخشبية ، كان يمثل المقصورة الحقيقية للإلهة نبت ، وربما كان يحيط بها مبنى معبد ضخم .

عادات الدفن

كانت عادات الدفن والمعتقدات الدينية لدى الجنس الحاكم فى مصر فى العصر العتيق صورة فى جوهرها مطابقة لعادات خلفائهم فى العصور التالية ، ولكن خلال الجزء الأكبر من العصر العتيق كانت جمهرة الشعب من أبناء السكان الأصليين يتبعون تقاليد أسلافهم الجنائزية ، ولم يطبقوا تقاليد الدفن الخاصة بحكامهم إلا قرب نهاية الأسرة الثانية ، لا سيما فى مناطق العواصم الكبيرة حيث تطور الاختلاط بين الحاكمين وبين عامة الشعب إلى درجة كبيرة .

ومهما كانت عقائد المصرى الدينية ، فقد اعتقد اعتقاداً راسخاً فى حياة ما بعد الموت ، وسواء أكان المتوفى يصحب إله الشمس فى رحلته فى السماء أم يقيم مع أوزيريس فى العالم السفلى ، فقد اعتقد أن جزءاً حيوياً منه ظل على مقربة من الجسد ، لذلك وجب حفظ الجسد حتى تتمكن تلك القوة الحيوية من العودة إليه لتنعم بالطعام والشراب والأثاث وأدوات التسلية الرياضية والأسلحة . وفى الحقيقة كانت أدوات الترفيه كلها فى خدمة المتوفى فى العالم الآخر ، شأنها شأن خدم الملوك الذين كانوا يصحبون سادتهم عند الوفاة . وصممت المقبرة كتصميم المنزل فألحق بها فى معظم الأحوال حدائق على نحو تلك التى كانت تحيط بالمنزل ، ونجد أيضاً فى بعض مقابر الأسرة الثانية دورات مياه مبنية قرب غرفة الدفن فى المبنى السفلى من المقبرة . وفى الحقيقة اعتقد المصرى فى إمكان أخذ هذه الأشياء معه ، ومن ثم كان لابد وأن يمثل الجهاز الجنائزى الفخم جانباً كبيراً من ثروته المادية التى جمعها فى حياته .

وفى الوصف التالى لنماذج مدافن مختلف طبقات المجتمع خلال ٤٥٠ سنة من تاريخ العصر العتيق يمكننا ملاحظة تطور النبوغ المعمارى لهؤلاء القوم ، فقد كان التغيير يتلو التغيير بما يدل على اطراد التقدم الذى جلبته وحدة البلاد . ولم تكن كل هذه التغييرات نحو الأفضل ، فقد أملتها زيادة حيطة مصممى العمارة الجنائزية إزاء أخطار سرقة المقابر ، فلكى يصونوا متاع الميت القيم حفروا غرف الدفن على عمق أكثر ، وصانوها بسدادات حجرية للغلق . ومن المحتمل أن تغييرات أخرى قد نشأت نتيجة لتطور المعتقدات الدينية الجديدة التى ليس لدينا عنها إلا أكثر المعلومات غموضاً ، وسيستمر ذلك حتى يستطيع عالم الحفائر أن يزودنا بمادة للبحث . ومع ذلك فبالرغم من جميع هذه التغييرات والتطورات ، فإن التصميم الأساسى للمقابر المصرية فى العصر العتيق ظل كما هو عليه طوال هذا العصر : بناء سفلى تحت سطح الأرض يغطيه بناء علوى من اللبن فى شكل مستطيل ، بنى تقليداً لمنزل السكنى أو القصر فى ذلك العصر ، ويطلق الأثريون على تلك المبانى العلوية مصاطب ، مستخدمين فى ذلك الاسم الذى أطلقه عليها العمال المصريون الذين وجدوا فى شكلها العام صورة للمصطبة المبنية أمام ديارهم من الحجر أو اللبن ، وهى تسمى بهذا الاسم فى اللغة العربية .

ويمكننا تقسيم تطور التصميم المعمارى للمقابر إلى ست مراحل تقريباً ، نسميها تبسيطاً للأمر مراحل بداية ووسط ونهاية الأسرة الأولى ، وبداية ووسط ونهاية الأسرة الثانية ، والمقصود بمراحل التطور هذه عدم وجود تخطيط ثابت يحددها بصراحة ، فإن تصميمات المقابر وعادات الدفن انتقلت من فترة إلى أخرى متأثرة إلى حد كبير بمكان الدفن ورغبة الفرد وحالته الاجتماعية . ولكن وبصفة عامة فى منطقة منف يمكننا تتبع بعض التغييرات المحددة تحديداً واضحاً . أما فى الجنوب فى أبيدوس فكانت المبانى العلوية للمقابر الملكية أو التذكارية تختلف بلا شك اختلافاً تاماً فى تصميمها عن شبيهاتها فى الشمال . ولا يوجد أثر لهذه المبانى العلوية ، ولكن من الأدلة التى عثرنا عليها فى سقارة يبدو من المحتمل أنه فى أوائل الأسرة الأولى كان البناء العلوى من المقبرة يتكون من ركام مستطيل من الرديم ، عليه كساء من اللبن ، وهو الذى تطور فيما بعد إلى البناء الهرمى المدرج ، ويشبه الركام الذى وجد فوق قبر الملك عندج إيب بسقارة . ومع ذلك فإن المبنى السفلى لمقابر أبيدوس سار فى تطوره بصفة عامة على نهج مثيله فى سقارة . هذا وتبسيطاً للعرض يمكننا تقسيم طرق الدفن الجنائزى لكل من المراحل الست إلى أربعة أنواع : -

١ - طبقة الملوك وكبار الأشراف .

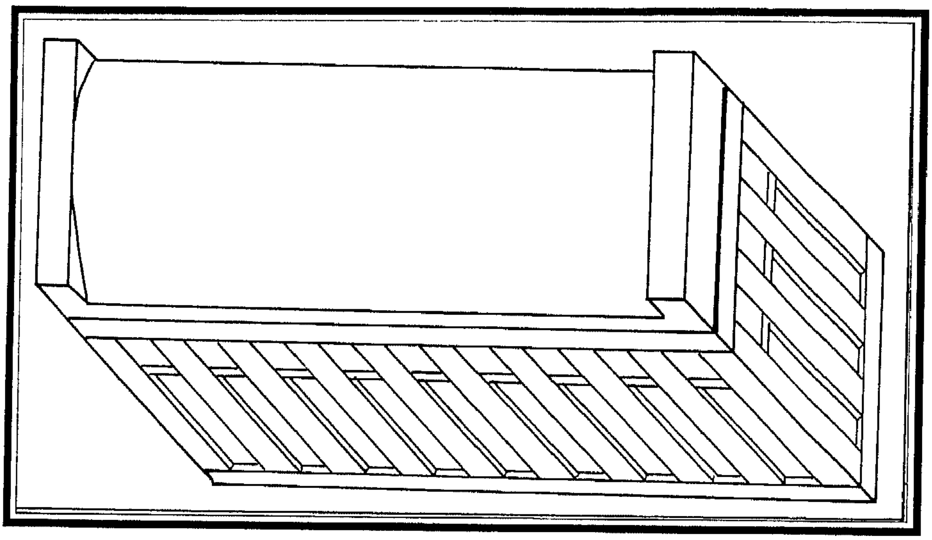
٢ - الأشراف من المرتبة الثانية والسادة .

٣ - صغار الموظفين والصناع .

٤ - الفلاحون .

وكانت قبور الملوك وكبار الأشراف فى بداية الأسرة الأولى تتكون من حفرة نقرت فى الصخر إلى عمق لا يزيد على أربعة أمتار تحت مستوى سطح الأرض ، أقيمت فيها مجموعة من غرف مبنية باللبن ، وقد خصصت الغرفة الكبرى الوسطى للدفن ، بينما خصصت الحجرات الأخرى للقطع الأكثر قيمة من الأثاث الجنائزى ، وقد سقف هذا المبنى السفلى بكتل وألواح خشبية ، وكانت فتحة الحفرة تملأ بالرديم ويعلو هذا البناء السفلى على مستوى الأرض مبنى المصطبة ، وهو كتلة مستطيلة من اللبن ، سطحها الخارجى يتميز بدخلاته وخرجاته المتقنة ، وقد قسم داخل المصطبة الأجوف إلى عدد من المخازن ، حيث يوضع الأثاث الجنائزى الأقل

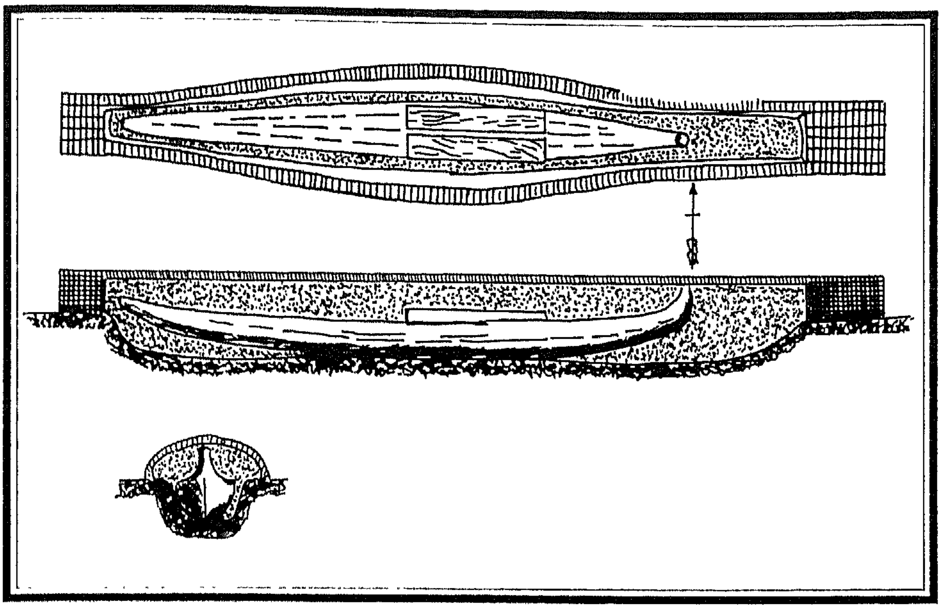
قيمة . وسقفت تلك المخازن بكتل ثقيلة من الخشب ، وكانت الجدران الخارجية للمصاطب عالية وأكثر ارتفاعاً من جدرانها الداخلية ، تاركة مسافة فاصلة بينهما كبيرة تملأ بالرديم ، وتكون كتلة البناء العلوى الذى لا يقل ارتفاعه عن سبعة أمتار ، وكان كل السطح الخارجى ذو الدخلات والخرجات يطلى بألوان زاهية فى زخارف ، تمثل الحصير الذى كان يزين الأسطح الخارجية لمساكن الأحياء ، لأن القبر كان ولا شك صورة لبيت صاحبه أو قصره فى الحياة الدنيا (شكل ٧٩) . ومن المحتمل جداً أن السطح العلوى للمصطبة كان مقوساً وله حاجز مسطح عند الطرفين على نحو ما يرى فى توابيت أواخر الأسرة الثانية (شكل ٧٧) ، ونكتفى بهذا القدر حيال مبنى المقبرة الذى كان فى العادة محاطاً بسور تليه أحياناً صفوف من قبور خدم صاحب المقبرة الذين دفنوا معه لخدمته فيما بعد الحياة .



(شكل ٧٧) تابوت خشبى من أواخر الأسرة الثانية من سقارة.

وفى الجانب الشمالى للمبنى كان يوجد بناء طويل من اللبن . وكان هذا البناء يحوى مركباً خشبياً خصص لنقل روح صاحب المقبرة المتوفى فى رحلته مع إله الشمس (شكل ٧٨) .

وليس لدينا حتى الآن دليل مقنع لطريقة الدفن الفعلية ، إذ ليست هناك وسيلة معروفة لدخول غرفة الدفن ، ومن الممكن أن البناء العلوى لم يكن يتم قبل شغل



(شكل ٧٨) رسم تصويرى لحفرة مركب.

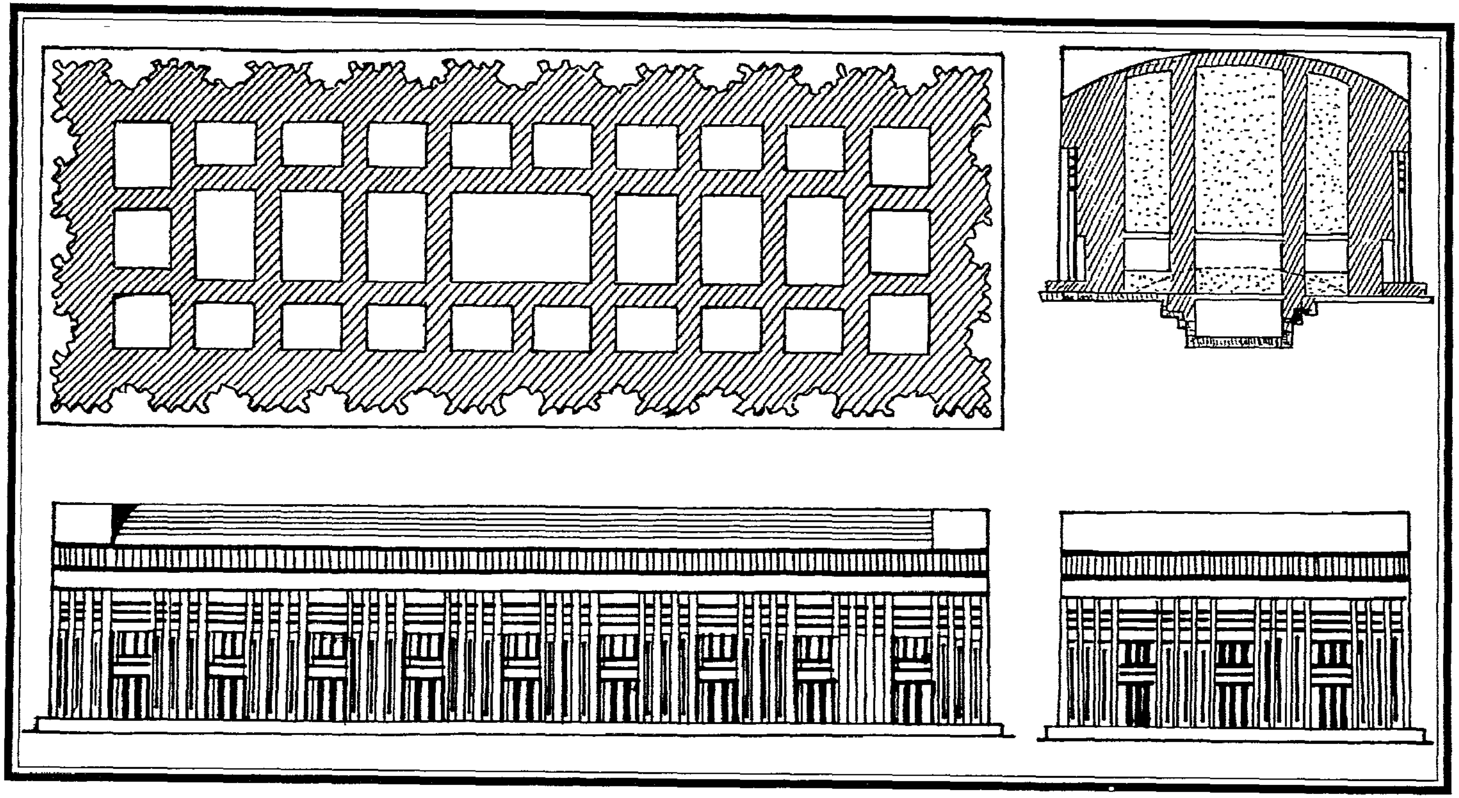
غرفة الدفن وملء الغرف الملحقة بالمحتويات الخاصة بها . وهناك فى بعض مدافن سقارة ما يشير إلى وجود ممر فى البناء العلوى يؤدى إلى مركز المقبرة الداخلى ، وكان يترك مفتوحاً من أجل عملية الدفن ، ومع ذلك فكان لزاماً عليهم إنزال جثة المتوفى إلى غرفة الدفن عن طريق السقف ، إذ لم يكن لها مدخل آخر .

وكانت غرفة الدفن ولا شك الغرفة الرئيسية فى القبر ، وفى بعض الحالات نجد جدرانها مزينة بحصير ملون ملصق عليها كأنه ورق الجدران السميك . وفى أحد القبور الملكية فى سقارة كانت هناك أكتاف ساندة كسيت بألواح خشبية مطعمة بأشرطة من صفائح الذهب كما كسيت أرضية الحجرة بألواح رقيقة مستوية من الخشب .

ورغم عدم معرفة التحنيط فى الأزمنة العتيقة ، كانت الجثة تلف جيداً بالكتان وتوضع فى تابوت كبير من الخشب على شكل منزل ، يوضع فى وسط غرفة الدفن . وقد عثرنا على جثة واحدة فقط لأحد الأشراف فى مكان دفنها الأصلى ، حيث رقد الميت منثنياً على جانبه الأيسر ورأسه نحو الشمال . ورغم أن هذا قد يكون الوضع التقليدى لدفن الأشراف ، إلا أننا لا يمكننا التأكد من ذلك بمثل واحد من قبر واحد لم تعبث ببعض أجزائه أيدى لصوص المقابر .

وفى الجانب الشرقى للتابوت وضعت وجبة غذائية فى صحاف من المرمر والفخار كغذاء عاجل لروح الميت ، بينما خزنت كميات احتياطية من الطعام والشراب فى مكان مجاور (لوحة ٢٩) . وكان يوجد أيضاً فى غرفة الدفن صناديق وخزانات للملابس والمجوهرات وألعاب التسلية وغيرها ، كما وضع أيضاً أثاث مطعم بالعاج من كراسى ومناضد صغيرة وأسرة . وقد حوت الغرف الأخرى الملاصقة لغرفة الدفن أيضاً أثاثاً وأدوات وأسلحة ، وفى كل الحالات تقريباً خصصت غرفة بأكملها لخزن الطعام المكون من قطع كبيرة من اللحم فى صحاف فخارية كبيرة ، وخبز فى قدور مستديرة من الفخار مختومة ، وجبن فى أوان أسطوانية صغيرة فضلا عن الصحون والأكواب والجرار الفخارية الأخرى المكدسة التى كانت بمثابة أوان إضافية لخدمة الطعام . وكانت معدة فى أحد أركان الحجرة . كما كدست فى غرف أخرى صفوف من جرار كبيرة للنبيذ . وكان يسد كل جرة منها غطاء من الفخار ثبت على فوهتها بخاتم من الصلصال (لوحة ٢٠) وحفظت أيضاً أدوات أخرى فى مخازن المبنى العلوى للمقبرة ، كما يبدو أن كل حجرة فى المقابر الكبيرة كانت تخصص لأنواع معينة من الأدوات ، فخصصت واحدة للأدوات والأسلحة ، وأخرى لأدوات اللعب ، وفوق كل ذلك خصصت مخازن أكثر للطعام والشراب . ومثل تلك البيوت العظيمة المليئة بالكنوز لم تكن لتغيب عن أنظار لصوص المقابر مدة طويلة ، ولكن بقى لنا منها ما يكفى لأن نقدر على وجه التحديد الهيكل العام لتلك المقابر الكبيرة التى ترى فى (شكل ٧٩) .

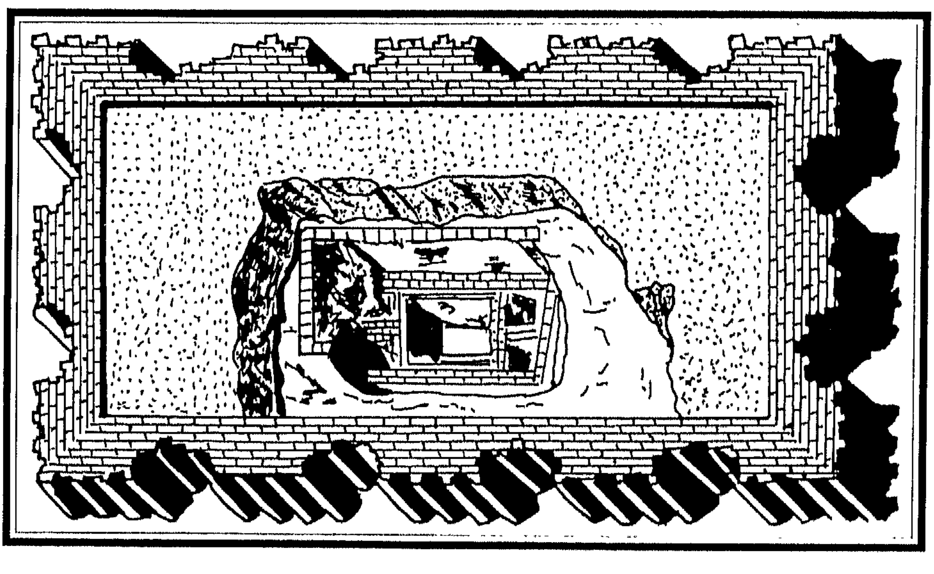
لقد كانت قبور طبقة الأشراف من الدرجة الثانية مشابهة فى تصميمها العام لقبور طبقة كبار الأشراف ، وإن كانت أقل منها حجماً بكثير وجميع أمثلة هذا النوع من المقابر التى كشفنا عنها حتى الآن وجدناها للأسف محطمة المبانى العلوية من اللبن ، وينقصنا الدليل الذى يبين إن كانت زخرفة المبانى الخارجية تشبه نظام الدخلات والخرجات للقبر الكبير أم لا . ولكن ، بالمقارنة ، من المحتمل مشابهتها له فى ذلك . وربما بنيت الدخلات فيها بما يتمشى وحجم القبر ، ولكنها بالطبع كانت أقل عدداً ، ففى مثل مقبرة نجع الدير رقم ١٥٣٢ التى قد يكون شكلها الأصلى كما هو مبين فى (شكل ٨٠) ربما يظهر أنه كان لها دخلتان كبيرتان على كل من جانبيها القصيرين وأربع دخلات على كل من جانبيها الكبيرين .



(شكل ٧٩) رسم تصوری لخارج مبنی علوی من اللبن.

ويبدو من المحتمل من أمثلة أخرى أن المخازن كانت لا تبنى داخل المبنى العلوى ، لأن حجرة الدفن والحجرات الجانبية كانت كافية لحفظ الثروة الأقل نسبياً الخاصة بأشراف الطبقة الثانية . وعلى العموم فالمبانى السفلية لهذه المقابر كانت تطابق التصميم العام الذى يضم غرفة فى الوسط للدفن ، وغرفتين على جانب من جوانبها للجهاز الجنائزى ، الذى كان يشبه بصورة عامة جهاز الطبقة الأعلى ، وإن كان بالطبع أقل منه جودة .

ولكى نوضح مدافن الصناع وطبقة الخدم الذين كانوا يصحبون أسيادهم لدينا أمثلة فقط لتلك القبور التى أحاطت بمقابر الملوك والأشراف . فقد كان يضحى بهؤلاء الخدم ، ولا نعرف إن كان ذلك برضائهم أم رغماً عنهم ، ولكن لا داعى لأن نفترض أن نظام المدافن الخاصة بهم لم يكن يختلف فى شىء عن مدافن غيرهم من نفس الطبقة الذين ماتوا موتاً طبيعياً وكان قبر كل منهم يتكون من حفرة طويلة واحدة مسقوفة بالخشب يعلوها بناء مستطيل قليل الارتفاع سطحه العلوى مقوس (شكل ٨١) وكان الجسم يوضع عادة على هيئة القرفصاء على الجانب الأيسر والرأس فى الشمال ، وإن كانوا لم يتمسكوا بشدة بهذا الاتجاه . وكان الجسم يلف بالكتان ويوضع فى تابوت خشبى صغير ، وكانت أوانى النبيذ والطعام توضع دواماً



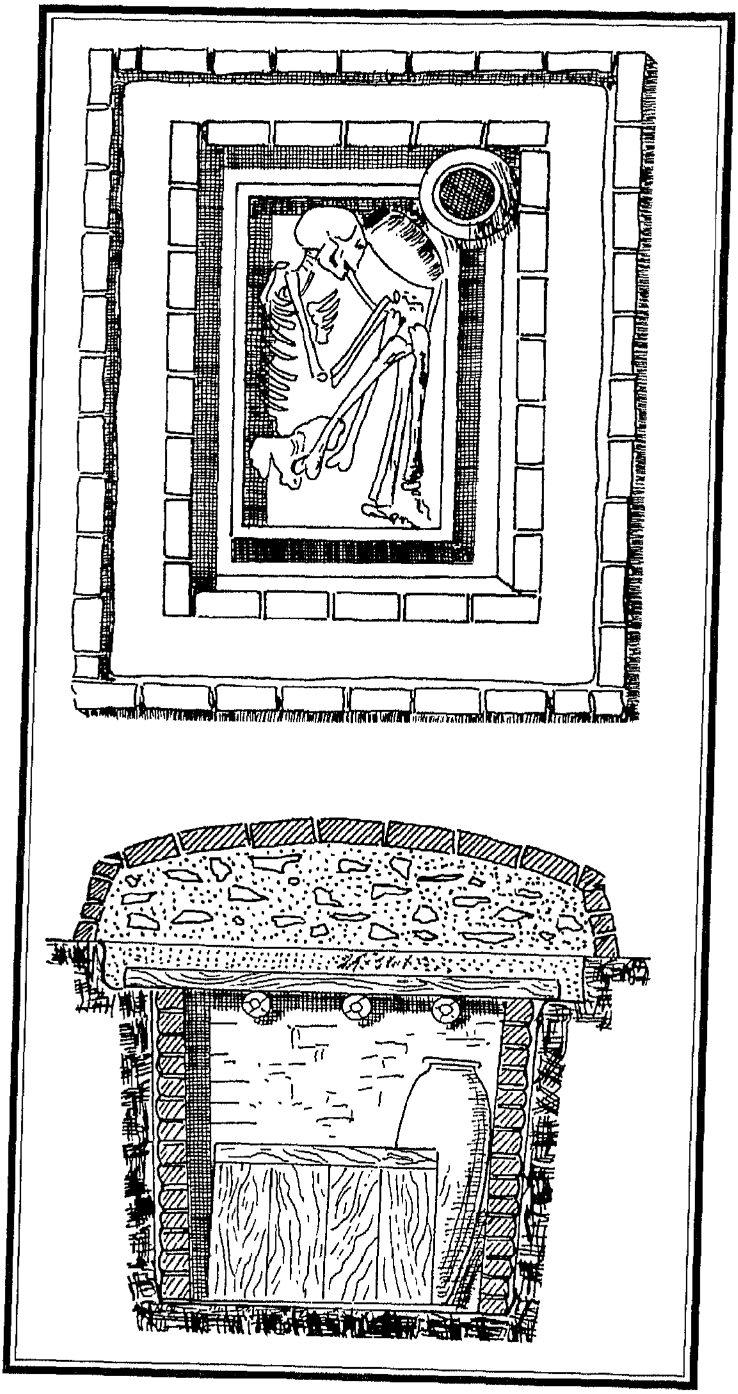
(شكل ٨٠) رسم تصورى للمقبرة ١٥٣٢ فى نجع الدير

خارج التابوت . أما باقى الأدوات التى توضع مع الميت فقد اختلفت فى طبيعتها كثيراً باختلاف صنعة الميت وجنسه . وقد بينت لنا المدافن المحيطة بقبر الملكة «مريت نيت» فى سقارة مختلف أنواع الأثاث الجنائزى الذى يناسب خدمة صاحب كل مدفن : فالنحاس والظران للصانع ، وأوانى الطلاء للفنان ، ونماذج السفن للبحار ، والسكاكين واللحم للجزار ، وأدوات التجميل للنساء . وكانت توجد غالباً فى مدفن هذه الطبقة فى الجنوب فى أبيدوس لوحات حجرية صغيرة كتب عليها بطريقة بدائية اسم المتوفى ، ولكن نظراً للتدمير الذى أصاب المبنى العلوى من هذه القبور لم يبق أثر لوضعها الأصلى ، والمفروض أنها كانت على السطح ، وربما ظهرت فى المبنى العلوى للقبر (شكل ٢٥) . ومثل هذه اللوحات لم يعثر عليها فى سقارة ، وربما يرجع ذلك إلى إزالة الأحجار فى المنطقة على نطاق واسع .

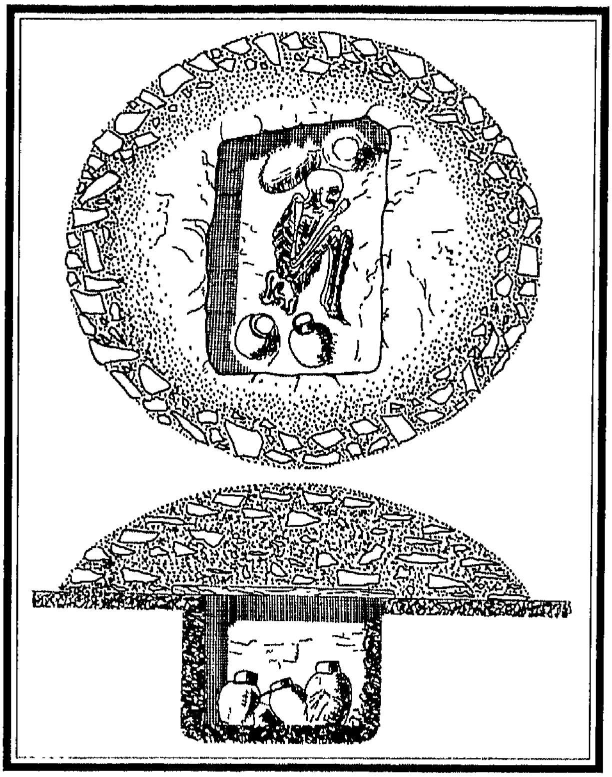
وتختلف قبور طبقة الفلاحين قليلاً عن طراز القبور فى فترة ما قبيل الأسرات . فمن الواضح أن جماهير الشعب فى الفترة الأولى من عهد الأسرة الأولى لم يكونوا قد تأثروا فى الدفن بعادات سادتهم ، الذين ربما كانوا ينتمون إلى عنصر مميز كما أشرنا إلى ذلك من قبل ، فكانت المقابر عادة تتكون من حفر بيضاوية أو مستطيلة مستديرة الأركان نحتت فى الحصى وأقيمت فوقها بعد الدفن ربوة منخفضة من الرديم المستخرج من حفرة القبر .

وكان الميت يوضع دائماً على وجه التقريب على هيئة القرفصاء على جانبه الأيمن رأسه فى الجنوب ، وكان عادة يوضع على حصير من نبات البردى . أما فى الدفنات الأكثرة ثراء فقد كانت الجثة تغلف أحياناً بصندوق من ألواح الخشب . وكان يوضع بجانبها أوان فخارية وحجرية وأدوات من النحاس والظران وأدوات التجميل ، وبعد الدفن كان القبر يسقف بقوائم خشبية يعلوها حصير ويرتفع فوق ذلك كومة من الرمال والحجر ، ويبين لنا (شكل ٨٢) نموذج قبر من هذا النوع .

وما أن حل منتصف الأسرة الأولى حتى تطلبت الزيادة فى حجم وفخامة المقابر الكبيرة للملوك وكبار الأشراف وسيلة أسهل للوصول إلى حجرة الدفن وبالتالى استحدثت المقابر ذات الدرج فى عهد الملك أوديمو ، ونقطة الانتقال من طراز القبر الأول



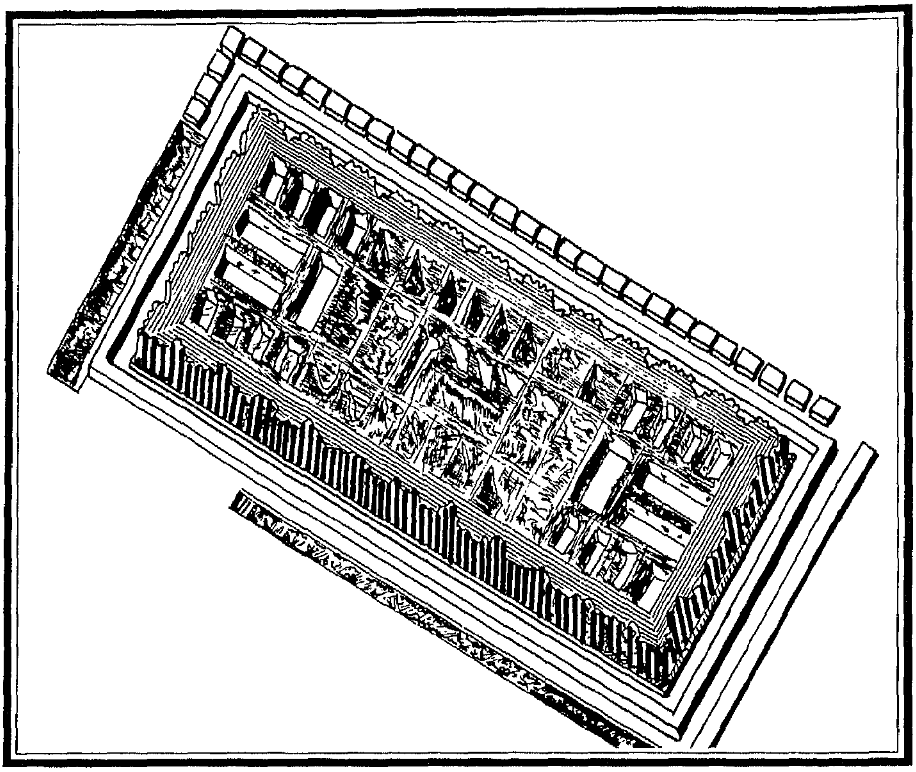
(شكل ٨١) مقبرة طبقة الصناع والخدم فى أوائل الأسرة الثانية



(شكل ٨٢) مقبرة الطبقة الفقيرة فى أوائل الأسرة الأولى.

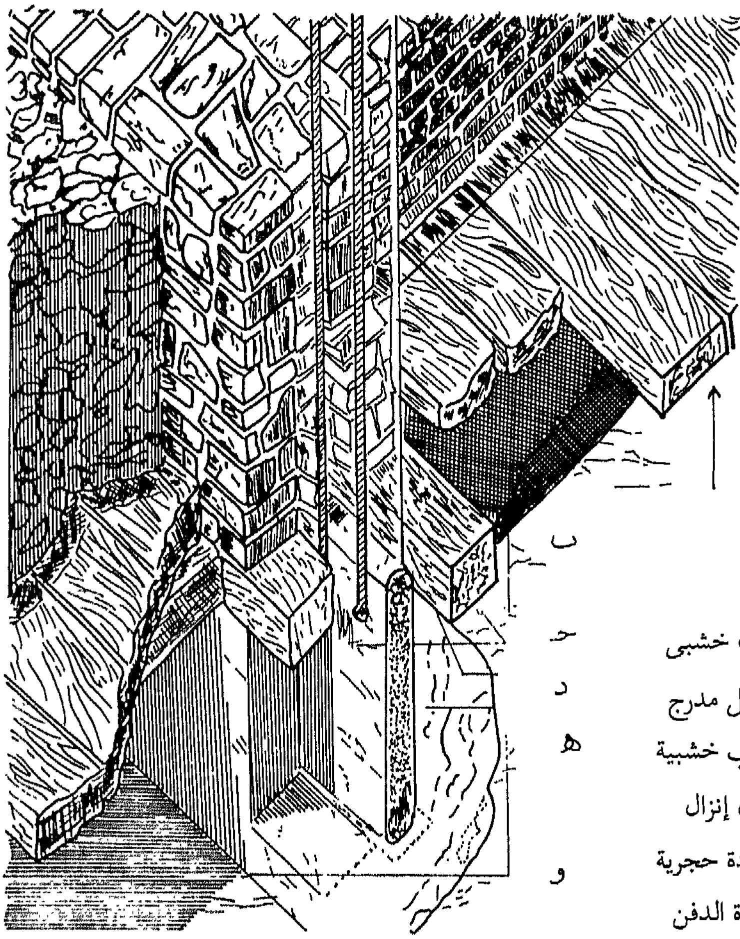
واضحة فى المدفن الفخم الذى يرجع إلى عهد الملك أوادچى (الثعبان) سلف أوديمو ، وقد كشفنا عنه فى سقارة عام ١٩٥٣ (شكل ٨٣) ومع أنه ليس من طراز المقابر ذات الدرج فإن حجمه الكبير وبناءه العلوى الضخم يوضح الحاجة إلى طريقة للوصول إلى داخله دون إنزال الجثة والأدوات الجنائزية من السقف قبل إتمام البناء العلوى .

والحل الواضح لهذه المشكلة تم بعمل درج هابط يبدأ من خارج البناء العلوى بما يسمح وإكمال البناء الكبير فوق القبر قبل الدفن ، وكان يقع الدرج دائما فى الجانب الشرقى من المبنى العلوى ، هابطا مباشرة إلى غرفة الدفن التى كانت بسبب سهولة الوصول إليها أكثر عمقا منها فى القبور السابقة ، ولكن ابتكار هذا المدخل ذى الدرج سهل أيضا مهمة اللصوص . ولتجنب السرقة استحدث نظام لغلق المقبرة بكتل الأحجار ، وهى فكرة بارعة مع أنها كما نعلم الآن لاتفى بالغرض ، وتنحصر هذه الفكرة فى إنزال لوحات حجرية ضخمة كمتاريس فى فجوات منحوتة على جانبى الدرج (شكل ٨٤) .



(شكل ٨٣) رسم اكسونومترى للمقبرة ٣٥٠٤ فى سقارة.

ومعظم المقابر الكبيرة لها ثلاث سدادات من كتل الحجر وضعت على مسافات ، وقد ظل نظام حماية المقابر هذا متبعًا حتى عهد بناة الأهرام فيما بعد ، أما تصميم البناء فوق سطح الأرض فقد ظل دون تغيير ، وكما كان الشأن فى المقابر في الطراز السابق كانت جدرانها الخارجية مزخرفة بالدخلات والخرجات فى كل الجوانب الأربعة لكتلة البناء المستطيل الكبير ، الذى كان يحوى مخازن للأدوات الجنائزية الزائدة ، أما تصميم المبنى السفلى فقد كان مغايرا تماما ، ففضلا عن زيادة عمقه كانت غرفة الدفن أكبر حجمًا ، وكانت الغرف الجانبية أقل شأنا فبنيت أحيانا على مستوى أعلى ، جعل الوصول إليها سهلا عن طريق أبواب مرتفعة صغيرة من الغرفة الأصلية ، مستواها على ارتفاع سقف الغرفة ، وفى الطراز الجنوبى لقبر الملك أوديمو فى أبيدوس لا توجد غرف جانبية فى المبنى السفلى الذى يتكون فقط من حجرة دفن كبيرة .



(شكل ٨٤) تفصيل وضع السدادة الحجرية فى المدخل ذى الدرج

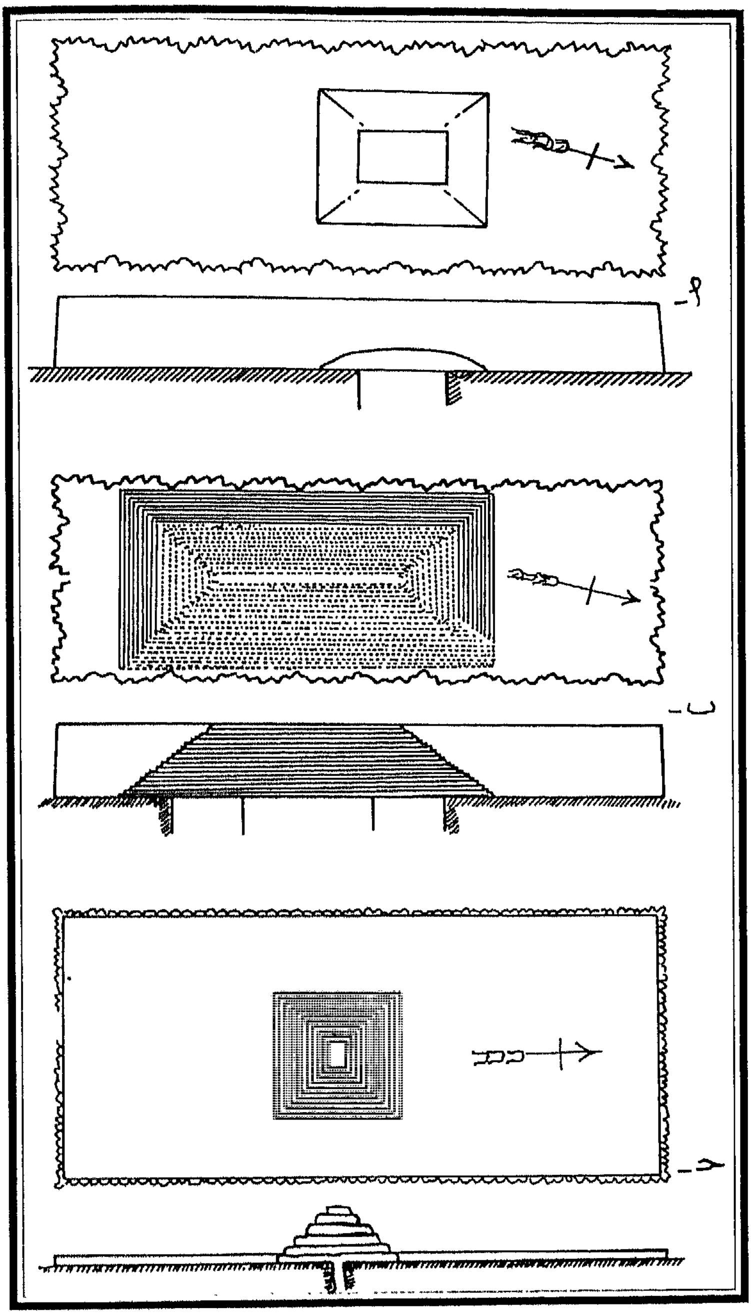
هذا وتبين المقابر الكبيرة من منتصف هذه الأسرة أنه فضلا عن إدخال نظام الدرج ، فإن هذا العصر كان عصر تجارب وتغيير معمارى ملحوظ ، فإن كل أثر منها كان ذا تصميم مختلف ، ومن الجدير منها بالملاحظة أحد قبور سقارة الذى يرجع إلى عهد الملك «عندج إيب» وربما يكون قبره ، فبمجرد الكشف عنه بدا فى الشكل التقليدى لهذه الفترة ، مصطبة نموذجية فى مبناها العلوى ذات دخلات وخرجات ، وكان يؤدى إلى غرفة الدفن درج هابط تحف به من الجانبين غرفتان بنيتا على مستوى أعلى ، ولكن عند إزالة الجزء الداخلى لمبنى المصطبة العلوى بحثا عن

المخازن المعتادة ، وجدنا بناءً علويا آخر مطمورًا فى البناء العلوى الأول ، طرازه مختلف تماما ، له شكل الهرم المدرج كما هو مبين فى (شكل ٤٥) ورغم أنه فى هذه المقبرة وحدها قد وجدنا بناء محفوظا كهذا ، فإن بقايا أساسات لما قد يكون مبانى مشابهة وجدت فى مقابر أخرى كبيرة من هذا العصر ، لذلك فلابد من تقدير احتمال أن تكون هذه ظاهرة مشتركة فى كل المقابر الملكية فى سقارة .

وكما بينا من قبل فإن الشكل الأصلى للمقبرة أخذ شكل ركمة ترابية مستطيلة عليها كساء من اللبن مثل قبر الملكة حرنيت الذى تطور إلى الهرم المدرج الذى نجده فى قبر عندج إيب ، وقلما نشك فى هذا التطور ، على أننا نتساءل عن الدور الذى قامت به تلك الظاهرة العجيبة فى مشكلة أصل وتطور البناء الهرمى فى العصور التالية وربما يكون من السابق للأوان أن نتقدم برأى فى هذا الموضوع الهام قبل القيام بكشوف أكثر والوصول إلى نتائج أخرى ، ولكن قد يكون لنا العذر على الأقل فى أن نضع هذا الاقتراح تحت التجربة ، ويبدو أن شكل المبنى العلوى المقام فوق مقابر ملوك مصر العليا كان يتكون فى الأصل من ركام مستطيل مكسو باللبن ، تطور إلى البناء العلوى لشكل هرمى مستطيل .

أما فى الوجه البحرى فقد اتخذ البناء العلوى للمقابر الملكية شكل مصطبة لها واجهة ذات دخلات وخرجات ، وفى سقارة ، خاصة فى مقبرتى الملكة حرنيت والملك عندج إيب ، فقد التحم شكل البناء العلوى فى مبنى واحد ، هو ذلك الهرم الركامى فوق مكان الدفن مباشرة ، وأحاطت به وغطته جدران مصطبة لها واجهة قصر ، وبمقارنة الرسوم التخطيطية لمقبرتى حرنيت وعندج إيب بتلك التى خططت لسور الهرم المدرج الذى بناه زوسر فى الأسرة الثالثة تظهرلنا أوجه تشابه فى التصميم والتناسب تجعلنا نعتبر التصيم الثانى تطورًا للقبر الملكى المركب فى الأسرة الأولى (شكل ٨٥) .

إن معلوماتنا عن الفكرة الدينية والرمزية التى تشير إليها التصميمات المعمارية للمبانى الجنائزية فى عصور مصر الأولى تكاد تكون معدومة ، ولكن على أساس التطور المعمارى البحت ، فمن الحكمة أن نتصور التضاؤل التدريجى للمصطبة ذات واجهة القصر إلى سور ذى دخلات وخرجات ، يحيط بالمبنى الهرمى الذى زاد ارتفاعه واتساعه وكان يغطى غرفة الدفن ، وليس فى مقدورنا فى نطاق هذا الكتاب أن نتوسع فى هذه المسألة الشيقة ، ولكن التقدم فى هذا البحث بدأ ، ونأمل أن تزودنا الحفائر المقبلة خاصة فى قبور الأسرة الثانية ببراهين مؤيدة أو داحضة لما نستطيع أن نقدمه اليوم كرأى يشوبه الغموض .



(شكل ٨٥)

مساقط تخطيطية - لمقابر.

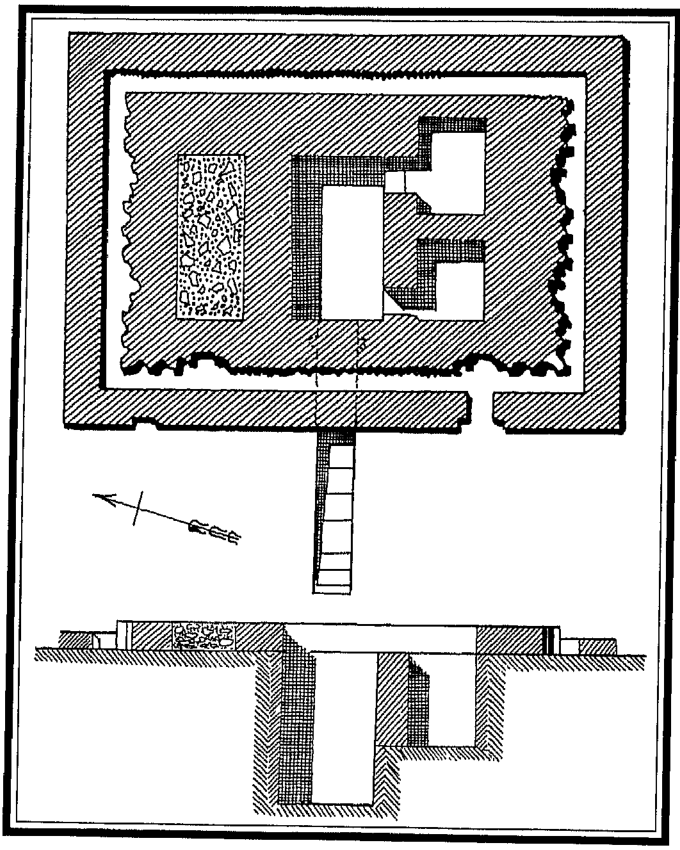
(أ) حر - نيت (أوائل الأسرة الأولى)

(ب) عندج - إيب (أوائل الأسرة الأولى)

(جـ) زوسر (أوائل الأسرة الثالثة)

لم يكن هناك تغيير فى نظام الدفن والأدوات الجنائزية ، كان التابوت الخشبى الكبير يحاط بالطعام والشراب وجميع المقتنيات الثمينة لصاحب المقبرة ، وربما وجه مزيد من الاهتمام إلى موضوع إطعام روح صاحب المقبرة فى ذلك الوقت أكثر منه فى العصور السابقة ، فقد وضعت كميات هائلة من اللحم والخبز والنبيذ فى المخازن ، ووجدنا فى أحد القبور صوامع حبوب مبنية داخله ليتمكن صاحب القبر من إعادة ملء تلك المخازن بالخبز إذا دعت الحاجة .

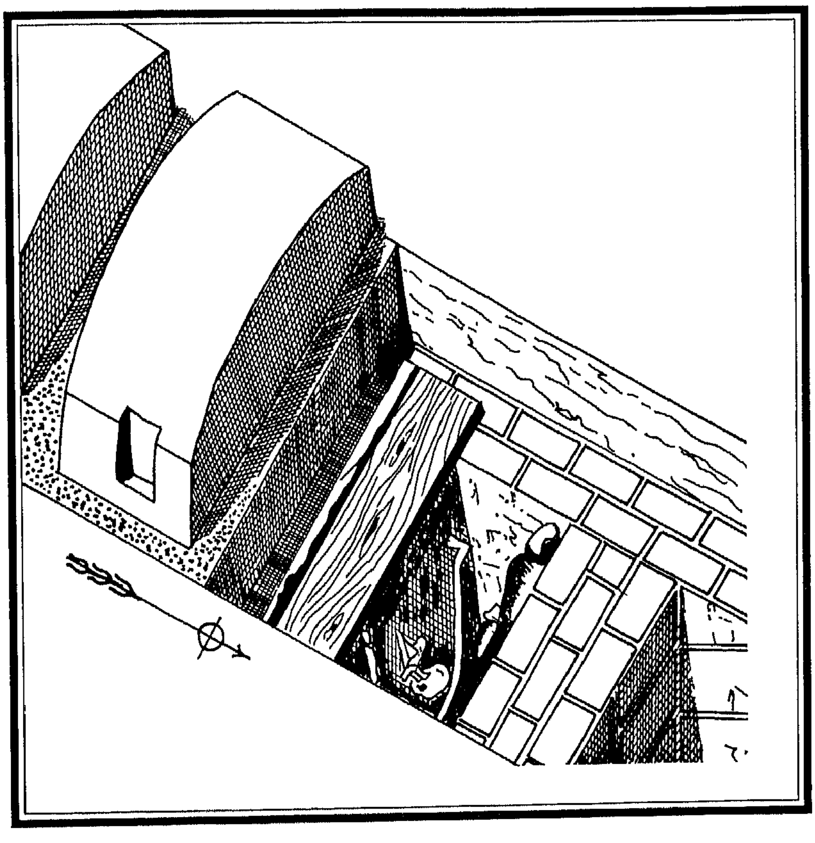
وقد نجد مثلا آخر لمثل هذه الفكرة فى تزويد القبر بكتل من الظران الخام التى كانت توضع مع السكاكين الظرانية ، حتى يستطيع المتوفى من عمل المزيد من هذه الأدوات إذا ما تهشمت ، وكانت قبور الأشراف من الطبقة الثانية نسخًا مصغرة للمقابر الكبيرة ، ولكن على نحو ماحدث فى أوائل هذه الأسرة يبدو أن المبانى العلوية الأصغر حجما كانت تضم حشوا مسمطا من كسارة الحجر أو اللبن ، ولم يكن بداخلها مخازن ، والمقابر ذات السطوح الخارجية المحلاة بالدخلات والخرجات مثل المقبرة ١٣٧٤ فى حلوان (شكل ٨٦) تعتبر نماذج لهذا العصر ، ومع ذلك كانت الواجهة غير المزخرفة شائعة أيضا وخاصة فى القبور



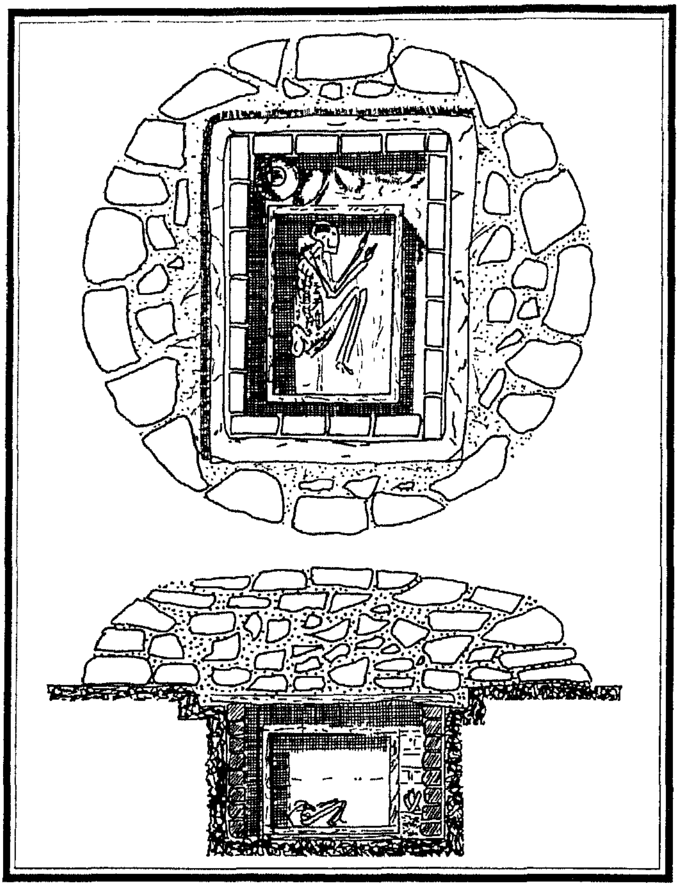
(شكل ٨٦) مسقطان أفقى ورأسى للمقبرة ١٣٧٤ فى حلوان.

الصغيرة ، وكان المبنى السفلى للقبر يتكون من حجرة الدفن وحجرتين أو أكثر فى الجوانب أرضياتها على مستوى أعلى ، وكانت كلها مسقوفة بالخشب .

وبالنسبة لمقابر طبقة العمال فيبدو الاختلاف قليلا ، أو معدوما بينها وبين مقابر أوائل الأسرة الأولى التى سبق وصفها ، ويبدو أن التطور الجديد الوحيد فيها هو استحداث الباب الوهمى فى الناحية الجنوبية للواجهة الشرقية للمبنى العلوى (شكل ٨٧) بينما استمر عامة الشعب يدفنون موتاهم فى حفر أجدادهم ، وكانوا يقيمون فوقها مبنى علويًا مستديرًا من الركام ، غير أن مقابر الأشخاص الأكثر أهمية منهم بدأت تميل إلى محاكاة وتطبيق بعض المظاهر المعمارية الراقية التى استعملها سادتهم ، فازداد شيوع استخدام بطانة من اللبن فى الحفر المستطيلة ووضع الجثث القرفصاء فى نوع ما من التوابيت الخشبية ذات أشكال بدائية ويوضح (شكل ٨٨) قبرًا نموذجيا من هذا الطراز .



(شكل ٨٧) منظر إكسونومترى لمقبرة صانع من أواسط الأسرة الأولى.

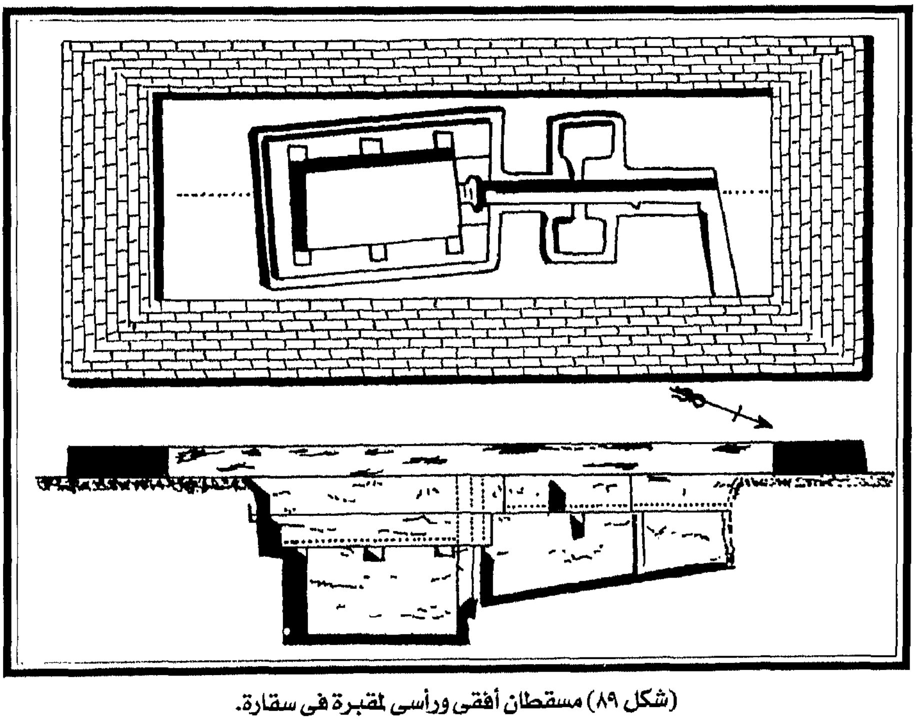


(شكل ٨٨) مقبرة للطبقة الفقيرة من أواسط الأسرة الأولى.

وفى الفترة الأخيرة من الأسرة الأولى كانت هناك تغييرات ملحوظة فى التصميم المعمارى لمقابر كل طبقة ، ورغم أن بعض المقابر الكبيرة تميل إلى الاحتفاظ بالتخطيط العام فى العصور السابقة فإن معظم المقابر التى ترجع إلى نهاية تلك الأسرة تبين تغييرًا جوهريًا فى فكرتها ، ومع استثناء ذلك القبر العظيم الذى يرجع إلى الملك «قاعا» فى سقارة (شكل ٥٣) فإن زخارف الدخلات والخرجات فى السطح الخارجى للمبنى العلوى تختفى ويحل محلها جدران مسطحة فى الواجهة الخارجية ، اللهم إلا بابان وهميان عند الطرفين الجنوبى والشمالى فى الواجهة الشرقية ، فضلا عن أن المبنى العلوى لم يعد الآن مجوفا تملؤه المخازن ، بل أصبح مسمطا بالرديم واللبن ، وحل المدخل ذو الدرج على شكل حرف

اللام اللاتينية L محل الدرج المستقيم ، فأصبح يبدأ من الجانب الشرقى للقبر وينفذ إلى غرفة الدفن من الشمال ، وبهذا الابتكار تغير محور المبنى العلوى من الاتجاه الشرقى الغربى إلى الشمالى الجنوبى ، ولم تعد الغرفة الملحقة بحجرة الدفن متصلة بها مباشرة ، بل أصبحت على جانبى درج المدخل ، تؤدى إليها أبواب جانبية ، وهكذا أصبح المحور الشمالى الجنوبى للمبنى السفلى مألوفا أيضا أما فى المقابر الأكبر حجما فقد اختلف الأمر ، فمع الإبقاء على اتجاه المحور القديم من الشرق إلى الغرب احتفظت بدرج مستقيم من جهة الشرق ، أما التخطيط الجديد للحجر الجانبية التى تفتح على الدرج قبل أن يصل إلى حجرة الدفن فقد طبق حتى فى المقابر التى احتفظ فيها بمحور الدفن حسب القاعدة السابقة .

ويوضح هذه الظاهرة المقبرتان الكبيرتان للملك «قاعا» فى أبيدوس وسقارة ولكن التصميم الجديد للمبنى السفلى للقبر (شكل ٨٩) كان فى الغالب شائعا عند نهاية الأسرة الأولى وكان السابقة المباشرة للتصميم الذى اتبع فى الأسرة الثانية ، وأخيرا فى تخطيط المقابر فى العصور المتأخرة ، ومع ذلك ظل متبعا فى تخطيط المقابر الصخرية للدولة الحديثة بعد ذلك بأكثر من ١٥٠٠ سنة .



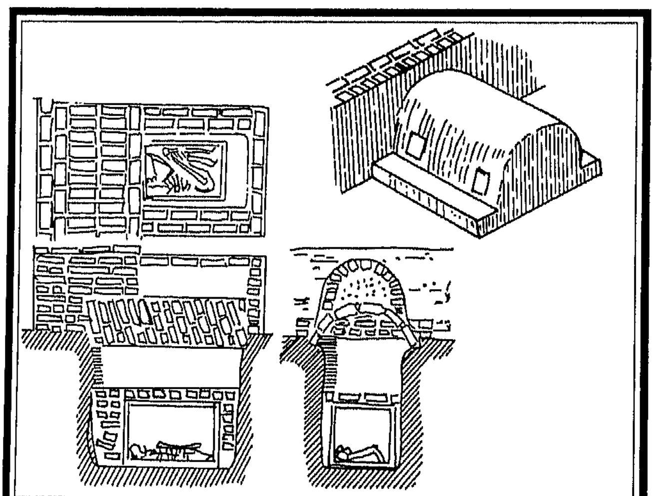
(شكل ٨٩) مسقطان أفقى ورأسى لمقبرة فى سقارة.

هذا ولم يتجاوز التغيير فى التصميم المعمارى إلى طريقة الدفن التى ظلت على ما كانت عليه بقدر ما يمكننا أن نؤكده ، ومع ذلك فهناك حقيقة واحدة يجب أن نشير إليها ، ففيما عدا المقابر الملكية يبدو أن الأثاث الجنائزى كان أقل كمية منه فى الأزمنة السابقة ، وربما يرجع ذلك إلى زيادة التكاليف التى ألقيت على عاتق صاحب المقبرة لإقامة مقبرة أكثر إبداعا فى مبانيها .

فبدت غرفة الدفن الآن كافية لخزن جميع الأثاث الجنائزى ، وقصرت محتويات الغرف الجانبية على الطعام والشراب الخاص بروح المتوفى ، كما أن دفن الخدم والأتباع حول مقابر الملوك وكبار الأشراف ، وإن كان يبدو أنه استمر فى الوجه القبلى ، إلا أنه توقف فى الشمال ، ورغم وجود قبور ثانوية داخل نطاق سور إحدى المقابر الكبيرة من هذا العصر فى سقارة ، فإن ترتيبها لا يوحى بأن أصحابها ماتوا موتا غير طبيعى .

وقد كشفت لنا حفائر حلوان الحديثة عن كثير من مقابر الطبقة الثانية من النبلاء ، وترجع إلى الفترة الأخيرة من عهد الأسرة الأولى . وهذه المقابر تطابق نفس التخطيط والنظام العام المتبع فى المبانى الأكبر حجما فى سقارة .

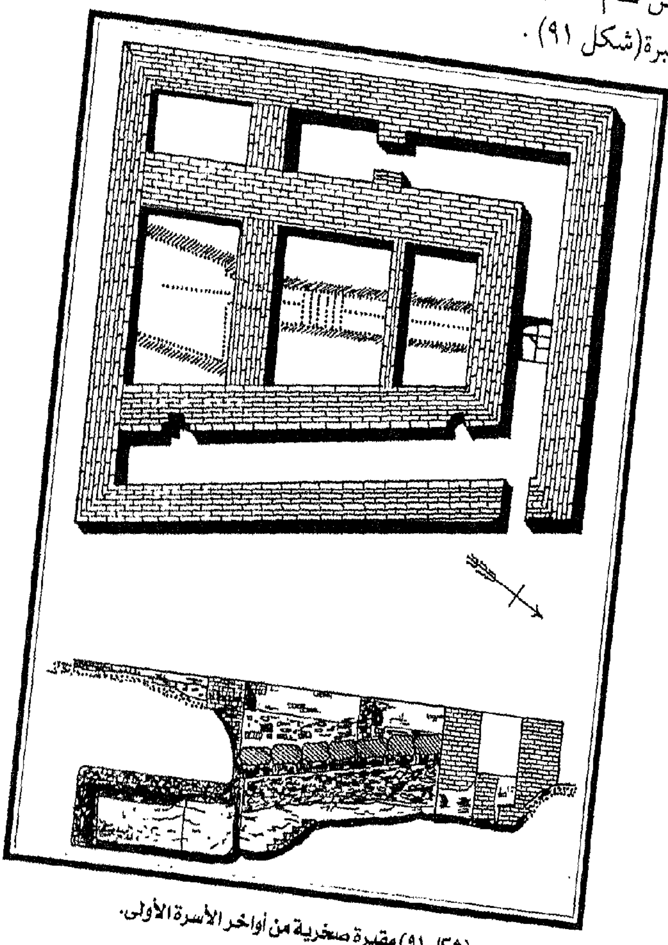
هذا وتختلف مقابر طبقة الصناع قليلا عما كانت عليه فى الأزمنة السابقة فيما عدا المبنى العلوى ، الذى كان أكثر ارتفاعا وكان له بابان وهميان على الطرفين الشمالى والجنوبى للواجهة الشرقية ، ونعتمد هنا فى معلوماتنا أيضا عن تصميم تلك المقابر على المدافن الجانبية ، ولكن ليس هناك مايدعو للشك فى أنها كانت على نمط مقابر نفس الطبقة خلال هذه الفترة ، ويبين (شكل ٩٠) تفاصيل بناء المقابر من هذا النوع والنظام العام للدفن .



(شكل ٩٠) مقبرة لأحد طبقة الصناع أو الخدم من أواخر الأسرة الأولى.

أما مقابر طبقة الفلاحين فلا تبين اختلافًا فى نهاية الأسرة الأولى ، فيما عدا زيادة استخدام اللبن فى كساء آبار الدفن واستعمال التوابيت فى الدفنات الأكثر ثراء .

وبمقدم الأسرة الثانية حدث تطور أساسى فى تصميم وعمارة المبانى الجنائزية ، فمنذ منتصف الأسرة الأولى كانت هناك أمثلة فردية لغرفة الدفن التى كانت تنحت فى الصخر دون أن تشكل فى صورة حفرة مفتوحة لها سقف صناعى . ولكن هذه التجربة كانت نادرة نسبيا ، ولم يحدث إلا فى نهاية الأسرة الأولى أن عدل عن نظام الحفرة المفتوحة ليحل محلها نظام نحت الأجزاء السفلية من هيكل المقبرة(شكل ٩١) .

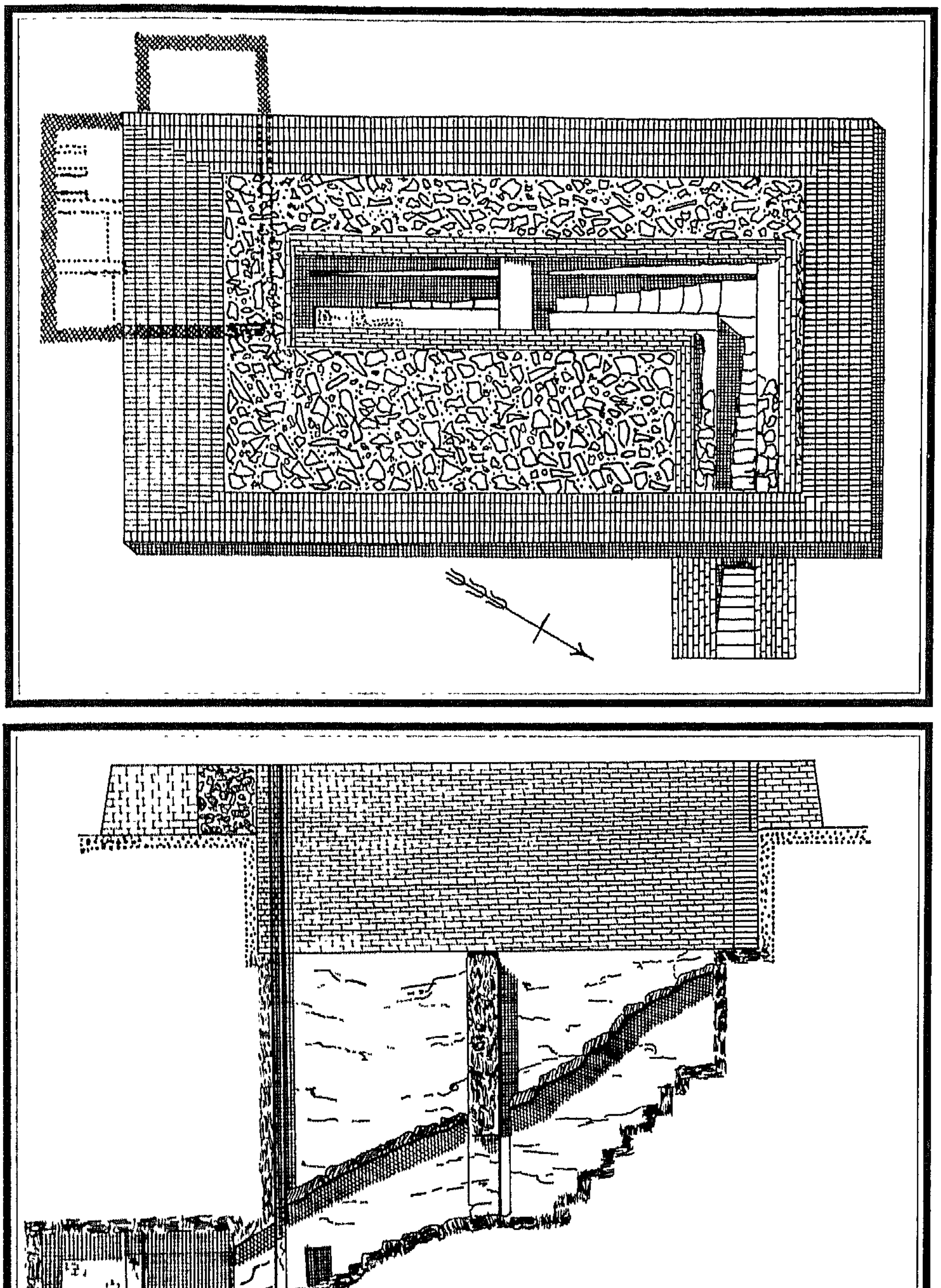


(شكل ٩١) مقبرة صخرية من أواخر الأسرة الأولى.

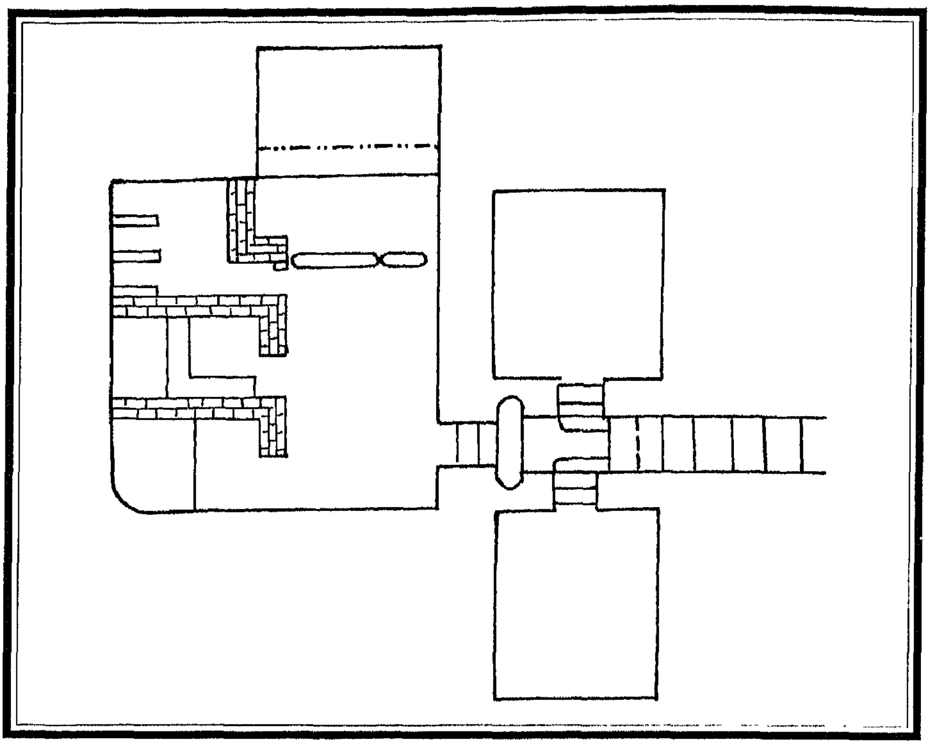
وفى النصف الأول من الأسرة الثانية سارت مقابر كبار الأشراف بدقة على النمط الشائع فى نهاية الأسرة السابقة ، غير أن المدخل الذى يؤدى إلى درج ممتد ينحنى فى زاوية قائمة كان ينحدر إلى عمق أكثر ، وينتهى بمخزنين يقعان على جانبيه ، ثم تأتى حجرة الدفن ويتم هذا كله على أساس الحفر فى باطن الأرض (شكل ٩٢) ولم يعد ممر المدخل مسقوفا بالخشب ، ووجد أن اللوحات الحجرية الضخمة أكثر ملاءمة ، وتعتبر حجرة الدفن المنحوتة فى الصخر سابقة لمجموعة الغرف السفلية التى حفرت بعد ذلك فى النصف الثانى من الأسرة ، إذ كانت مقسمة إلى غرف منفصلة ، وكانت غرفة الدفن فى الجانب الغربى منها ، ومع ذلك فإن العمارة ظلت تتبع نظام الأسرة الأولى فى تقسيم الجزء السفلى إلى حجرات تفصلها جدران من اللبن بدلا من نحت مختلف الحجرات فى صميم الصخر (شكل ٩٣) ، بذلك كان القسم المخصص للدفن مشابها لغرفة النوم فى منزل المتوفى أثناء الحياة .

فقد كانت دائما فى الجهة الغربية من مجموعة الغرف الأخرى الخاصة بالمسكن ، وكان التابوت الخشبى فى مقابر بداية الأسرة الثانية يوضع على منصة مرتفعة ، شأنه فى ذلك شأن سرير المتوفى فى منزله الدنيوى .

ومما يؤسف له أن كل المقابر فى ذلك العصر من هذا النوع قد تكرر سطو اللصوص عليها وسلبها ، حتى أنه أصبح من المستحيل أن نحدد بدقة المكان الأصلى للأثاث الجنائزى ، ومع ذلك فإن عادة وضع وجبة غذائية فى أوان من الفخار والحجر فى الجهة الشرقية من التابوت ، ظلت قائمة بصفة مؤكدة (لوحة ٢٩) وكذلك خزن كميات زائدة من الطعام فى مخازن خارجية خارج المقبرة بعيدة عن ممر المدخل ، وكان المبنى العلوى فوق المقبرة مسمطا بحشو من الرديم أو اللبن دون أن تبنى مخازن بداخله ، ومع ذلك فإن عادة دفن القرابين فى المبنى العلوى من المقبرة لم تبطل تماما ، فقد وجدنا بعض المقابر الكبيرة التى ترجع إلى أوائل الأسرة الثانية ، وقد وضعت فى حشو مبناها العلوى من الرديم كميات كبيرة من الأوانى الفخارية فى مجموعات متناثرة كأنها زبيب نثر فى كعكة (لوحة ١٢ ، ١٣) ، ولكن كان هذا بقايا عادة جنائزية عفا عليها الزمان ، حتى فى الفترة الأخيرة من الأسرة السابقة ، ولم تكن شائعة الاستعمال ، ولم توجد إلا فى بعض المقابر النادرة فى سقارة .



(شكل ٩٢) مسقطان أفقى ورأسى لمقبرة من أوائل الأسرة الثانية.



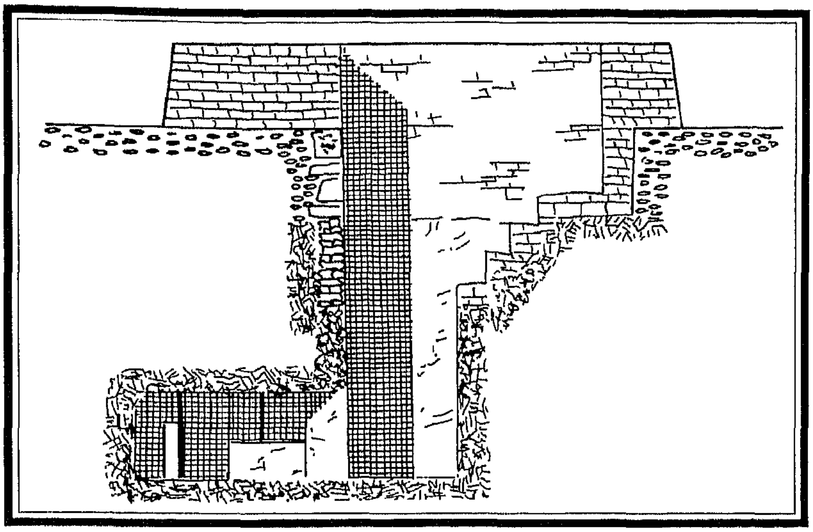
(شكل ٩٣) المبنى السفلى لمقبرة من أوائل الأسرة الثانية.

والاختلاف الوحيد بين القبور الكبيرة لعظماء الأشراف وقبور الطبقة الثانية من الأشراف هو اختلاف فى الحجم وإنقاص فى عدد الحجرات بالجزء السفلى الذى كان يتكون عادة من حجرة واحدة بها قسم جانبى للتابوت (شكل ٩٤) .

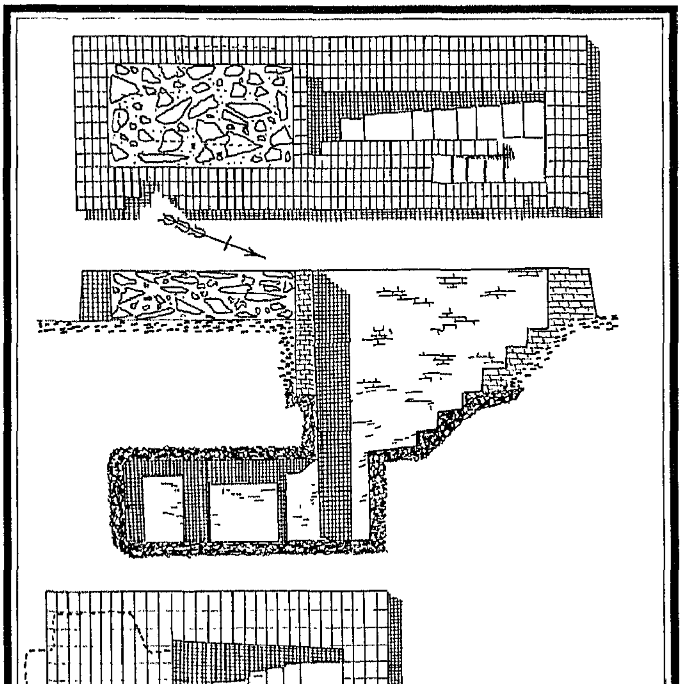
ولما كانت عادة دفن الأتباع حول قبور النبلاء قد توقفت لم نجد أدلة تبين شكل قبور طبقة الصناع ، ولكنها ربما كانت نسخًا مصغرة لقبور الطبقة الأعلى ، على نحو ما كان عليه الحال فى الأسرة السابقة (شكل ٩٥) .

وفى النصف الثانى من الأسرة الثانية يبدو أن فترة التجربة فى تصميم الجزء السفلى المحفور قد وصلت إلى نهايتها ، وانتشر طراز شائع فى جميع المقابر ، مع تفاوت فقط فى الحجم وعدد الغرف تبعًا لثراء صاحب القبر .

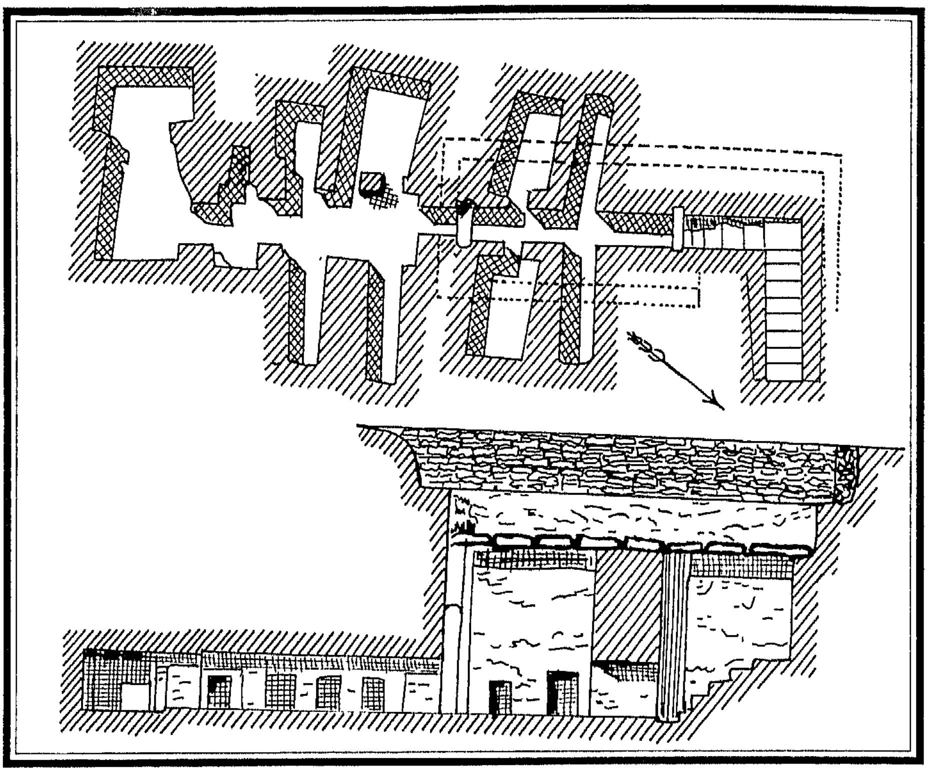
وخضع الجزء السفلى من القبر لتصميم ثابت ، ربما كان صورة للنظام العام فى مساكن ذلك العصر التى كانت تضم صالة كبيرة للاستقبال ، وعلى جانبيها غرف نوم للضيوف . إلى غير ذلك (شكل ٩٦) .



(شكل ٩٤) مسقطان أفقى ورأسى لمقبرة من أوائل الأسرة الثانية للطبقة الوسطى.



(شكل ٩٥) مسقطان أفقى ورأسى لمقبرة الطبقة الفقيرة فى الأسرة الثانية.



(شكل ٩٦) مسقطان أفقى ورأسى للمبنى السفلى فى أحد مقابر أواخر الأسرة الثانية.

وكان أقصى جزء فى المنزل مخصصًا لأهل الدار ، ويتكون من غرفة نوم رب الأسرة (غرفة الدفن) مدخلها من الجانب الغربى لغرفة جلوس أهل المنزل ، وعلى الجانب الآخر جناح الحريم ، وكان الجناح الخاص برب الأسرة وجناح الحريم يتصلان بممر مزدوج إلى الحمام ودورة المياه ، وكانت المخازن الواقعة على المدخل المدرج تمثل غرف المخازن خارج المنزل ، وكان من الطبيعى أن يودع فيها الطعام والخمر والأثاث الجنائزى الزائد . واستمر نظام سد المدخل المدرج بمتاريس حجرية ، وكان عددها يتفاوت مابين واحد وثلاثة تبعا لحجم المقبرة .

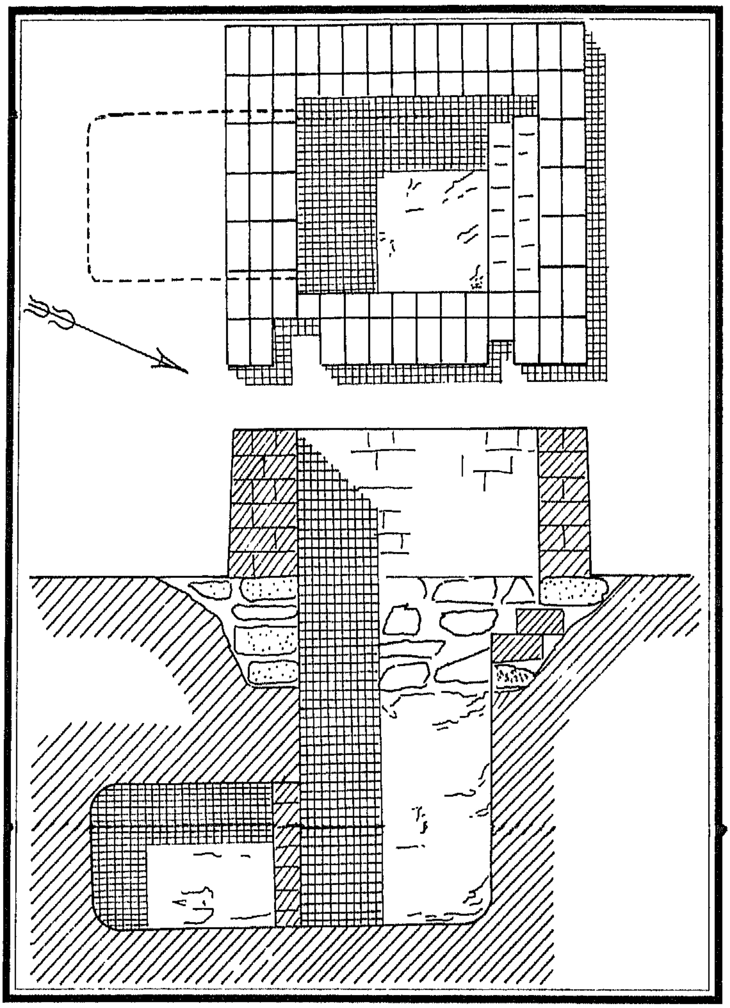
وكان المبنى العلوى من اللبن مسمطا محشوا بالرديم وجدرانه الخارجية مسطحة ، وبها بابان وهميان على واجهته الشرقية ، الكبير منهما ناحية الجنوب والصغير ناحية الشمال ، ويبدو أن حشو الرديم داخل المبنى العلوى كان يوضع بعد الدفن ، لأنه بخلاف ماحدث فى عهد الأسرة الأولى لم تكن فتحة المدخل المدرج خارج المبنى العلوى ، بل كانت مدفونة دونه .

والمبنيان الجنائزيان الوحيدان من الأسرة الثانية اللذان ينتسبان لملوكهما دون نزاع هما قبرا «پرإيب سن» و«خع سخموى» فى أبيدوس (شكلى ٦٠ ، ٦٦) ، وكلاهما يختلف اختلافًا بينا فى تصميمه عن قبور نفس الفترة فى الشمال ، وهذا يدعو الدهشة ، فالبرغم من اختلاف المبنى العلوى فى مقابر الجنوب فإن المبانى السفلية فى أبيدوس تتبع نفس الخطوط العامة للتطور ، شأنها فى ذلك شأن المبانى الجنائزية فى الشمال . والقبران يخضعان للتصميم العام الذى يقضى بعمل غرفة دفن قائمة بذاتها ، تحيط بها صفوف من المخازن ، بنيت جميعها فى حفرة مكشوفة ، والاختلاف فى المفهوم المعمارى اختلاف أساسى حتى أن الإنسان ليميل إلى أن يرى فى هذه المبانى الغريبة صلة باتباع پرإيب سن عبادة ست ثم مهادنتها الظاهرة فى عهد خع سخموى ، وسارت قبور الطبقة الثانية من الأشراف على نفس النمط ، ولكن لاتوجد مخازن على جانبى المدخل المدرج إلا فيما ندر ، ولاتضم المقبرة فى العادة سوى صالة وحجرتين إحداهما فى الجانب الغربى خصصت للدفن .

وفى نهاية الأسرة الثانية نجد لأول مرة فى سقارة مقابر صغيرة ذات آبار دفن لها ما يمكن تسميته بالدرج الوهمى ، ويمثلها (شكل ٩٧) تمثيلا واضحًا ، ولابد أن هذه المقابر الصغيرة كانت للطبقات الفقيرة وهى أول علامة مؤكدة بأن جمهرة الشعب طبقت أخيرًا عادات سادتهم فى الدفن .

وتدل محتويات هذه القبور على فقر أصحابها ، فالبرغم من لف الجثة بكتان خشن لم توضع فى تابوت ، ولم يكن معها من المقتنيات سوى إناءين من الفخار للطعام والشراب .

ورغم أن حفظ جثث الموتى كان يعتبر أمرًا جوهريا إلا أن المصرى فى العصر العتيق لم يكن قد اكتشف بعد وسائل فن التحنيط الحقيقى ، التى وصل إليها خلفاؤه من بعده ، ومع ذلك فقد بذل أقصى جهده ليوقف التحلل الطبيعى للجثة ، وليحفظ على الأقل المظهر الحيوى لشخص المتوفى على هيكله العظمى الحقيقى ، ففى عهد الأسرة الأولى نعلم بأن الجسم كان يلف بطبقات سميكة من الكتان ، ولم يحدث إلا فى قبور الأسرة الثانية أن وجدنا ما يثبت المحاولات الأولى للتحنيط الحقيقى ، وذلك بإظهار ملامح المتوفى بلفه بأربطة الكتان بطريقة تسمح بالمحافظة على الشكل الحى للوجه والصدر والأطراف بعد تحلل الجسم وتقلصه فى هيكله العظمى .



(شكل ٩٧) مسقطان أفقى ورأسى لمقبرة الطبقة الفقيرة فى أواخر الأسرة الثانية.

وقد تم ذلك على ما يبدو بغمس الكتان فى مادة صمغية ، وقد حققوا بذلك نتائج ناجحة حتى أن تلك الموميات التى يرجع تاريخها إلى الأسرة الثانية تكاد تبين مظهر أصحابها فى الحياة (لوحة ٢٥أ) ، فقد مثلت ملامح المتوفى بتفاصيلها ، وكذلك الأعضاء التناسلية للرجال ، وفى حالة النساء أبرزت تفاصيل الثديين فى صورة كاملة ، ولم توضع مثل هذه الجثث فى وضع محدود مختفية الأطراف كموميات العصور التالية ، بل وضعت القرفصاء ، وفصلت الذراعان والرجلان وكذلك الأصابع ولفت بحيث تتخذ شكلها الأصلى فى الحياة .

الفصل الخامس
الفـــن

بمقدم الجنس الحاكم إلى مصر ، طرأت تغييرات جوهرية على فن النحت والتصوير تشبه تلك التغييرات التى حدثت للعمارة . فقد دخل مصر فن جديد ، ومع أن كثيرًا من الباحثين رأوا فيه تطورًا مطردًا لفن العصر السابق للأسرات كما هو ممثل فى الرسوم ذات الخطوط البيضاء على الفخار ، إلا أنى أرى أن هناك دليلا قويًا على أن شيئا ما حديث العهد جدًا قد اجتاح وادى النيل فى الفترة السابقة للوحدة مباشرة .

فن النقش

ونرى لأول مرة فنا لا جدال فى أنه باكورة ما وصل إليه الفن فى مصر الفرعونية ، ونرى فيه مفاهيم فن النقش والتصميم الزخرفى التى كان مقدرًا لها أن تدوم أكثر من ثلاثة آلاف سنة ، ولاشك أنه كانت هناك روابط تربطه بفن عصر ما قبل الأسرات ، ولاعجب أن طبق الفنان فى بيئته الجديدة بعض الخصائص التى تميز بها عمل أجداده ، ولكن هذا الفن فى كل جوهره كان وليد حضارة جديدة ، كما كان مدينًا إلى حد كبير لتأثير بلاد مابين النهرين ، وقد أثبت ذلك الدكتور الراحل هنرى فرانكفورت بالأدلة الآتية :

١ ـ الحيوانات المركبة وخاصة الغرفين المجنح[١] والسنانير برقاب[٢] أفاع على اللوحات ومقابض السكاكين .

٢ ـ المجموعة التى تمثل بطلا مسيطرًا على أسدين .

٣ ـ أزواج من الحيوانات الملتفة حول بعضها على مقابض السكاكين وعلى لوحة نعرمر .

ولكن هذا التأثير القادم من بلاد مابين النهرين ، سواء كان مباشرًا أو غير مباشر كان تأثيرًا انتقاليا فحسب إذ إنه اختفى بعد الوحدة ، وتقررت مكانه تقاليد الفن المصرى البحتة ، هذا ومعلوماتنا عن فن النقش[٣] فى الفترة السابقة للوحدة قاصرة تقريبا على اللوحات الحجرية التى تمثل المواكب والاحتفالات الدينية وكذلك رءوس دبابيس القتال التى كشف عن معظمها فى هيراكونبوليس .

وقد اختلف تصميم وصناعة هذه اللوحات اختلافًا كبيرًا ، من أعمال بدائية الصنع

---

(١) وحش خرافى نصفه سبع ونصفه طير . (المترجم)

(٢) يشبه الأسد والنمر . (المترجم)

(٣) وهو الحفر البارز والغائر . (المترجم)

جداً إلى تلك النماذج الرائعة كتلك التى سبق وصفها ، ولكن حتى مع هذا الاختلاف فى الجودة فمن الواضح أنه لابد أن كانت هناك وراءها فترة تطور ملحوظة لم نعثر بعد فى مصر على دليل مقنع عنه ، وتعتبر لوحة نعرمر الشهيرة التى تسجل انتصاراته من أبرز هذه اللوحات الجنائزية فقد أحسن تخطيط تصميمها فى كلا الوجهين ، حتى أن الإحساس بالتناسق الذى أصبح من الأمور المهمة فى الفن المصرى فيما بعد تحقق فيها (شكل ٤) فنرى فيها الأوضاع التقليدية لصور الإنسان والحيوان التى ظلت ثابتة فى الأزمنة التالية ، وقد نفذها الفنان فى ثقة تامة ، ومع أهمية لوحة نعرمر كمثل لسجل تاريخى وعمل فنى عظيم فإن شهرتها ترجع إلى حد كبير إلى أنها لحسن الحظ واحدة من الأدوات القليلة التى عثر عليها سليمة غير مهشمة .

لقد بقيت لنا لوحات أخرى أكثر منها دقة ، ولكن لسوء الحظ لم نعثر منها إلا على بضع قطع ؛ فالقطعة المحفوظة بمتحف اللوفر مثلا (لوحة ٣ب) لابد وأنها من لوحة أكثر فخامة من لوحة نعرمر من ناحية التنفيذ الفنى ، فصورة الثور الجاثم على عدوه الممدود تحته تعتبر حقاً قطعة فنية نادرة لايدانيها مثل آخر للفن المصرى فى العصر العتيق ، ووطأة حافر ذلك الحيوان على الساق اليمنى للآدمى نفذت تنفيذاً ممتازاً ، وكذلك الذراع المرفوعة للرجل المنطرح أرضًا ، ففضلا عن هذا الإتقان الصناعى لتلك القطعة فإن تصميمها فى ذاته يدعو للإعجاب ، خاصة إذا أدركنا أن الجزء العلوى للثور يمثل حافة اللوحة العليا وربما كان مكررا بشكل عكسى على الجانب الأيسر لهذه اللوحة .

ومن الأمثلة الباهرة الأخرى للتصميم الزخرفى والصناعة الفنية المثلى قطع من لوحة يوجد جزء منها بالمتحف البريطانى ، وآخر بمتحف أشموليان فى أكسفورد . وقد نقش على واجهتها منظر معركة يهاجم فيه أسد ونسور جثث الموتى ، وظهر فوقها أسرى ربطوا فى ألوية حورس وتحوت ، ويقابلهم فى الجانب الآخر عدو منهزم وقد أمسك به رجل برداء طويل ذى أهداب من طراز مابين النهرين ، ونقش على ظهرها منظر زرافتين تأكلان من سعف نخلة تتوسطهما .(١)

وكذلك اللوحة المعروفة باسم لوحة الصياد ، وقد حفظت أجزاء منها بالمتحف البريطانى ومتحف اللوفر ، وهى فريدة فى تمثيل ازدحام الأشكال الآدمية فى وقفات تنبض بالحياة ، وخاصة الرجال المهرولين وأحدهم قد أمسك غزالا بأنشوطته ، بينما يتحاشى الآخر انتباه أسد جريح (لوحة رقم ١ب) وتشغل محور اللوحة حيوانات

(١) Petrie, Ceremonial Slate Palettes, Pls, D.&F.

الصيد من أسد وغزال وأيل وثعلب وأرنب ونعامة يحف بها على الجانبين صفان من الصيادين ، وتوجد فى أعلى اللوحة مقصورة بجانبها ثور مزدوج .

هذا والسنانير ذات رقاب الأفاعى التى تعتبر فى خصائص فن بلاد مابين النهرين يمكن رؤيتها فى لوحة أخرى محفوظة بمتحف أشموليان فى أكسفورد ، إذ يلاحظ فيها جمهرة الحياة الطبيعية : بعض المخلوقات الأسطورية كالغرفين المجنح ، والأسد برقبة ثعبان ، ورجل برأس حيوان المعبود ست الغامض ، ونلاحظ فى هذه اللوحة أيضا التوازن التام وملء الفراغ سائدًا عليها ، وقد تم نحت هذه اللوحات المصنوعة من الشيست بمكشط من النحاس أو بأداة حفر .

وقد كررت معالجة صور الحيوان والإنسان التى رأيناها على هذه اللوحات فى أدوات أخرى كمقابض السكاكين الظرانية من العاج وأهمها النموذج الفريد لسكين جبل العرق (شكل رقم ١ لوحة رقم ١ ـ أ) وعلى مقبض دبوس القتال الذى عثر عليه فى شمال النوبة وهو مغلف بصفيحة من الذهب عليها نقش بارز (شكل ٧٢) .

ونلاحظ فى التصميم الخاص برءوس دبابيس القتال النذرية نقصًا فى التناسق الهندسى الذى أتقن فى العصور التالية كما نلمس خطأً كبيرًا فى ملء الفراغ ، أما فى استخدام السجلات التى تصور مجموعات من الأفراد فإنهم اتخذوا ذلك وسيلة للتعبير الفنى التصويرى فى مرحلة مبكرة ، كما فى وقفات الإنسان والحيوان ومن أبدع أمثلة هذه الأشياء رأس دبوس الملك العقرب والملك نعرمر ، وكلاهما عثر عليه فى هيراكونبوليس ويضمهما الآن متحف أشموليان فى أكسفورد (شكل ٣و٥) .

وأول أمثلة لدينا لفن النحت البارز على نطاق كبير هى اللوحات الملكية التى عثر عليها فى أبيدوس ، وهى تبين اختلافا مذهلا فى التصميم والصناعة نعجز عن تفسيره ، حتى مع العلم بأن التعبير الفنى فى آثار بهذه الأحجام فى مرحلته التجريبية الأولى ، والقطعة الفريدة من هذا القبيل هى لوحة الملك أوادجى «الثعبان» فهى أثر لم يعل عليه فى بساطته الجميلة ، ولاتدانيه تخيلات العصور التالية الأقل أصالة (لوحة ٢ب) إنها ولاشك من أعمال أحد العباقرة ، ورغم أن غيرها من اللوحات الملكية تشبهها من جيث التصميم إلا أنها تتضاءل بجانبها فى جميع الوجوه ، فبعضها بدائية خشنة تصميما وتنفيذاً كلوحات الملكة مريت نيت ، وغيرها كلوحة الملك قاعا ، فمع أن صناعتها مرضية إلا أنه ينقصها انسجام التصميم الذى يبدو ثقيلا .

وهناك لوحتان فقط لأفراد من الأسرة الأولى يمكن اعتبارهما على درجة من الإتقان الفنى الحقيقى ، وربما كانتا من عمل نفس النحات ، إحداهما لوحة النبيل

«سابف» وقد وجدت فى مقبرة «قاعا» فى أبيدوس ، وثانيتهما لوحة «مركا» وقد وجدت فى مقبرة كبيرة فى سقارة ، ربما كانت المدفن الشمالى لهذا الملك ، وهكذا فالأثران من نفس العصر ، ورغم أنهما وجدا فى مكانين متباعدين غير أن صناعتهما وتصميمهما العام يوحيان بأنهما ينتميان إلى أصل واحد ، ورغم أن نقوشهما قد نفذت بطريقة بدائية ، إلا أنها قد تطورت تطورا كبيرا فى تصوير صاحبيهما وقوفا وجلوسا ناظرين جهة اليمين وقد نقشت ألقابهما فى صفوف أفقية منتظمة ، ويبدو أن هاتين اللوحتين غير كاملتين ، وعلى ذلك تظهر الطريقة الفنية التى اتبعت فى صنعهما إذ كان الحجر يصقل إلى مستوى مسطح أملس يرسم عليه التصميم بطلاء أسود ، وبعد ذلك تنحت خلفية الرسم بطريقة الدق حتى تبرز الصور والكتابات الهيروغليفية بسوطحها الملساء على أرضية منقورة ، ويكاد يكون من المؤكد أن تلك الأرضية الخشنة كان سيأتى دورها فى الصقل باستعمال أزميل نحاسى وحجر طحن ، وربما كانت حواف الصور تشطف أيضا بعد ذلك ، غير أنه نظرا لعدم إكمالها لايمكننا التحقق من هذه النقطة الأخيرة ، وكذلك إفريز الأسود على العتب الحجرى بمقبرة الملكة حرنيت ، فمع أنه نفذ بطريقة بدائية إلا أنه ذو أهمية خاصة ، فهو أقدم مثل للنحت فى البناء وجد فى مصر حتى الآن ، ويمكن تأريخه إلى منتصف الأسرة الأولى بكل تأكيد (لوحة ٣٢ب) ، وبنهاية الأسرة الثانية فقدت النقوش المعمارية مظهرها العتيق ، فكتفا الباب من الجرانيت المنقوش اللتان تنسبان للملك «خع سخموى» رغم بدائية صناعتهما تبينان التناسق التام لأعمال عصر بناة الأهرام .

وتعتبر اللوحة المصنوعة من الحجر الجيرى الأصفر التى عثر عليها فى سقارة المبينة فى اللوحة (٣٢ ـ أ) من الإنتاج الفنى الطريف ، وكذلك مجموعة اللوحات التى عثر عليها زكى سعد فى حلوان تبين أيضا أن التصميم التقليدى للعصور التالية قد توطد فى الأسرة الثانية .

ومن أمثلة فن النقش (البارز والغائر) فى الأشياء الصغيرة القطعة الفريدة من حجر الاستياتيت الأسود فى شكل قرص ، وقد وجدت مع كثير من القطع الأخرى بالمقبرة ٣٠٣٥ بسقارة ، وهذه الأقراص ربما كانت تمثل جزءا من لعبة ، ورغم أن بعضها مزخرف بالتطعيم والنقش فالقطعة التى أشرنا إليها لايدانيها غيرها (لوحة ٤٦ ب) ويوضح التصميم عليها منظر صيد : كلبان يطارد أحدهما غزالا ويطرح الآخر عنزة أرضا وقد أمسكها من رقبتها ، وقد نحت الكلب الأسود متداخلا مع جسم القرص بينما ظهر بطنه باللون الأبيض مطعما بالمرمر ، وكذلك قرون الغزالين وحوافرهما السوداء اندمجت فى جسم القرص بينما باقى أجزاء الغزالين وثانى الكلبين طعمت بالمرمر الأحمر القانى والبنى .

فن نحت التماثيل

تبدأ فى الواقع دراستنا لفن نحت التمثايل منذ بداية عهد الأسرات ، ليس فى إنتاج التماثيل الصغيرة فحسب ، بل وفى صناعة التماثيل الكبيرة أيضا ، سواء من الحجر أو الخشب ، ولسوء الحظ فإن التماثيل الكبيرة الحجم عانت من أيدى المخربين ، فهى بخلاف القطع الفنية الصغيرة يندر إخفاؤها .

وكنتيجة لذلك لم يبق لنا منها سوى القلة التى لاتمكننا من تكوين فكرة صائبة حقيقية للإنتاج الفنى من هذا القبيل فى مصر فى العصر العتيق ، ومع ذلك فقد عثر على ما يكفى لإثبات وجود مثل هذا النوع من الآثار ، على أنه فى بعض الحالات على الأقل كان مستوى هذه الآثار رفيعًا .

ومن أقدم أمثلة التماثيل الكبيرة التى عثرنا عليها ثلاثة تماثيل خشنة الصنع للإله «مين» وجدها بترى فى قفط ، وهى واقفة بارتفاع ١٣ قدمًا وبدون رءوس وتمثل الإله واقفا فى وضعه التقليدى وقلما نشك فى شخصية صاحبها التى تؤكدها الرسوم المحفورة لشارات الإله «مين» بين صور أشخاص آخرين على جذع التمثال ، ولكن هذه التماثيل الكبيرة تعتبر بدائية حقاً ، ولعلنا نتساءل إن كانت تتبع فن شعب الأسرات ، لأنها فريدة فى نوعها وتشبه إلى درجة كبيرة التماثيل الصغيرة فى عصر ما قبل الأسرات .

أما التماثيل بالحجم الطبيعى أو مايقرب منه فلدينا بقايا أربعة منها ، وترجع إلى عصر دجر وأوديمو وقاعا من ملوك الأسرة الأولى ، وكلها من الخشب ورغم أنها قطع صغيرة إلا أنها تشير إلى أن الصور التقليدية فى العصور التالية كانت قائمة حين ذاك ، فالقطعة التى عثر عليها فى أبيدوس من عصر الملك دجر تمثل جزءا من صدر تمثال صغير لامرأة ، وقد صورت عليه العقود بطلاء أحمر وأسود ، أما القطعة التى يرجع عهدها إلى أوديمو فيبدو أنها جزء من شعر مستعار لتمثال بالحجم الطبيعى ، وقد وجدت هذه أيضًا فى أبيدوس ، والقطعتان الأخريان تمثلان أقدام وكعوب وسيقان على قاعدتين مستطيلتين لتمثالين بالحجم القريب من الطبيعى وجدت فى مكانها الأصلى بالمعبد الجنائزى لقبر قاعا فى سقارة ، والتماثيل واقفة وأقدامها اليسرى متقدمة إلى الأمام مما يحتمل أنها كانت تماثيل رجال .

وخير ما يمثل التماثيل الحجرية دون الحجم الطبيعى خمسة تماثيل صغيرة ، أحدها فى برلين ، والثانى فى نيويورك والثلاثة الآخر فى القاهرة وأكسفورد ، وتمثال برلين لشخص جالس وهو من الحجر الجيرى ، وربما يرجع إلى بداية الأسرة الثانية ، وتمثال نيويورك جلب من أبيدوس ، وينسب عادة إلى عصر الأسرة الثانية ، ويمثل امرأة جالسة عليها رداء بسيط ولها شعر مستعار وقد بسطت يديها على ركبتيها ، وهو وضع شائع أيضا فى العصور التالية .

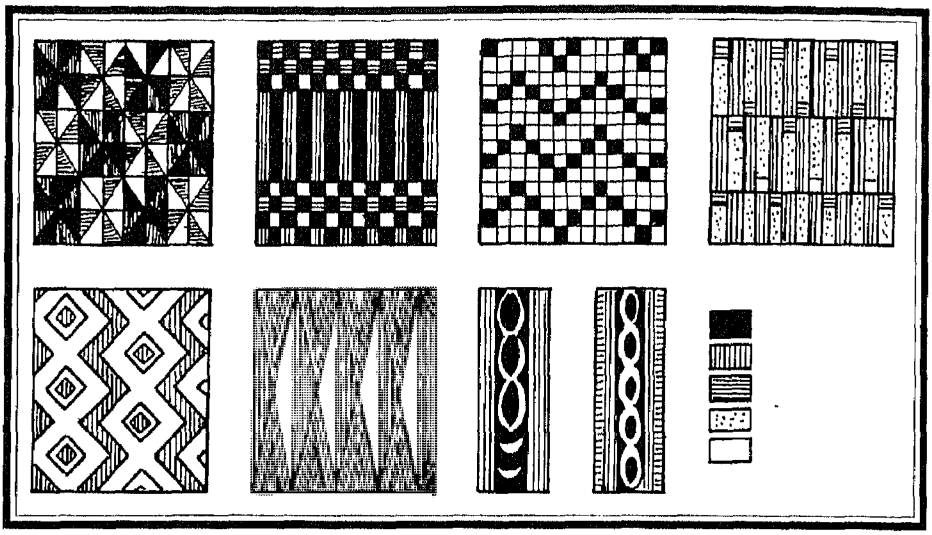
ولدينا فى متحف القاهرة تمثال لأحد الموظفين راكعًا ، ويرجع بكل تأكيد إلى منتصف الأسرة الثانية ، فقد نقش على كتفه أسماء الملوك الثلاثة الأوائل من هذه الأسرة ، وهو مصنوع من حجر الجرانيت ويدل على قدرة الفنانين الأوائل على السيطرة على المواد الصلبة ، وتضم مجموعة ميخاليدس بالقاهرة تمثالا صغيرا لطيفا للملك نترن من أوائل الأسرة الثانية ، وهو مصنوع من المرمر وارتفاعه ١٣,٥ سنتيمترا ويمثل الملك مرتديا الزى الخاص باحتفال السد وعلى رأسه التاج الأبيض وقد جلس على كرسى العرش .

ولكن أجمل أمثلة فن التحف فى العصر العتيق تمثالان جالسان للملك خع سخم أحدهما من الشيست والآخر من الحجر الجيرى وقد عثر عليهما فى هيراكونبوليس ،أحدهما بمتحف القاهرة والآخر بأكسفورد وهما يدلان على تفوق كامل فى فن النحت ، ويمثلان الملك وعلى رأسه تاج الوجه القبلى وقد التحف بالرداء الخاص بعيد السد ، وعلى جوانب القاعدة نجد نقشًا يمثل أجسام الأعداء القتلى ونقش يذكر (٤٧٢٠٩ من الأعداء الشماليين) .

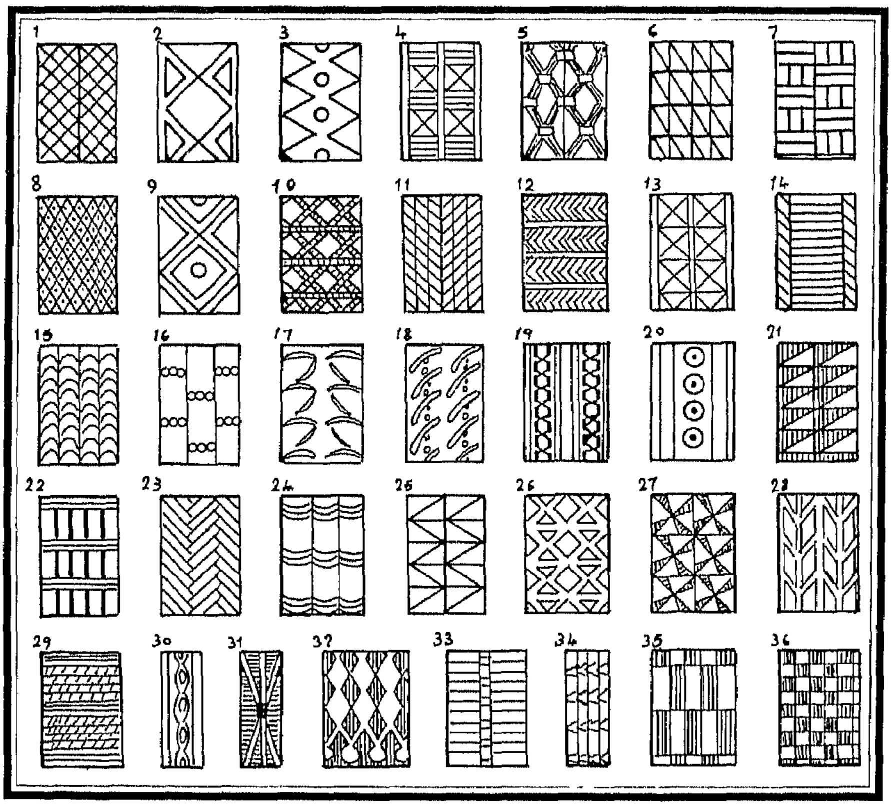
أما نحت تماثيل الحيوان بالحجم الكبير فقد كان شائعا لدرجة ما : منها أسود جالسة ، وقرد وفرس نهر ، وكلها من صنع النحاتين المحترفين فى الحجر الصلب ، غير أن مثل هذه التماثيل التى وجدت فى قفط وهيراكونبوليس وأبيدوس مخيبة للآمال ، ولاتقارن بتماثيل الحيوانات الجميلة التى تمثل قطع اللعب الصغيرة من العاج والتى وجدت فى قبر نيت حتب بنقادة ، فالفنانون فى ذلك العصر كانوا سادة نحت العاج دون منازع ، وكثير من التماثيل الصغيرة من هذه المادة التى عثرنا عليها فى هيراكونبوليس وأبيدوس على درجة كبيرة من الروعة ، ومن القطع الممتازة تمثال لملك مسن على رأسه تاج الوجه القبلى وقد التحف برداء مطرز خاص باحتفال السد ، ولم نعرف بعد الملك الذى تمثله هذه القطعة الفريدة الصغيرة ، وإن كانت بصفة عامة ترجع إلى أوائل الأسرة الأولى (لوحة ٣٠ب) .

فن الرسم

إن فن الزخرفة البحت فى العصر العتيق يمكن تفسيمه إلى طلاء الجدران والتصميم المنحوت فى الأدوات من العظم والعاج والخشب وخاصة الأثاث ، ومن الجلى أن الوحدة الأساسية فى التصميم الملون على جدران المبانى هو النموذج المشتق من الحصير المجدول ، أما فى تركيبات الأثاث المنحوتة فقد كان من الشائع جدا استعمال النماذج القائمة على فكرة حزم من نبات البوص المربوطة ، ويتبين ذلك فى وضوح تام فى التصميمات المرسومة فى شكل ٩٨ ، ٩٩ وهى تمثل هذا الفن فى الأسرتين الأولى والثانية تمثيلا تاما ،



(شكل ٩٨) نماذج للزخرفة باللون على الجدران.



(شكل ٩٩) نماذج التصميمات الزخرفية على الخشب والعظم والعاج.

فبينما أصبح التصميم الذى على شكل البوص المربوط والمستعمل فى نحت العاج والخشب نادرا نسبيا فى العصور التالية نجد أن معظم رسوم الجدران ذات الألوان المتعددة قد ظلت قائمة طوال تاريخ مصر مع احتفاظها بترتيب ألوانها .

على أن أمثلة الرسم الحر بالفرجون غير شائعة مع وجود بعضها ، وأهمها قطعة غير مهذبة من الحجر الجيرى بسقارة عليها صورة ثور وقرد .

التصميم الزخرفى

وإلى جانب النحات والنقاش كان هناك فنانون آخرون كصانعى الأوانى الحجرية التى كانت من الأدوات المنزلية الهامة فى مصر فى العصر العتيق ، وكان الفنان أحيانا لايقنع بأشكالها البسيطة رغم جمال شكلها ونفعه ، وربما أنتج مبتكرات متقنة خيالية ، التى إذا ما أخفقت أحيانًا فى تحقيق الناحية الجمالية أدهشتنا بتنفيذها الفنى ، والأمثلة المبينة فى اللوحتين ٣٨ ، ٣٩ فلا غبار عليها وهى تنتمى إلى الأسرة الثانية فيما عدا الصحن على شكل ورقة الشجر ، ويمكن نسبته إلى عهد أوديمو ، ولعل أكثر تلك الأوانى الحجرية غرابة ذلك الصحن الكبير الذى ينسب لسابو ، وهو من حجر الشيست ويرجع إلى منتصف الأسرة الأولى وقد نحت تقليدًا لنموذج من المعدن له ثلاثة جوانب متساوية وقد ثنيت حوافها العليا نحو ثقب فى الوسط ، وهذا الابتكار العجيب يوحى بأن هذا الصحن صمم ليلائم قاعدة خاصة يوضع عليها .

وإن ما بقى لنا من فنون الأسرتين الأولى والثانية لينهض دليلا كافيًا على المستوى الفنى الرفيع فى التنفيذ الذى كانوا قد توصلوا إليه بالفعل ، فالنحت الجرىء القوى والابتكار فى التشكيل والقدرة الفنية على استعمال المواد الصلبة كانت جميعها أساسا لذلك التفوق فى الفنون ، الذى استحق المصريون من أجله شهرتهم الكبرى فى كل المنطقة الغربية من آسيا .

الفصل السادس
العمــــارة

إن معلوماتنا عن العمارة فى مصر فى العصر العتيق ترتكز كلية على المبانى الجنائزية ولكن لحسن الحظ أن هذه المبانى الخاصة بالموتى كانت إلى حد بعيد نسخًا تقليدية لبيوت الأحياء ، وبالتالى فلاتعوزنا تماما الفكرة عن المبانى السكنية .

التصميم

لقد استعرضنا فى الفصل الرابعة العمارة الجنائزية وتطورها فى الأسرتين الأولى والثانية ، فلنفحصها الآن فيما يتعلق بالأدلة المصورة عن المعابد والمبانى الأخرى التى تركها لنا فنان ذلك العصر ، وربما يكون هذا الدليل غير كاف لأنه قاصر على رسوم صغيرة فى لوحات من الخشب والعاج ضئيلة الحجم لم يعطها الفنان دقة متناهية نظرا لعدم أهميتها .

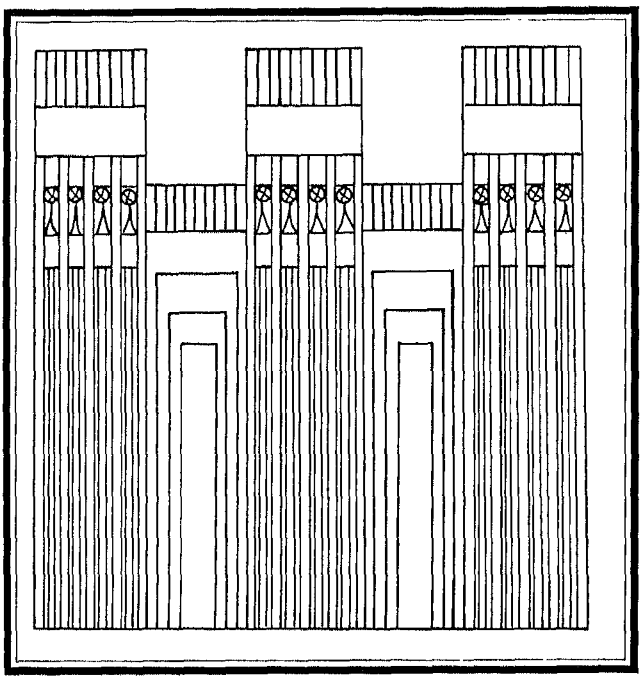
لقد صور لنا فنان ذلك العصر على الأختام بعض المقصورات ، ولكن صورتها فى هذه الحالة أيضا من الصغر بحيث لانستطيع معها أن نتحسس تفاصيل البناء الدقيقة ، ويميل بعض المؤرخين إلى اعتبار المعابد والمقصورات المنقوشة على البطاقات وعلى الأختام مبانى رقيقة من الأغصان تكسوها طبقة طينية ، وقد تأثروا ولاشك فى رأيهم هذا بالخطوط المتقاطعة التي استخدمت فى الرسم ، متجاوزين فى ذلك حقيقة أن تلك لم تكن سوى وسيلة التعبير الشائعة فى جميع أعمال النقش فى ذلك العصر ، حقا لقد كانت بيوت الأحياء طوال عصور التاريخ المصرى تبنى بمواد أقل متانة مما استعمل فى مبانى المقابر ، غير أنى أشك فيما إذا كان هذا ينطبق على مبانى المعابد والقصور التى أظن أنها كانت تشيد بنفس المواد المتينة التى أقيمت بها المقابر ، وفى الحقيقة أن جميع المبانى من اللبن فى العصر العتيق بمصر كانت نسخا من المبانى الخشبية فى الفترة السابقة ، ولكن ما أن تأسست الأسرة الأولى حتى ازدهرت العمارة اللبنية الدقيقة وتطورت تطورًا كاملا ، ويكاد يكون من المؤكد أن العادة التقليدية فى بناء المعبد والقصر من الخشب قد تلاشت ، وربما قصر استخدام الخشب فقط على بيوت المواطنين من الطبقة الأقل أهمية ، وبمجرد أن تغلب البناءون على مشكلة البناء باللبن أصبح إنتاج هذه المادة بوفرة أكثر

سهولة من الحصول على الأخشاب اللازمة للمبانى الضخمة فى بلد كمصر تندر فيه الأخشاب ، وفى الواقع أننا ندرك أن جميع كتل الأخشاب الضخمة التى استخدمت فى سقوف المبانى السفلية للمقابر الكبيرة كانت تستورد من الخارج .

ويمكن تفسير التطابق بين مبانى المعابد كما صورت على البطاقات وبين المبانى الجنائزية الكبيرة من اللبن ذات الدخلات والخرجات بأنها جميعا قد اشتقت من نفس الفكرة المعمارية ، التى كانت فى أساسها بناءً مستطيلا له سقف مقوس وجدران قائمة عند الطرفين ، يشبه إلى حد بعيد التابوت الخشبى المبين فى (شكل٧٧) ومع أن مثل هذا المبنى كانت له مجموعة من الأبواب فى جوانبه الأربعة ، فإن مدخله الرئيسى يبدو فى طرفى الجانبين القصيرين ، وكانت تضىء هذا المبنى نوافذ صغيرة تعلو الأبواب ، ومن المحتمل أن شكل هذا المبنى قد نشأ فى الوجه البحرى ، فقد طبق تصميم المبنى العلوى لمقابر الشمال خلال العصر العتيق ، واستمر فى تصميم التوابيت الداخلية والخارجية حتى قدوم المسيحية ، ومع أنه يحتمل كما بينا سابقا ، أن هذه المبانى كانت من اللبن فى عهد الأسرتين الأولى والثانية ، فإن شكلها العام لايوحى بأنها كانت فى الأصل هياكل لها سقوف وجدران كالخيام ، ويعزز هذا الرأى الزخارف التقليدية الملونة على جدرانها ذات الدخلات والخرجات وهى الزخارف التى أخذت شكل الحصير الملون المثبت بواسطة حبال للربط ، كما تشبه الأعمدة الخشبية التى تحمل الهياكل التى قد يتدلى عليها مثل هذا الحصير ، ولكن فى العصر الذى نحن بصدده كان اللبن مادة إقامة مثل تلك المبانى ، ولايمكن لنا أن نؤكد أن الأسلوب المعمارى ذى الدخلات والخرجات الذى يزين الجدران الخارجية لتلك الأبنية يعتبر تطورا مباشرا للبناء على هيئة الخيام ، وكل ما نعلمه أنه مع قدوم جنس الأسرات ظهر فى مصر هذا الطراز من المبانى الأثرية لأول مرة ، وفى هذه الصورة من المبانى تظهر بوضوح الصلة بين مصر وبلاد ما بين النهرين .

فأوجه التشابه القوية فى المبانى الطينية ذات الدخلات والخرجات فى كلا المنطقتين واضحة تماما بحيث لايمكن تجاهلها سيما إذا اعتبرنا أنه لايوجد فى مصر على ما يبدو أصول سابقة أو دلائل تثبت تطور هذه المبانى الضخمة المعقدة ولكن هناك أيضًا اختلافات ، لأنه بالرغم من أن المهندس المصرى قد شيد أبنيته هذه مشابهة فى تصميمها الخارجى إلا أنه توصل إلى هذه النتيجة مع استخدام قوالب

من اللبن ذات أحجام تختلف اختلافًا كليًا[1] ونستنتج من ذلك أنه كانت هناك صلة غير مباشرة ، وربما وجد مصدر ثالث انتشر نفوذه فى كل من الفرات والنيل ، ولكن استنادا إلى ما لدينا حاليا من معلومات فقد يكون من العبث إطالة التفكير فى ذلك ، ولايمكننا أن نتجاوز الاعتراف بوجود علاقة بين مصر وبلاد ما بين النهرين لاشك فيها ، سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة ، هذا وقد استخدم الشكل المربع لمبانى هذا الطراز فى تصميم إطار «السرخ» الذى كان يكتب فيه اسم الملك وهو المعروف بالاسم الحوريسى (انظر الفصل الثانى) ، إن إطار «السرخ» يمثل واجهة القصر ذات الدخلات والخرجات وهو مبنى فذ قد يشبه فى مظهره الخارجى المبانى العلوية للقبور الملكية ، وأدق مثل لتصميمه اللوحة الجنائزية الشهيرة للملك «أوادجى» (الثعبان) حيث الدخلات والخرجات التى تظهر على الجزء السفلى من إطارها تمثل تمثيلا دقيقا المبانى اللبنية للمقابر الكبيرة فى سقارة (شكل ١٠٠) .

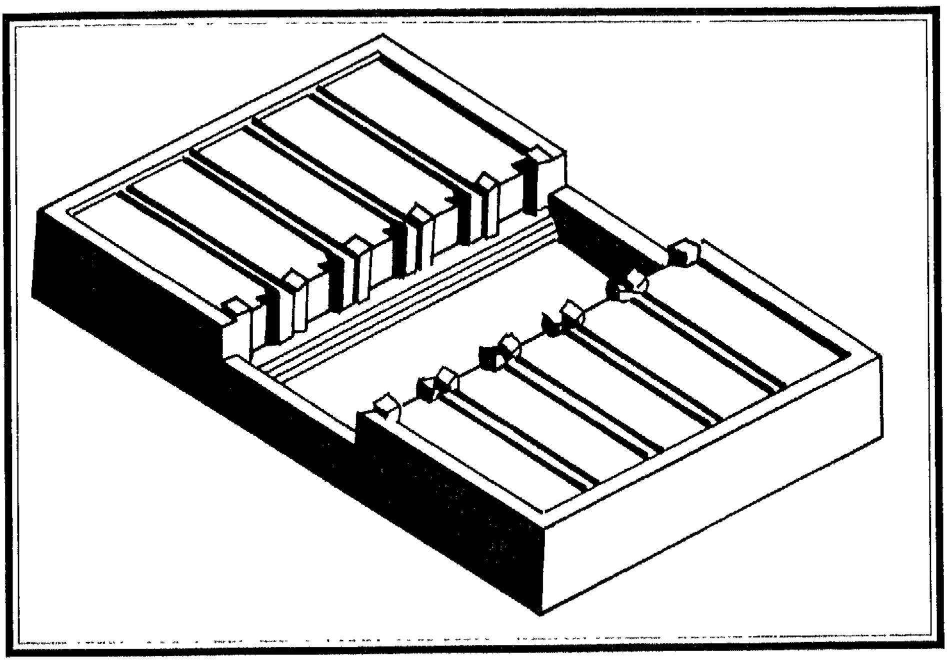


(شكل ١٠٠) واجهة قصر على لوحة أوادجى.

(١) أحجام اللبن فى عهد ازدهار جمدة نصر فى بلاد مابين النهرين :
٢٠×٨,٥×٨سم
٢٣×٩×٦,٥سم
أحجام اللبن فى عهد الأسرة الأولى فى مصر :
٢٤×١٠×٥سم
٢٣×١٢×٧سم

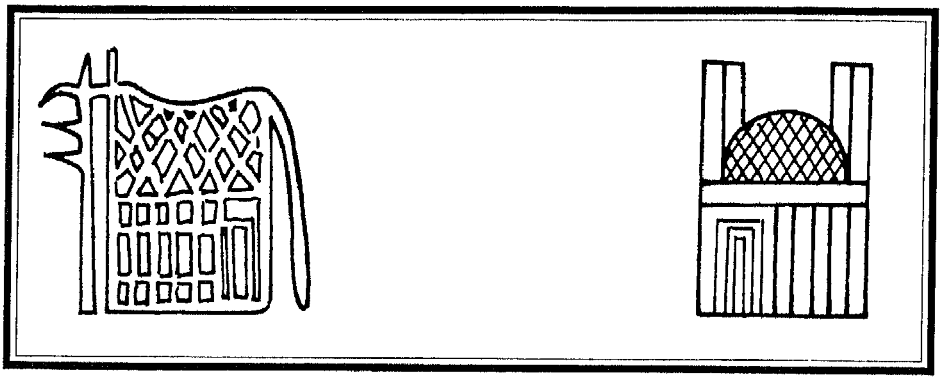
وتبين الصورة القديمة لتصميم واجهة القصر «السرخ» على لوحة نعرمر أن هذه المبانى كانت قائمة فعلا قبل تأسيس مصر المتحدة ، ومن الجدير بالملاحظة أن مثل هذا التصميم استخدمه ملوك طينة مما يدفعنا إلى إعادة النظر فى الرأى القائل بأن هذه المبانى ترجع كلية إلى مصر السفلى .

وكانت هناك أشكال معمارية أخرى كما نرى فى نماذج المبانى التى كانت جزءاً من الأثاث الجنائزى للملك «حورعحا» فى سقارة (شكل ١٠١) ومما لاشك فيه أن المبانى العلوية للمقابر الملكية فى أبيدوس كانت ذات تصميم مختلف فى أساسه ، ويأخذ بلاشك شكل ركمة مستطيلة مكسوة باللبن ، تطورت فى أواخر الأسرة الأولى إلى مبنى هرمى مدرج على نحو المبنى الذى أقيم فوق المقبرة رقم ٣٠٣٨ بسقارة (شكل ٤٣) .



(شكل ١٠١) منظر أكسونومترى لمبنى نموذجى.

ومن المحتمل أن المبانى الخشبية ظلت قائمة فى المقصورات ، كتلك التى توضحها لوحة أوديمو من أبيدوس (شكل ٣٦) ، وقد ظل هذا الطراز المعمارى متبعا فى تصميم المقصورة الداخلية التى كان يسكنها تمثال الإله بين هياكل المعبد فى العصور التالية ، كما بقى الشكلان المعماريان التقليديان (شكل ١٠٢) كعلامتين هيروغليفيتين ، عرفتا فى العصور التالية بالمقصورتين القديمتين الوطنيتين لمصر السفلى والعليا ، ولكننا لانستطيع أن نجزم بوجودهما على هذا النحو فى العصر العتيق .



(شكل ١٠٢) الهيكلان القوميان لمصر العليا والسفلى.

مواد البناء

ولنستعرض الآن مواد البناء التى استخدمت فى تشييد المبانى الأثرية الضخمة فى العصر العتيق ، كان اللبن مادة البناء الأساسية بالاستعانة بالخشب والحجر ، وكانت قوالب االلبن تصنع من طمى النيل الممزوج بنسبة ضئيلة من تبن القش لتلافى زيادة الانكماش إذا ماجفت ، وإذا لم يتوافر القش أضيف الرمل لنفس الغرض ، ولكن يندر وجود لبنات بلا قش فى العصر العتيق ، مع اختلاف نوع الطين حتى فى البيئة الواحدة وتفاوت لونه من الرمادى الداكن إلى الأصفر الفاتح .

وبالطبع لم يستخدم الآجر فى مصر إلا فى العصر الرومانى ، ولكن يجب أن نلاحظ أنه نتيجة لتدمير كثير من مقابر الأسرة الأولى بالنيران ، فلابد أن عرف المصريون الأوائل الآجر ، فقد أحال أولئك الذين أشعلوا النار كثيرًا من المبانى

العلوية للمقابر الكبيرة بسقارة إلى قمائن للآجر فشوهدت كميات من طوب تام الاحمرار بعد جريمتهم ، ولدينا الدليل على أنه عند إعادة بناء بعض هذه المقابر الخربة أعيد استخدام الطوب الأصلى المحروق ذى اللون الأحمر ، ولكن المهندس المصرى اكتفى باستخدام اللبن الذى جففته الشمس ، وكان ذلك عن صواب ، لأن هذا الطوب الأخضر وقد مضت عليه ٥٠٠٠ سنة دل على صلابة تعادل صلابة الأحجار اللينة .

وتختلف أحجام قوالب اللبن فى العصر العتيق من ٢٣×١٢×٧سم إلى ٢٦×١٣×٩سم وقد فضلت الأحجام الكبيرة فى الفترة الأخيرة من الأسرة الثانية ، وقد استخدمت أحيانًا لبنات صغيرة جدا فى زخارف الدخلات والخرجات الدقيقة لمبانى الأسرة الأولى ، وكانت أبعادها دائما ثابتة وهى ١٧×٥×٥سم ، ومن الجدير بالملاحظة أن لبنات صغيرة من الطوب الأخضر أبعادها ١٣,٥×٤,٥×٤,٥سم ، وجدت فى مذبح معبد العين **Eye-temple** فى براك **Brak** فى شمال سوريا ، وترجع إلى ماقبل عام . ٣٠٠٠ق .م[1] ، كما استخدم الطين المجفف أيضا فى تشكيل الوحدات المعمارية كنموذج الحصير المتدلى رأسيًا على واجهة القصر ، وكذلك فى الأسطوانات فى أعلى الدخلات الصغيرة ، وربما استعمل أيضا فى الأعتاب المربعة الشكل التى استخدمت فى النوافذ التى تعلو الدخلات (شكل ١٠٣) .

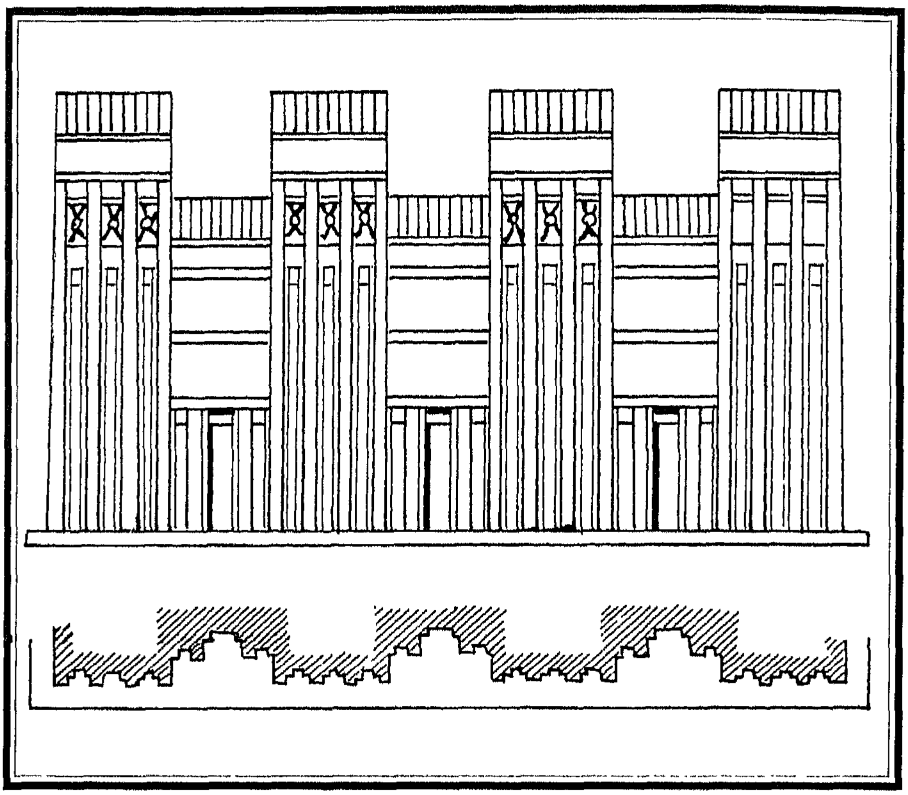
وتتميز هذه المادة بمتانتها العجيبة وثقلها ، ومن الواضح أنهم كانوا يحصلون عليها بتقوية الطين بشرائط صغيرة من ألياف الكتان وتجفيفه تحت ضغط كبير ، أما عن كيفية الوصول إلى هذا الضغط فليس لدينا ما ينيرنا فى ذلك ، ولكننا نلمس متانة هذه المادة بمعاينة عتب وجد بسقارة تبلغ أبعاده فى حالته التى وجد عليها مكسورًا ٦٣×١٨×١٠سم وهى أبعاد تدعو للعجب بالنسبة لأداة من الطين المجفف بالشمس .

ولم يكن استخدام الحجر فى هذه الفترة على نطاق كبير ، ولكن لدينا من الأدلة ما يثبت أن المهندسين كانوا على بينة من قيمته كمادة من مواد البناء ، وكانوا قادرين على استخدامه فى نطاق واسع ، وقد استخدم الحجر فى الحوائط الساندة وحشو الدعامات ، وفى الأرضيات والسقف وسنادات الجدران وفى كتل

---

(١) Jrag, IX, pt I, P. 55 Jemdet Nasr Period.

السدادات والبوابات (لوحات ١٦ ، ١٧) وكان أكثر الأحجار استخداما الحجر الجيرى ، ومع ذلك فقد لاحظوا ما لحجر الجرانيت من قيمة ، وذهبوا إلى استعمال الكتل الجرانيتية خشنة التهذيب فى أرضية قبر أوديمو بأبيدوس .

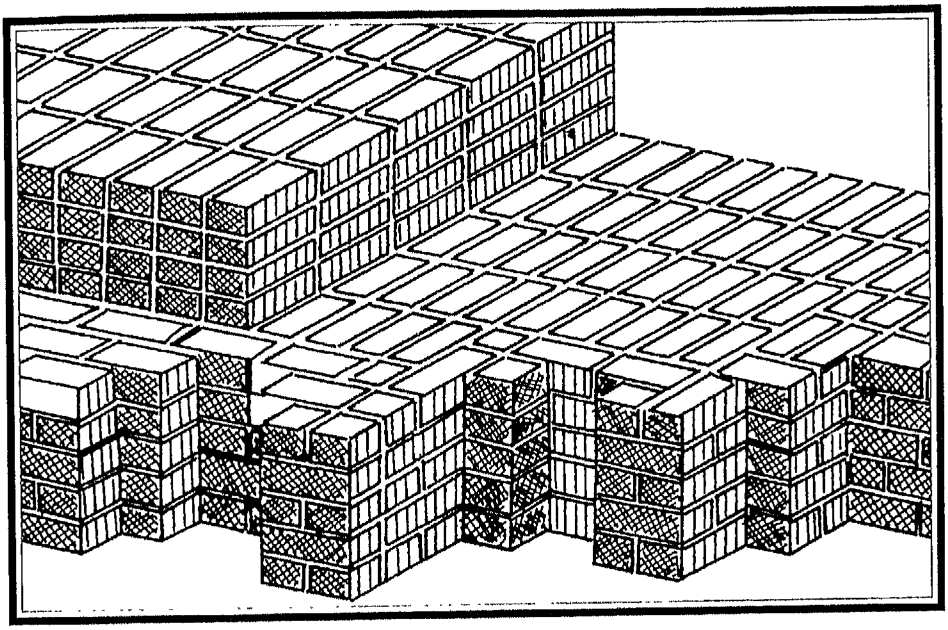


(شكل ١٠٣) رسم تصورى لواجهة قصر من أوائل الأسرة الأولى.

كما استخدم الخشب أيضًا بكميات كبيرة فى السقف والأرضيات ولتغطية سطوح جدران الغرف ، والمعروف أن مصر كانت دائما تفتقر إلى الأخشاب ، ومع أن الخشب المحلى قد استعمل فى تبطين الغرف وما شابه ذلك ، إلا أن كتل الخشب الضخمة وألواح الخشب الكبيرة التى كانت تستخدم فى السقف كانت تستورد من لبنان ، وإلى جانب استخدام كميات من خشب النخيل الذى كان يسهل عليهم الحصول عليه ، فإن خشب الأرز كان النوع الوحيد الملائم للأعتاب اللازمة للغرف الكبيرة السفلية فى مقابر الملوك .

تشييد الأبنية

استخدمت طرق مختلفة لكى تتماسك قوالب اللبن فى بناء الجدران ، وكانت هذه الطرق تختلف كثيرًا كلما اتسع الجدار كما هو مبين فى (شكلى ١٠٤ ، ١٠٥) وفى المبانى ذات الجدران الكبيرة وضعت طبقات من حصير البوص على مسافات تتراوح بين خمسة مداميك وثمانية ، لتساعد على ربط البناء وتجفيف داخله بطريق «التوصيل»(١) وكان يستبدل الحصير أحيانا بشباك رقيقة من العصى ، توضع فوق كل مدماك خامس ، وقد عرف أيضاً مبدأ العاضدة لتقوية الجدار ، ولكنها كانت تستخدم فى الجانب الداخلى فقط من الجدران .

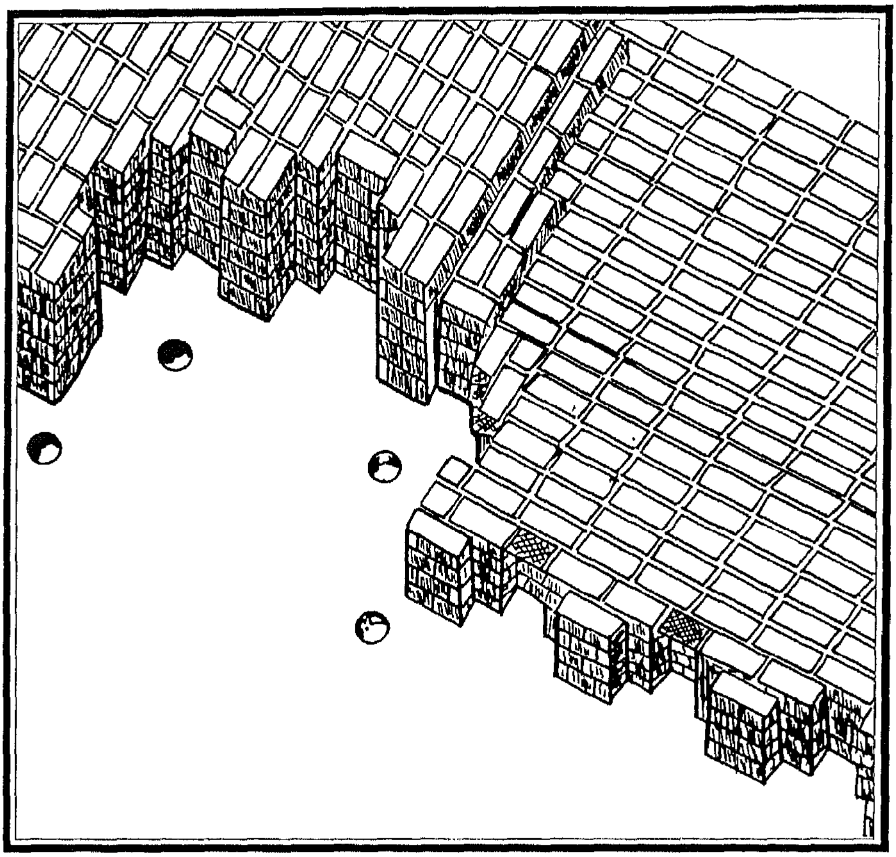


(شكل ١٠٤) نماذج طرق تماسك قوالب اللبن.

وكما ذكرنا من قبل كان الحجر يستعمل غالبا فى الحوائط الساندة وللتقوية ولما كانت هذه المبانى مؤقتة بطبيعتها فى جميع الأحوال تقريبًا ، أو على الأقل يحتمل أن تطمر فى المبنى النهائى بحيث لاترى ، استخدمت لذلك كتل الأحجار غير مهذبة القطع وكانت تثبت بملاط من الطين ، أما الأحجار المصقولة بعناية فقد استخدمت فى الكساء الداخلى لحجرة دفن مقبرة خع سخموى فى أبيدوس ، وفى

(١) Conduction.

مقابر طبقة الأشراف الثانية بحلوان[1] حيث نجد جدران الغرف السفلية مشيدة بقطع كبيرة من الحجر الجيرى الذى أحسن تهذيبه ، وبعض تلك الأحجار تبلغ أكثر من مترين طولا ومترين ارتفاعًا وأربعة أمتار فى السمك .

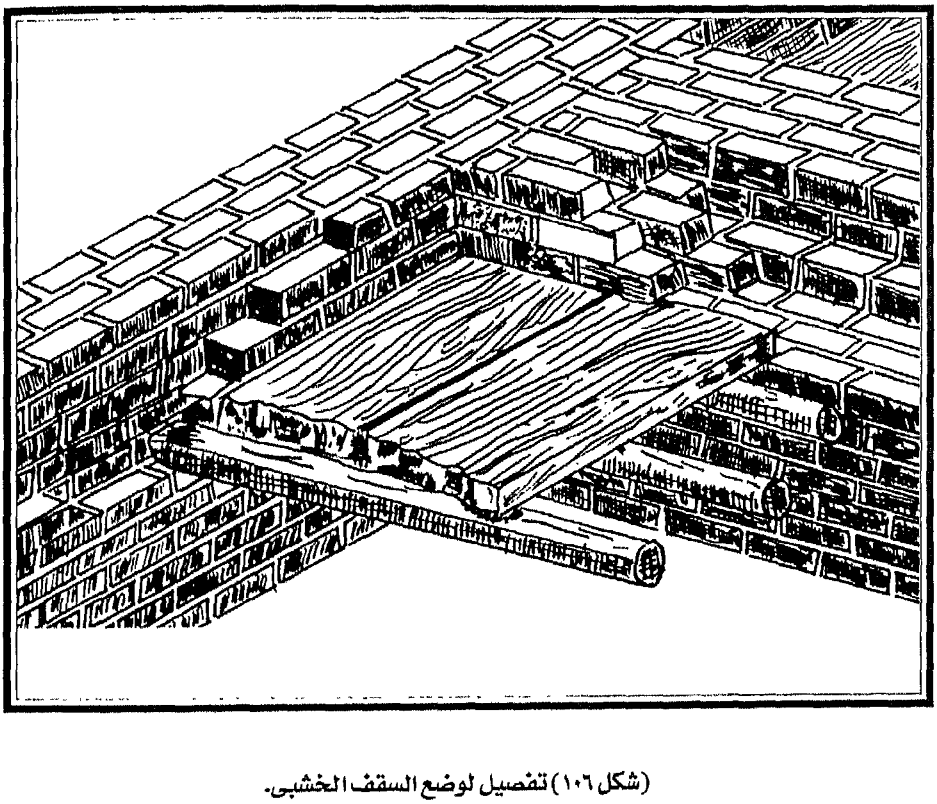


(شكل ١٠٥) تفصيل للبناء باللبن.

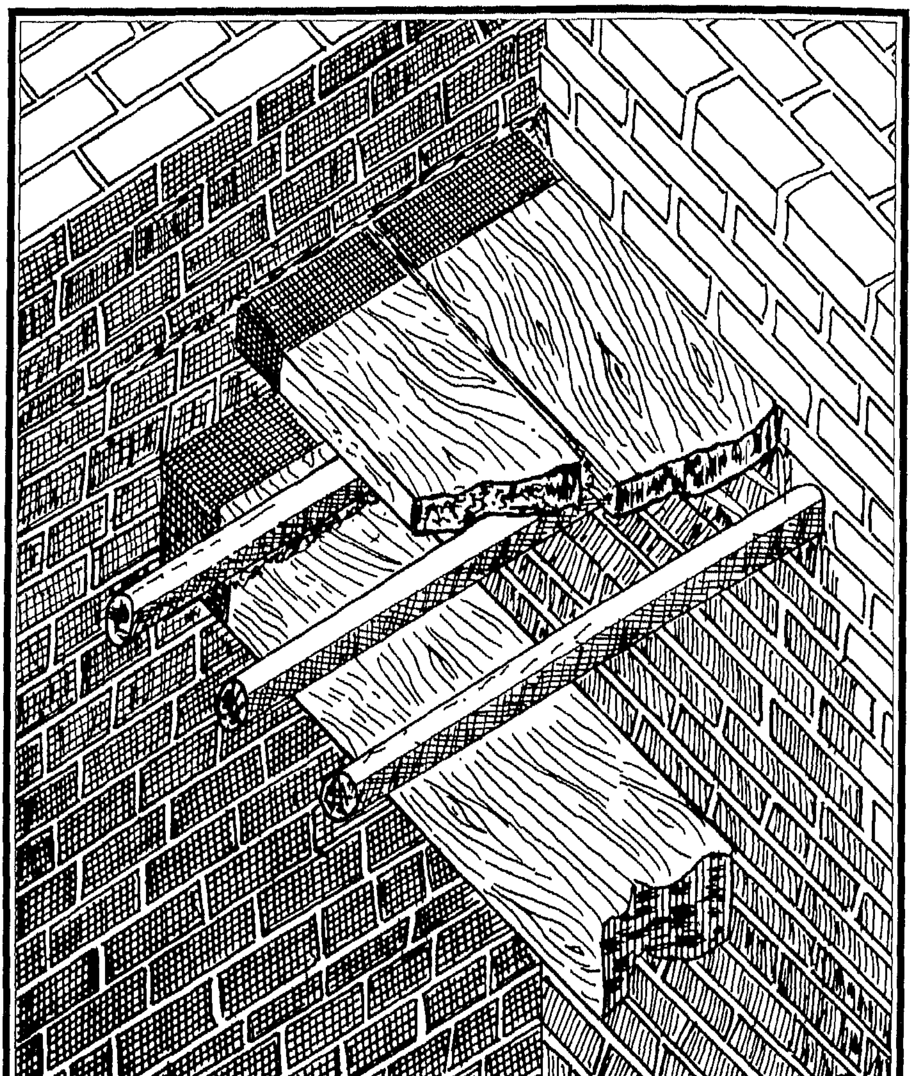
والطريقة الشائعة جدا فى إقامة السقف كانت بواسطة كتل الأخشاب التى وضعت قرب بعضها البعض والألواح الخشبية كما هو مبين فى (شكل ١٠٦) ولكن عندما يراد تغطية مساحة كبيرة كانت تلك الكتل الخشبية تحمل على كتل عرضية ضخمة من الخشب بالطريقة الموضحة فى (شكل ١٠٧) .

(٢)كشف المعرب أيضا عن بضع مقابر لطبقة الأشراف الثانية فى طرة الأسمنت مبنية بالحجر الجيرى المصقول وهى من الأسرة الأولى .

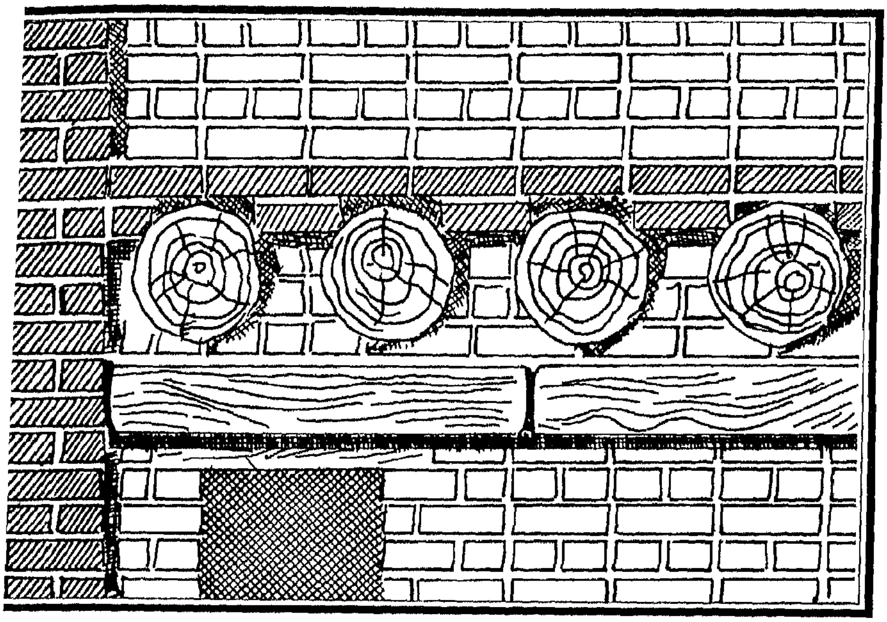
وهناك طريقة أخرى غريبة لبناء السقوف ، لدينا منها مثل واحد فى أحد القبور الكبيرة فى سقارة يمكننا اعتبارها طريقة لعمل السقف والأرضية فيما بين طابقين ، وفى هذه الحالة تعتبر ألواح الخشب سقفا أسفل الكتل الخشبية التى رصت متقاربة جدا بما يسمح بملء الفراغ بينها باللبن كما هو موضح فى (شكل ١٠٨) ، وكانت الفراغات الضيقة كالدهاليز والسلالم تسقف أحيانا بكتل خشبية ترص بجوار بعضها البعض . وقد أصبحت طريقة التسقيف هذه تقليدية فى المبانى الحجرية فى عصر بناة الأهرام (شكل ١٠٩) وقد سقفت الحجرات الصغيرة والممرات أيضا ببلاطات سميكة من الحجر لاتتناسب أوزانها مع المساحة التى تغطيها .



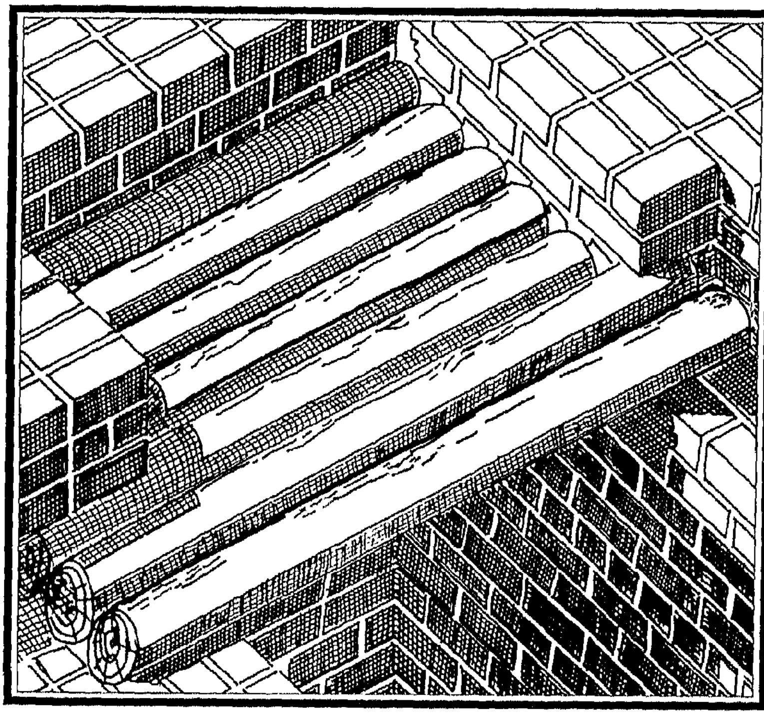
(شكل ١٠٦) تفصيل لوضع السقف الخشبى.



(شكل ١٠٧) تفصيل آخر لوضع السقف الخشبى.



(شكل ١٠٨) تفصيل لوضع السقف الخشبى.



(شكل ١٠٩) تفصيل لوضع السقف الخشبى.

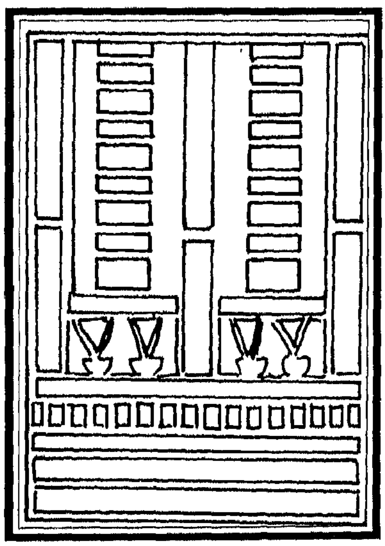
هذا وقد عرف المصريون القبو المائل على شكل برميل ، المبنى من اللبن منذ أواخر الأسرة الأولى على أقل تقدير (شكل ٩٠) ، ورغم أن الأمثلة التى عثرنا عليها كانت تغطى مقابر فى شكل حفر صغيرة ، فإنه يبدو من الأسقف المقوسة لنماذج المبانى وأغطية التوابيت الخشبية ، التى نعلم أنها كانت نسخا للمبانى السكنية المعاصرة ، أن بناء الأقبية على نطاق أوسع لم يكن عسيرا على أولئك البناة الأوائل .

وقد شاع استعمال طرق مختلفة لعمل الأرضيات ، ولكن أكثر تلك الطرق شيوعًا كانت بوضع طبقة من الطين المتماسك ذات سطح مستو ، وبعد أن تجف تغطى بملاط من الجبس وتترك بعد ذلك بيضاء أو تطلى بألوان أخرى ، وقد وجدنا فى أبيدوس وسقارة أرضيات مغطاة بالحجر ، ولكن تلك الطريقة لم تكن شائعة واستخدمت فقط للمبانى الهامة كحجرة دفن الملك أوديمو فى أبيدوس وإحدى حجرات المعبد الجنائزى لقبر ينسب للملك «قاعا» فى سقارة (لوحة ١٤) ، والأرضية التى عثرنا عليها فى أبيدوس من كتل الجرانيت خشنة الصنع ، أما تلك التى فى سقارة فهى من بلاطات مستطيلة من الحجر الجيرى الصلب يبلغ حجمها نحو ٩٠×٨سم ، وقد ثبتت بعناية فوق طبقة من التراب ، وكانت أرضيات كثير من حجرات الدفن بالمقابر الملكية فى الشمال والجنوب من ألواح خشبية ، أسفلها دعائم من كتل الخشب تحددها سياج سطحية ، وتوضح تفاصيل تلك الطريقة اللوحة ٢١ .

ويرجع تاريخ الدرج على الأقل إلى منتصف الأسرة الأولى ولكن أقدم أمثلته سواء المبنى منه باللبن أو الحجر أو المنحوت منه فى الصخر الطبيعى ، تحتفظ جميعها بشكلها الأصلى وهو المنحدر : فهو ذو مصعد قائم قليل الارتفاع ، وموطئ منحدر بزاوية كبيرة إلى حد ما ، وقرب نهاية الأسرة الثانية اتجه موطئ السلالم إلى الوضع الأفقى مع بعض الانحدار ، ويستثنى من ذلك الشرفات المدرجة فى الجزء الداخلى من المبنى العلوى للمقبرة رقم ٣٠٣٨ ، فلها مصعد قائم وموطئ أفقى تماما ، ولم نعثر حتى الآن في العصر العتيق على درج مستقل للمبنى .

وبالرغم من أنه لم تصل إلينا أبواب حقيقية ، فقد عثرنا على ثقوب محاورها فى الدرجات الخشبية ، ومن الواضح أن مداخل الغرف ومخارجها كانت تصان بتلك الطريقة التقليدية ، ويمكننا القول أن حاجزا يتحرك فى ثقبين كان قد اخترع فى الأسرة الأولى .

وربما شابه من جميع الوجوه الأساسية الأبواب الخشبية التى وصلت إلينا من عصر بناة الأهرام ، وتتكون من لوح أو لوحين من الخشب دعما بعوارض أفقية ، هذا ورغم عدم عثورنا على إطارات النوافذ الحقيقية فهناك مايدل دلالة واضحة على أن المبنى المستطيل التقليدى كان الضوء يتخلله فى الداخل بواسطة نوافذ صغيرة مرتفعة ، تعلو اللوحات الغائرة التى تزخرف واجهة البناء ، ويمكن مشاهدة تلك النوافذ فى الجزء السفلى من زخرفة السرخ فى اللوحة الجنائزية للملك أوادجى «الثعبان» حيث تظهر بوضوح برسمها الرقيق لتصميم زهرتين من أزهار اللوتس ربطتا معا (شكل ١٠٣) والنوافذ التى تحمل هذا الشكل نجدها فى جميع الرسوم الدقيقة لهذا النوع من العمارة ، وإذا عدنا إلى صلة مصر ببلاد مابين النهرين فيما يختص بهذا الموضوع ، وجب أن نلاحظ أن رسما نباتيا مشابها يمكن رؤيته فيما تبدو أنها فجوات النوافذ فى صور المبانى التى ترجع إلى عصر جمدة نصر بالفرات (شكل ١١٠) ويمكننا أن نرى بوضوح النوافذ المقامة على مستوى مرتفع فى نموذج منزل من الأسرة الأولى فى العمرة .



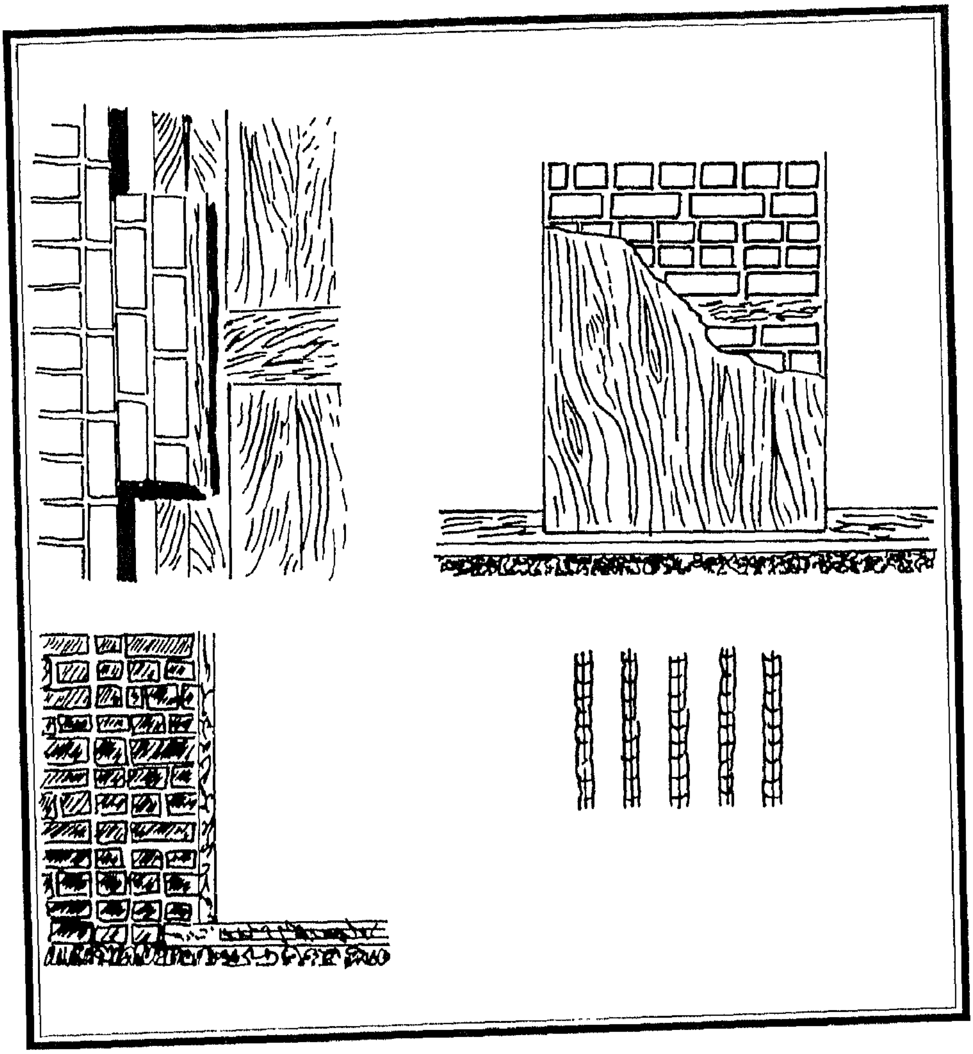
(شكل ١١٠) واجهة بناء من عصر جمدة نصر.

هذا وقد أبدى أولئك المهندسون الأوائل ذوقا ورقة تثير الدهشة فى زخرفة مبانيهم ، فبعد إتمام البناء كانت تغطى سطوحه الخارجية أولا بطبقة من ملاط الطين سمكها نحو سنتيمترين ، وبعد جفافها كانت تغطى بطبقة أخرى من ملاط الجبس ، وهذه بدورها كانت تطلى بالجير الأبيض ، كل ذلك كان بمثابة الأرضية التى يغطيها النقاش بتصميمات مشكلة تمثل الحصير المتدلى على الجدران بألوانه السوداء والحمراء والصفراء والزرقاء والخضراء ، وقبل تلوين التصميمات كانت ترسم باللون الأحمر على الأرضية البيضاء لسطح الجدار ، ويجدر بنا أن نلاحظ أنه كانت تعد خطوط ومربعات لتحديد النسب للسير بمقتضاها على نحو ما يفعل رسامو اليوم ، وذلك بجذب حبل مشدود سبق غمسه فى طلاء سائل وشد بإحكام على سطح الجدار .

وكانت الجدران الداخلية للممرات تطلى عادة باللون الأبيض البسيط أو الأصفر ، وغالبا ما كان يطلى الجزء السفلى من الجدران باللون الأحمر تارة والأسود تارة أخرى ، وكانت تصنع الألوان المستعملة من مسحوق مواد معدنية مذابة فى الماء ، وربما فى الصمغ ، وكما أشرنا من قبل كانت هذه الألوان فى الواقع مائية ، وكانت فراجين الألوان تصنع من عيدان رفيعة من البوص دقت أطرافها وفصلت أليافها بحيث تتخذ شكل الخصلات .

وكانت جدران الغرف الهامة تغطى غالبا بحصير ملون يلصق عليها بنفس الطريقة التى تلصق بها الأوراق على الجدران الآن ، وفى حالات أخرى كانت الجدران تغطى بأعمدة غير سميكة مغلفة بالخشب ، وفى حالة واحدة على الأقل كان الكساء الخشبى لتلك الأعمدة مطعما بشرائط من رقائق الذهب نقشت فيها رسوم تقليدية لحزم البوص (شكل ١١١) .

ورغم أن للعمارة المصرية فى العصر العتيق طابع خاص ، لانجده فى مكان آخر إلا أننا نستطيع أن نقارن بين سرعة تقدمها وبعض نواحى طرزها ، وبين التطورات التى كانت تحدث فى ذلك الوقت فى جمدة نصر فى بلاد مابين النهرين ، ومع ذلك فقد كانت مصر أسبق من وادى الفرات فى البدء باستخدام الحجر المنحوت فى البناء ، أما من حيث الجدران الملونة ذات الدخلات والخرجات واستخدام الأخشاب فى الواجهات ، فالمقارنة بينهما ممكنة إلى حد ما ، وإن كانتا ولاشك ترجعان فى ذلك إلى أصل واحد مشترك .



(شكل ١١١) تفصيل للأعمدة المكسوة بالخشب.

الفصل السابع

اللغـــــة

إن معلوماتنا عن اللغة فى مصر فى العصر العتيق لايمكن أن توصف إلا بأنها معلومات أولية ، ففى هذه المرحلة من بحوثنا لايجد عالم اللغة من الوثائق التى يمكن دراستها إلا النذر القليل ، ومع ذلك فإن معول الحفار يزودنا بمواد جديدة سنويا ، ولدينا الآن مايشهد بأن الكتابة لم تكن أبدًا فى دور الطفولة حتى بداية الأسرة الأولى .

فحتى أقدم النصوص تبين أن الكتابة قد تجاوزت مرحلة استخدام العلامات الدالة على كلمات فقط ولم تكن سوى صور الأشياء والأفعال ، بل هناك علامات أخرى استعملت للتعبير عن الأصوات وحدها ، مع تطور نظام علامات الأرقام ، وعلاوة على أن الحروف الهيروغليفية أصبحت فى ذلك الوقت نمطية وتقليدية ، فقد شاع استخدام الكتابة المبسطة ، كل ذلك يدل على أن الكتابة لابد أنها قد مرت بفترة تطور كبيرة ، دون أن نعثر لها على أثر فى مصر حتى الآن .

ويقول بعض العلماء إن لغة الكتابة إذا توفرت لها الدوافع الكافية يمكن أن تتطور بسرعة كبيرة ، ومع ذلك فإننا قد نتوقع العثور على دليل هذا التطور ولو كان حدوثه فى فترة محدودة ، ومن الممكن بالطبع أن تكون الكتابة قد نشأت فى الوجه البحرى ، وهو كما أوضحنا من قبل كتاب مغلق بالنسبة للعصر العتيق ، ولكننا نأمل أيضا العثور على دليل ما لتطورها فى الوجه القبلى خلال العصور قبل التاريخية ، وما لم نعثر عل ما يدحض هذا الرأى علينا أن نقبل الحقيقة التى تنادى بوجود نظام للكتابة متطور تطورا تاما بما يتمشى وظهور العمارة الأثرية المتقدمة تقدما كبيرا ، ولنستعرض الآن مصادر المواد المكتوبة وأنواعها .

النقوش الأثرية

ويمكن تقسيمها إلى ثلاث مجموعات ، اللوحات الملكية ، واللوحات الخاصة بالأفراد والكتابات الموجودة على بعض المبانى ، أما اللوحات الملكية فقد عثر عليها جميعا فى أبيدوس ، وكلها تأخذ شكل لوح من الحجر يحاط فى بعض الأحيان بإطار وينقش بداخله اسم الملك (شكل ٤٨) أما اللوحات الصغيرة الخاصة

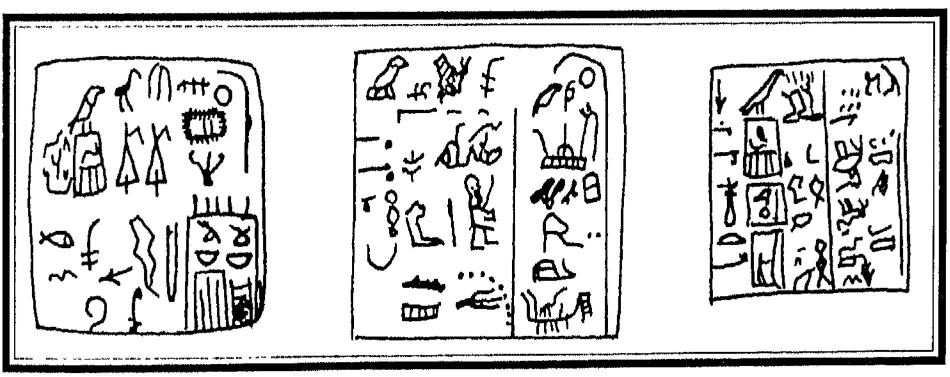
بالأفراد ، التى وجدت فى قبور الأتباع التى تحيط بالمقابر الملكية فى أبيدوس ، فهى رغم خشونة صناعتها غزيرة المادة ، لأنها غالبا ما تضم إلى جانب اسم صاحبها ألقابه ويبين (شكل ٢٥) بعض نماذج هذه اللوحات .

لقد وجدنا لوحتين فقط لنبيلين من الأسرة الأولى إحداهما من أبيدوس والأخرى من سقارة ، وكلاهما من عصر قاعا آخر ملوك هذه الأسرة ، وتنتمى اللوحة الأولى إلى «سابف» أحد رجال الحاشية الملكية ، وتنتمى الأخرى إلى «مركا» أحد الكهنة (لوحة ٣٠أ) والنصوص الخاصة بهذين الأثرين من أكثر النصوص التى عثر عليها تطورًا ، فهى تحوى لأول مرة عبارات نحوية أصبحت طابعا تقليديا فى العصور التالية .

وفى الأسرة الثانية تطورت اللوحات الخاصة بالأفراد تطورًا تحدده التقاليد ، وهى غنية بكتاباتها (لوحة ٣٢أ) وفى نهاية تلك الأسرة فى عهد الملك خع سخموى وجدت كتل حجرية عليها كتابات وكتف باب فى هيراكونبوليس والكاب ، عليها صور من الكتابة الهيروغليفية ، تكاد لا تختلف عن مثيلاتها فيما بعد فى عصر بناة الأهرام .

البطاقات Labels

إن من أهم مصادر الوثائق التاريخية المكتوبة بالنسبة للأسرة الأولى البطاقات الصغيرة من الخشب والعاج التى كانت تلصق بالأدوات والأشياء الموضوعة فى المقابر ، هذه البطاقات الصغيرة يتراوح حجمها مابين ١×١,٢سم و٧,٥×٩,٥سم ، وهى تارة منقوشة ، وتارة مكتوب عليها باللون الأسود والأحمر ، ولكنها جميعا تحمل نصوصا تتعلق بالمتاع الذى هى عالقة به كاسمه وكميته ، ولكن البطاقات



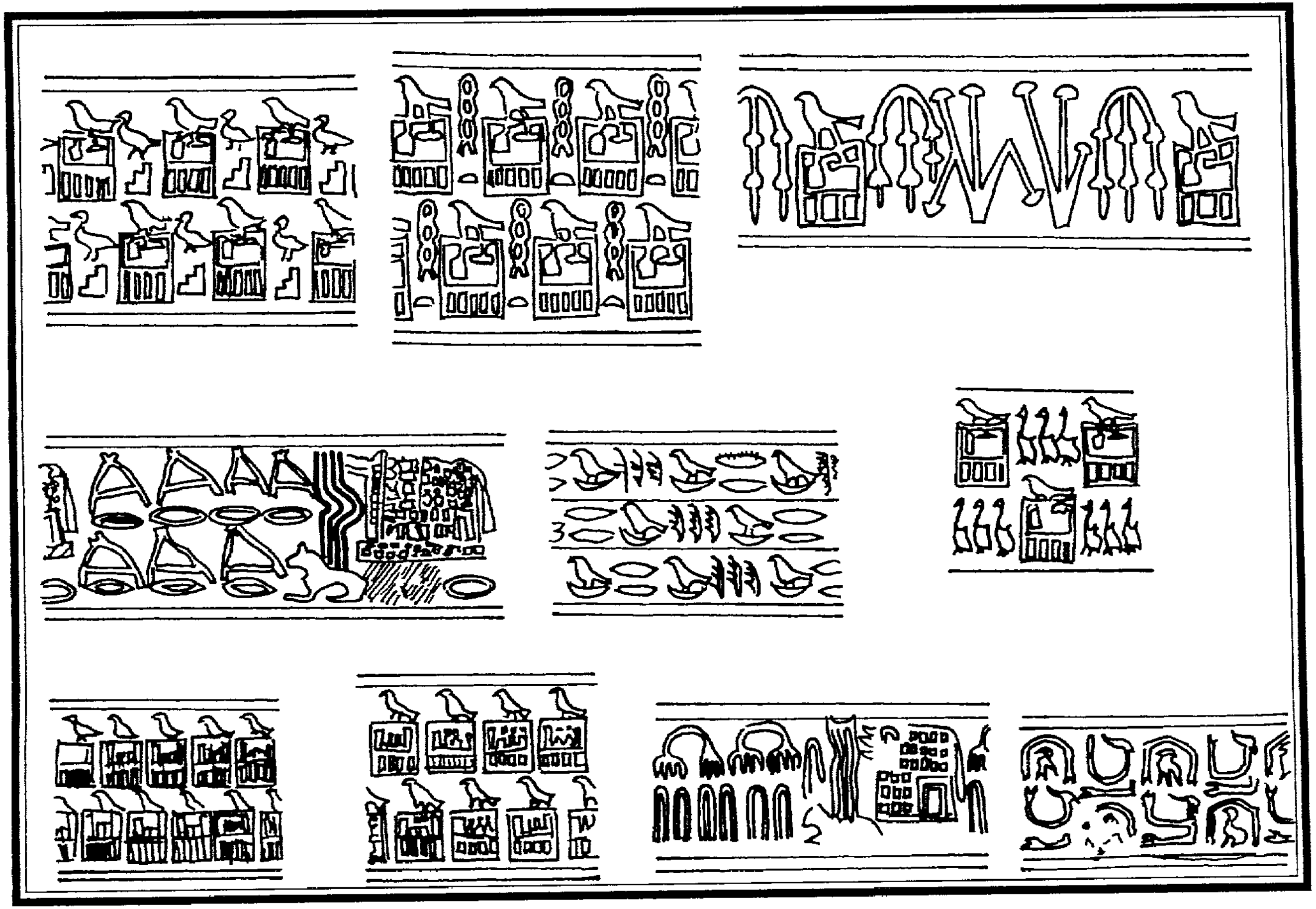
(شكل ١١٢) نماذج لبطاقات خشبية وعاجية.

الأكبر حجما فوق كل شيء غالبا ما تسجل أهم حدث فى إحدى سنى حكم ملك ، وهذه كانت الطريقة المتبعة فى تحديد تاريخ التسجيل ، وكما اتبع فى حوليات حجر بالرمو فإن كثيرا من البطاقات وخاصة ما ينسب منها إلى النصف الثانى من الأسرة الأولى تضم نصوصا تسبقها علامة السنة ، ورغم أن هذه النصوص التاريخية لم تحل رموزها بعد بطريقة مؤكدة ، إلا أنه من الممكن التأكد من فحوى المقصود من النص ، وهناك بطاقات أخرى لاتحمل سوى الاسم وكمية المادة التى ألصقت بها ، ومع ذلك فهذه النصوص القصيرة تمدنا بمادة قيمة جدا لدراستنا و (شكل ١١٢) يرينا أمثلة نموذجية لهذه البطاقات .

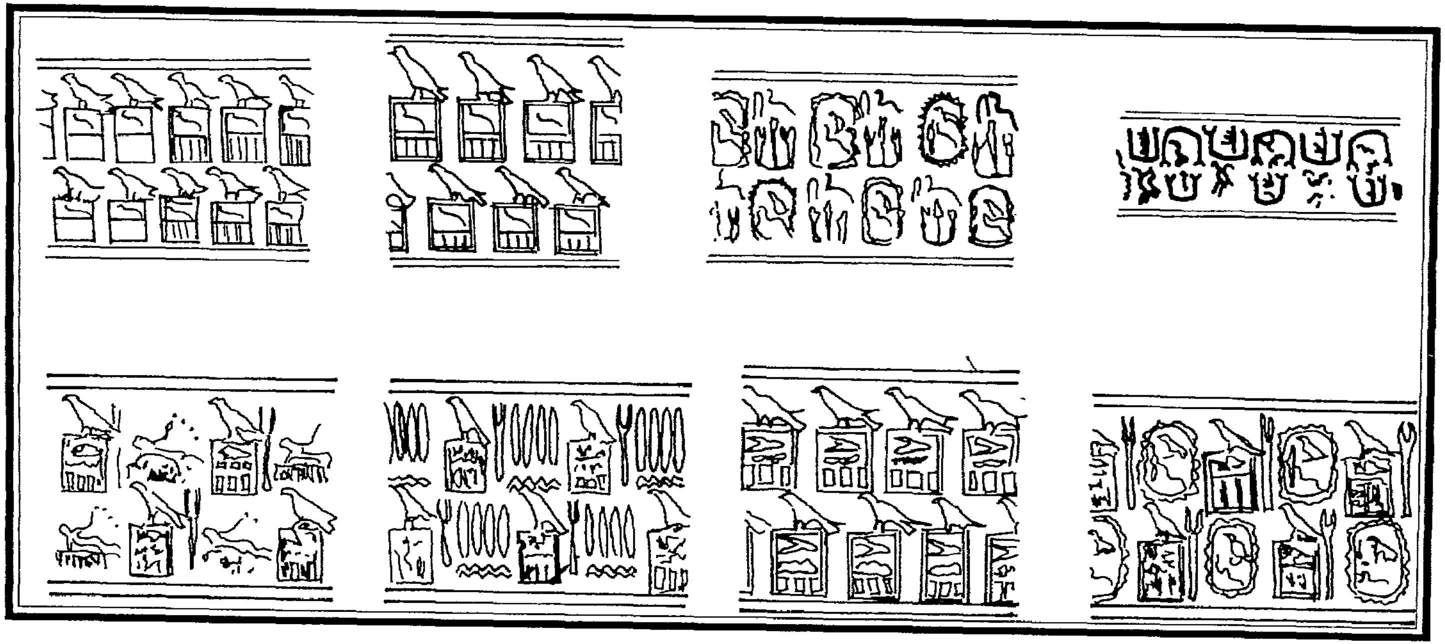
أختام سدادات الجرار

ولكن أغنى مصادر المواد المكتوبة وهى ما أمدتنا بها طبعات الأختام على كتل الطين التى كانت تغلق فتحات جرار الخمر والطعام (أشكال ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥) وقد عملت هذه العلامات بواسطة أختام أسطوانية من الخشب أو الحجر عليها نقوش ، تمرر فوق عجينة الطين حتى تتكرر العلامة المطلوبة مرات ومرات ، ونصوص هذه الطبعات يصعب حل رموزها حلا مؤكدا شأنها فى ذلك شأن البطاقات ، ولكن بما أنها تشير أساسا إلى أسماء وألقاب فقد تقدمت تقدما ملحوظا سيما فيما يختص بالخط الذى كتبت به ، إذ إنه قد بذلت فيها عناية كبيرة فاقت عنايتهم بالبطاقات ، مما أدى إلى أن تكون هذه العلامات فى الغالب ذات أشكال واضحة ومفصلة ، حتى ليمكن بسهولة أن نرى فيها الأصل السابق للعلامات الهيروغليفية التقليدية فى العصور التالية .

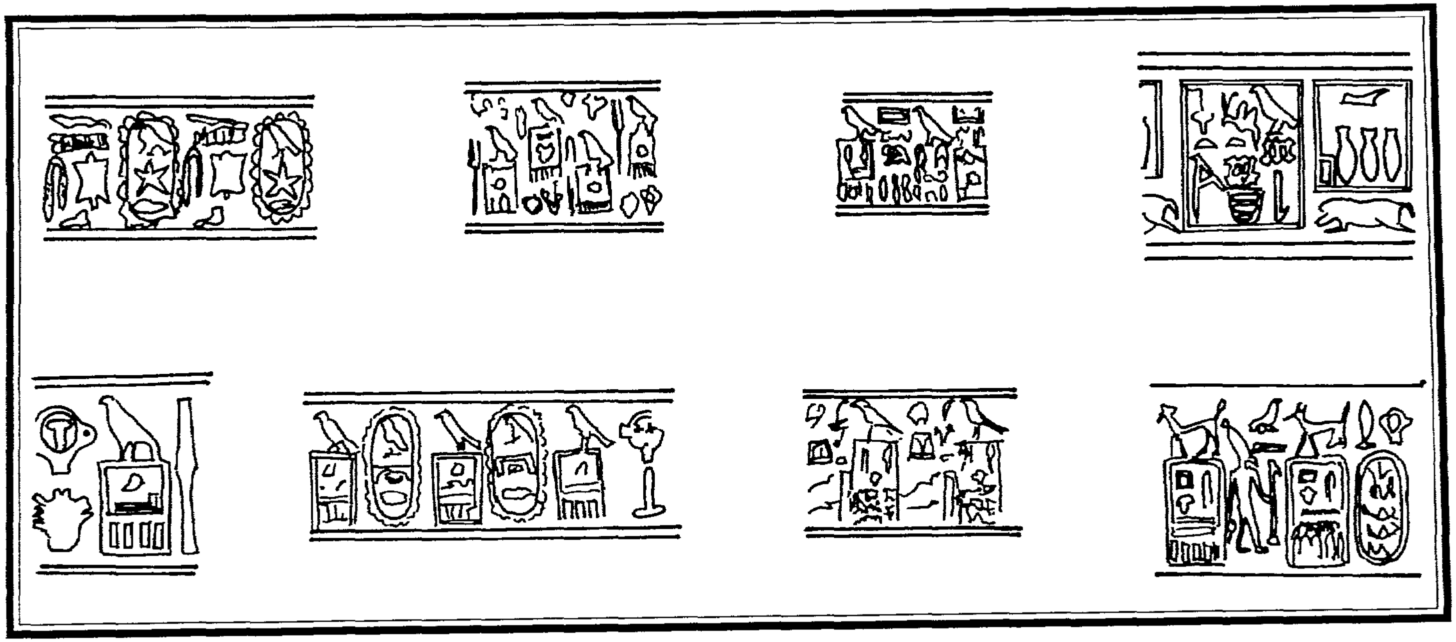
وحتى فى هذا العصر الباكر فإن الناسخ المصرى كان قد طبق القاعدة التى تقول بأن نظام العلامات يجب أن يخضع لتناسق التصميم ، ففى الختم المبين فى (شكل ١١٦) مثلا نجد أن اسم الوزير كتب بالتناوب حماكا تارة ، وكاحما تارة أخرى ليصل بذلك الكاتب إلى تصميم سار ، والشكل الشائع لعلامات الأختام هو ذلك الذى يكرر فيه اسم الصقر للملك فى صفين عدة مرات ، أو فى صف واحد مع ألقابه بين كل اسم ، ويستمر هذا الشكل خلال العصر العتيق ، بأكمله ، وهناك تصميم آخر شاع فى الجزء الأول من عصر الأسرة الأولى ، يتخذ شكل مقصورة رسمت بالخطوط المتقاطعة ، أمامها لبؤة ومجموعة مكررة من العلامات .



(شكل ١١٣) نماذج لأختام جرار أوائل الأسرة الأولى.



(شكل ١١٤) نماذج لأختام جرار أواسط الأسرة الأولى.



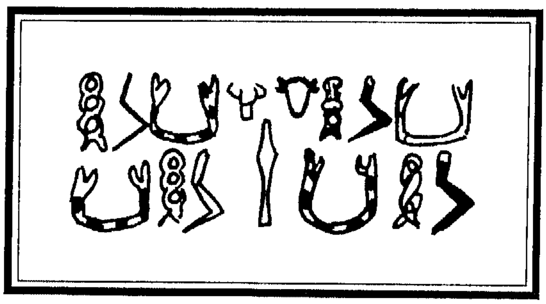
(شكل ١١٥) نماذج لأختام جرار أواخر الأسرة الأولى.

وفى خلال الأسرة الثانية قل استعمال الأختام فى طبع سدادات الطين لجرار الطعام والخمر ، لذلك لم تكن هذه الفترة غنية فى موادها المكتوبة كالأسرة الأولى ، ومع كل فآثار الأختام التى نعثر عليها أحسن تصميما وتنفيذا ، وتدل على تقدم كبير للوصول إلى مجموعات العلامات التقليدية فى العصور التالية .

نقوش الأوانى الحجرية والفخارية

ومن المصادر الهامة الأخرى للمواد المكتوبة هى تلك النصوص التى نجدها على الأوانى الحجرية والفخارية ، ويمكن تصنيفها بإيجاز فيما يلى :

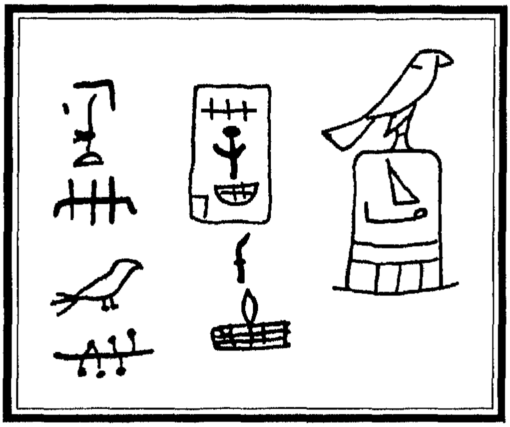
١ ـ النصوص المحفورة على الأوانى الحجرية (شكل ١١٧) : وهى تشير فى معظم الأحوال إلى أسماء وألقاب وفى بعض الحالات القليلة تشير إلى حدث ما ، كاحتفال اليوبيل (سد) أو إلى مكان ما كقبر ملكى أو قصر . والنصوص من هذا النوع بصفة عامة يبدو أنها عملت لتشير إلى ملكية الإناء أو المكان الذى ينتمى إليه .



(شكل ١١٦) ختم إناء للوزير حماكا.

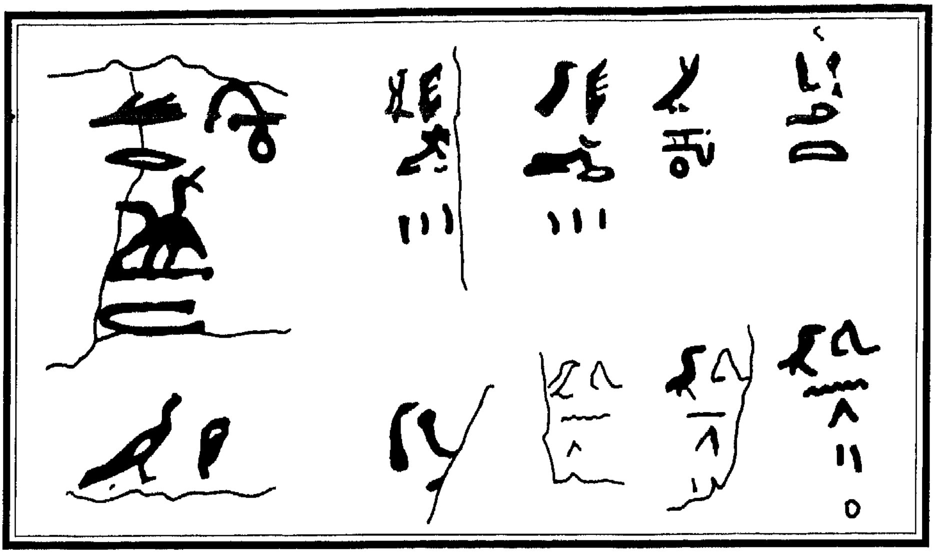
ومع كل فهذا التفسير لايرضينا كل الرضا ، فلدينا مثل لقطعة عليها اسمان أو ثلاثة ملكية حفرتها نفس اليد ، وفى الفترة الأولى من الأسرة الأولى كانت تلك الكتابات تنقش بطريقة بدائية باختصار ، ولكن طريقة الكتابة على الأوانى الحجرية تقدمت بمرور الزمن ، وما أن حل عصر الأسرة الثانية حتى نجد أن مثل هذه النصوص تكتب بعناية وبعلامات جميلة الشكل .

٢ ـ النصوص الملونة على الأوانى الحجرية (شكل ١١٨) : وهى ليست شائعة مثل النصوص المنقوشة ، وكان يستخدم فى كتابتها المداد الأسود وفرجون سميك ، وهذه النصوص أيضا تشمل أسماءً وألقابًا تشير إلى أصحابها ، وتدل طبيعتها السلسة الشبيهة بالخط الدارج ، على أنهم قد ألفوا لمدة طويلة استعمال هذه الطريقة فى الكتابة السريعة .



(شكل ١١٧) نماذج للكتابة بالحفر على أوان حجرية.

٣ ـ النصوص المحفورة على الأوانى الفخارية قبل حرقها (شكل ١١٩) وهذه لا يمكن خلطها بعلامات الأوانى التى سيأتى الكلام عنها فيما بعد ، فهى كتابة هيروغليفية حقيقية رغم بدائية نقشها ومع أننا وجدنا من أمثلتها مئات إلا أنها كلها تقريبا ترجع إلى عهد ملكين من الأسرة الأولى هما : عندج إيب ، سمرخت ، والنصوص الخاصة بالملك عندج إيب تمثل بناء مدرجا به مجموعة من العلامات ، بينما تمثل نصوص سمرخت اسمه يعلوه الصقر حورس فى شكل بيضاوى مسنن ، أو سياج حصن ، وربما يبدو أن النقوش تدل على أسماء أماكن أوضحها الفخرانى لتشير إلى المبنى أو القصر أو القبر الذى قصد من أجله الإناء .



(شكل ١١٨) نماذج للكتابة المرسومة على الأوانى الحجرية.

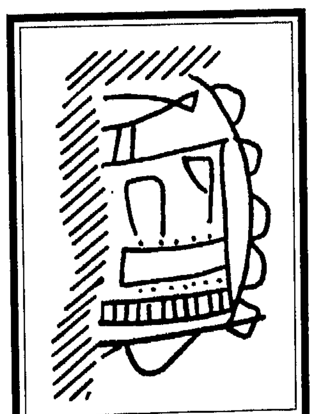
٤ - النصوص الملونة على الأوانى الفخارية (شكل ١٢٠) : وهى نصوص مكتوبة بالخط الهيروغليفى الدارج وتبين عادة اسم صاحب الإناء ومحتويات الإناء ، وقد وجدنا أمثلة لهذا النوع من المواد المكتوبة ، وترجع إلى ما قبيل الأسرة الأولى فى عهد نعرمر ، وكذلك فى عهد الملك قاعا ، وكان طلاء هذه النصوص خلال الأسرة الأولى بالمداد الأسود ، أما فى الأسرة الثانية فقد شاع استعمال الطلاء الأبيض .

نقوش الأدوات الأخرى

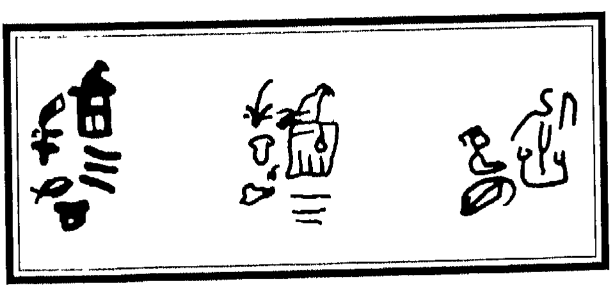
وفضلا عن المادة المكتوبة التى عثرنا عليها على الآثار الحجرية والبطاقات وأختام الجرار والأوانى الفخارية والحجرية ، نجد أن أشياء أخرى قد نقش عليها أحيانا نصوص قصيرة ، وذلك مثل أدوات التجميل وقطع اللعب والأدوات وغيرها ، كغطاء الصندوق الخاص بختم الملك أوديمو الذى يحمل اسمه ويشرح محتويات الصندوق ، ومن كل هذه المصادر يمكننا الآن أن نجمع ٢٠٣ علامة هيروغليفية أصبحت شائعة الاستعمال فى العصور التالية .

علامات الأواني

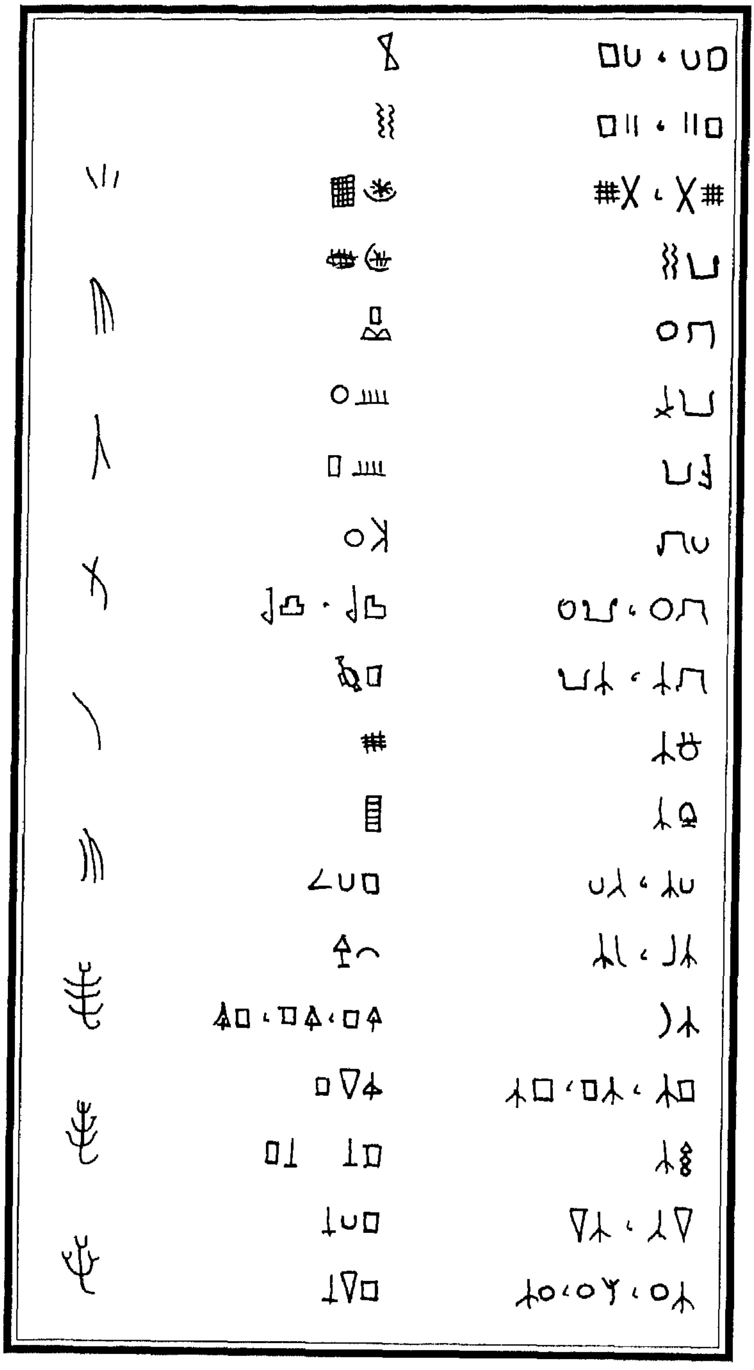
وننتقل الآن إلى الحديث عن علامات الأوانى التى يصح أن نسميها علامات رمزية ، لاتتصل بتاتا بالعلامات الهيروغليفية المعروفة ، وقد عثرنا عليها منقوشة على جرار الخمر الكبيرة من الأسرتين الأولى والثانية (شكل ١٢١) وقد نقشت هذه العلامات بأداة حادة على الجرار قبل حرقها ، ولايزال المقصود منها موضع جدال ، ومن المؤكد أن هذه العلامات لم توضع عبثا ، بل تسير على نهج ما من المجموعات المنظمة ، وقد اختلف فى وصفها ، فالبعض يقول بأنها علامات ترمز إلى أصحابها وآخرون يقولون إنها توقيعات صانعيها ، أو إشارات إلى ما سيحويه الإناء مستقبلا ، إلى غير ذلك من التفسيرات ، ولكننا لانجد فى هذه التفسيرات ما يقنعنا تماما ، فلايمكن أن تكون علامات لأصحاب الجرار أو توقيعات لصانعيها ، لأننا قد لاحظنا نفس مجموعات هذه العلامات على أوان يفصل مابين تاريخ صناعة واحدة منها والأخرى فترة من الزمن تزيد على المائة سنة ، ومن الممكن أن تشير هذه العلامات إلى المصنع الذى صنع فيه الإناء ، ولكن حتى هذا التفسير لايبدو قوى الاحتمال ، إذ إننا نجد مختلف مجموعات العلامات على أوان جاءت بالتأكيد من نفس المصدر كما يدل على ذلك شكلها أو طبيعة طينتها . وهناك فرض واحد مؤكد وهو أن نظام وضع هذه العلامات لم يكن محددا بإقليم معين ، بل كانت مستعملة فى مصر كلها ، كما أن هذه العلامات لم تكن محددة بفترة معينة ، لأننا نجد نفس المجموعات مستعملة لفترة تزيد عل ثلثمائة سنة .



(شكل ١١٩) نموذج للكتابة بالحفر على الأوانى الفخارية.



(شكل ١٢٠) نموذج للكتابة المرسومة على الأوانى الفخارية.



(شكل ١٢١) علامات الأواني.

الفصل الثامن

التجـــارة

الواردات

هناك دليل قاطع على وجود تجارة داخلية منظمة فى مصر فى العصر العتيق ، وإذا ما فحصنا الأدوات غير المصرية يتضح لنا أن تبادل مصر السلع مع جيرانها الأجانب كان على نطاق واسع منذ أقدم العصور .

وربما استطعنا أن ندرك مدى تشعب التجارة الداخلية وانتشارها ، إذا وضعنا فى الاعتبار مصادر المواد الطبيعية التى وجدت فى مراكز متباعدة جدا ، كسقارة وأبيدوس وهيراكونبوليس ، ففى صناعة الأوانى الحجرية مثلا وهى من الصناعات الهامة ، من المحتمل أنهم يحصلون على المرمر من محاجر حاتنوب فى الصحراء الشرقية ومن منطقة خلف حلوان ، والبازلت من الفيوم والديوريت من الصحراء الشرقية وأسوان ، وبعض أنواعه من منطقة شمال غرب أبو سنبل بأربعين ميلا ، كما استخرجوا أحجار البريشيا من بعض مناطق الصحراء الغربية فيما بين المنيا وإسنا ، والدلميت من الصحراء الشرقية ، والشيست والرماد البركانى من وادى الحمامات والرخام والصخر السماقى من منطقة ساحل البحر الأحمر ، وحجر السماقى الإمبراطورى من جبل الدخان فى الصحراء الشرقية ، وحجر الثعبان «السربنتين» والبللور الصخرى من الصحراء الشرقية .

كما يتضح انتشار الفخار على مدى واسع من علامات الأوانى ، وهى علامات خاصة نقشتها يد صانع واحد ، ووجدت فى مناطق مختلفة فى طول البلاد وعرضها فى العصر العتيق ، ورغم أنهم كانوا يستخدمون الأحجار المحلية فى البناء إلا أنهم لم يجهلوا نقل الأحجار من مناطق بعيدة ، كالجرانيت من أسوان ، وقد استخدم فى قبر أوديمو بأبيدوس ، كما وجدت قطع من جرانيت أسوان فى أطلال العصر العتيق بسقارة .

ولابد وأن اعتمد المصريون الأوائل على الزحافات فى نقل الأحجار من محاجرها إلى مختلف الجهات ، لأنهم لم يعرفوا العربة ، رغم أن معاصريهم فى بلاد ما بين النهرين اكتشفوا استخدامها فى ذلك الوقت ، وإذا ما تم نقل تلك الأحجار إلى ضفاف النيل ، أصبح من السهل نقلها إلى المكان المقصود فجميع الأماكن الهامة يسهل بلوغها من ذلك النهر .

كانت شبه جزيرة سيناء ، التى كانت تعتبر خارج الحدود المصرية مصدرًا للمواد الخام المختلفة من أهمها النحاس والملخيت والفيروز ، وكانت الواردات الأجنبية فى ذلك العهد الباكر رغم قلة عددها لازمة ، لاسيما الخشب فى الأغراض البنائية ، وما من ريب فى وجود تجارة عظيمة للأخشاب فى عهد الأسرة الأولى ، نظرا لاعتماد المهندسين وصانعى القوارب على استيراد كميات كبيرة من خشب الأرز والسرو من لبنان وسورية كما استوردوا الأبنوس لزخرفة الأثاث من أقصى الجنوب حيث حصلوا أيضا على كميات من سن الفيل ، ومن المواد الهامة الأخرى ذات المصادر الخارجية الأوبسيديان واللازورد من غرب آسيا والراتنج من أقصى الجنوب .

ومن الواردات الأخرى ذات الأهمية الخاصة بالنسبة للأثرى نوع من الأوانى الفخارية صنعت ولاشك فى الخارج ، وكانت كثيرة الاستعمال فى النصف الثانى من الأسرة الأولى ، وربما يكون مصدر هذه الأوانى التى تشبه القوارير شمال سورية ، ووجدت طريقها إلى مصر كأوعية لزيت الزيتون أو غيره من السلع المصدرة ، وقد عثرنا على تلك الأوانى فى بيبلوس (جبيل) الميناء السورى الذى ترسل منه البضائع إلى مصر ، ولكن عثورنا على أوان مصرية من نفس العصر فى ذلك الميناء ، ربما كانت من الواردات إلى سوريا ، لذلك يبدو من المحتمل أن هذه القوارير نشأت فى تلك المنطقة .

الصادرات

إن ما نعرفه عن صادرات مصر قليل ، ولكن أوانيها الحجرية عثر عليها فى بيبلوس وفلسطين وكريت[1] ، وفى بلاد اليونان الأصلية أيضا فى مسينا وأسين ،

(١) انظر كتاب «قدماء المصريين والإغريق» لفركوتير ترجمة محمد على كمال الدين وآخرين ، القاهرة سنة١٩٥٩ (المترجم) .

حتى أنه ما أن حل عصر الأسرة الثانية حتى كانت مصر تصدر إلى جانب المواد الخام منتجاتها الصناعية إلى أقطار بعيدة ، ومن المحتمل أن طرق التجارة فى ذلك الوقت كانت نفس الطرق التى استخدمت فى العصور التالية : الطريق البحرى إلى بيبلوس للتجارة السورية ، وطريق العوجة عبر شمال سيناء للوصول إلى فلسطين ، وطريق وادى طميلات إلى جنوب سيناء ، ووادى الحمامات إلى البحر الأحمر ، ومنه جنوبا إلى الصومال وسواحل الجزيرة العربية ، وأخيرا طريق النيل إلى السودان .

النقل

لا نعرف إن كانت البضائع المرسلة بحرا تحملها سفن مصرية أو يتولى نقلها التجار الأجانب ، ولكن حيث إنه من الواضح أن سفنا كبيرة كانت تسير فى النيل لأغراض التجارة الداخلية ، فلامجال للظن بأن المصريين لم يستطيعوا بناء السفن التى تسير فى البحار ، أو أنهم لم يتمكنوا من الإبحار بها .

الفصل التاسع

الصناعة

الفخار

كانت صناعة الفخار من أهم الصناعات فى العصر العتيق ، ولكن على غير ما كان عليه أمرها فى العصور التالية ، لم تكن مجالا للإبداع الفنى ، إذ كانت قاصرة على الجانب النفعى فقط ، وكان اهتمام الفنان فى تلك الفترة موجها إلى الأوانى الحجرية ، ومع تدهور صناعتها فى عصر بناة الأهرام أصبحت صناعة الفخار وسيلة للتعبير الفنى ، ولكن عبقرية المصرى الفنية تجلت تلقائيا فى الأوانى الفخارية التى كان ينتجها على نطاق واسع كما يتضح من أشكال بعض أنواع الفخار التى تسرنا لبساطتها وتناسقها ، ولما حقق الفنان ذلك أخذ ينقل تلك الأشكال البسيطة إلى أوان من أحجار المرمر والشيست والرماد البركانى .

وهناك تاريخ طويل لإنتاج الفخار سابق لصناعته فى عهد الوحدة ومع بقاء بعض التصميمات القديمة ظهرت بعض الأوانى الفخارية الجديدة المميزة قبل الأسرة الأولى مباشرة لقد اختفت الأوانى ذات الحافة السوداء والأوانى المنقوشة بالحفر الغائر ذات الزخارف الملونة التى ترجع إلى عصر ماقبل الأسرات ، وبقيت فقط الأوانى ذات المقابض المموجة لمدة قصيرة ، ومن الملحوظ أن الأوانى ذات الحافة السوداء وذات الزخارف الغائرة استمرت فى بلاد النوبة لمئات السنين بعد ذلك ، أما شمال الشلال الأول الذى يمثل حدودا طبيعية فقد استحدثت أشكال وفنون جديدة معاصرة لدخول العمارة الأثرية .

إن مصر غنية بطين الفخار ، الذى يمكن تقسيمه إلى نوعين متباينين : الأول يميل لونه إلى السواد ويصبح بنيا أو أحمر عند الحرق ، والآخر بنى رمادى يتحول إلى رمادى يميل إلى الاصفرار عند الحرق ، وهذا النوع الأخير قاصر على مناطق

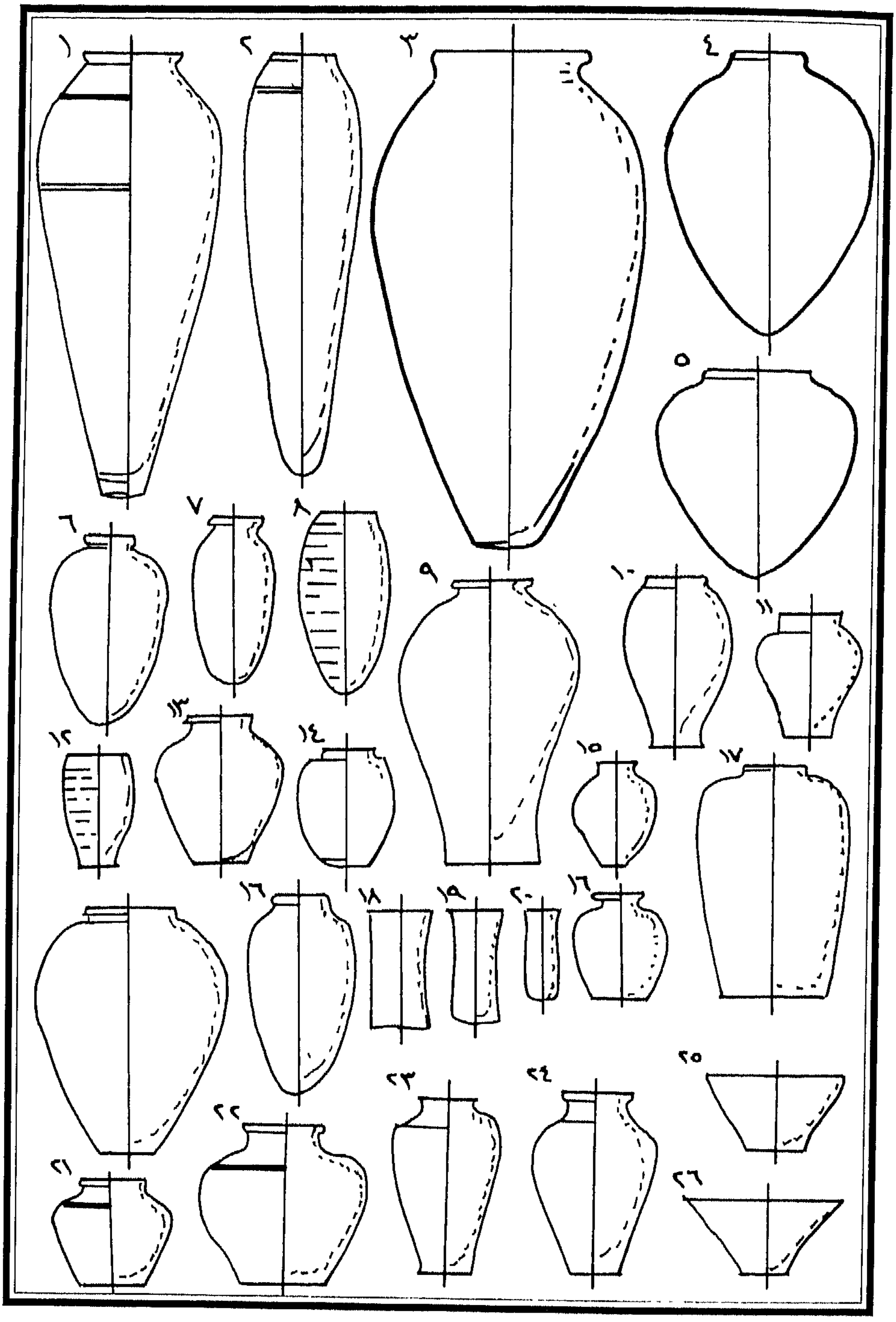
محدودة فى مصر العليا ، ولم يستخدمه صانع الفخار فى العصر العتي
الأوانى الفخارية من جميع الطرز حمراء تميل إلى اللون البنى .

إن ما قرره بعض المؤرخين من أن عجلة الفخار لم تعرف فى عه
الأولى والثانية قول خاطئ فرغم أن استخدام العجلة لم يكن ش
استعملت بكثرة ، وشاع إلى حد ما صنع الفخار بعجلة بطيئة تدار باليـ

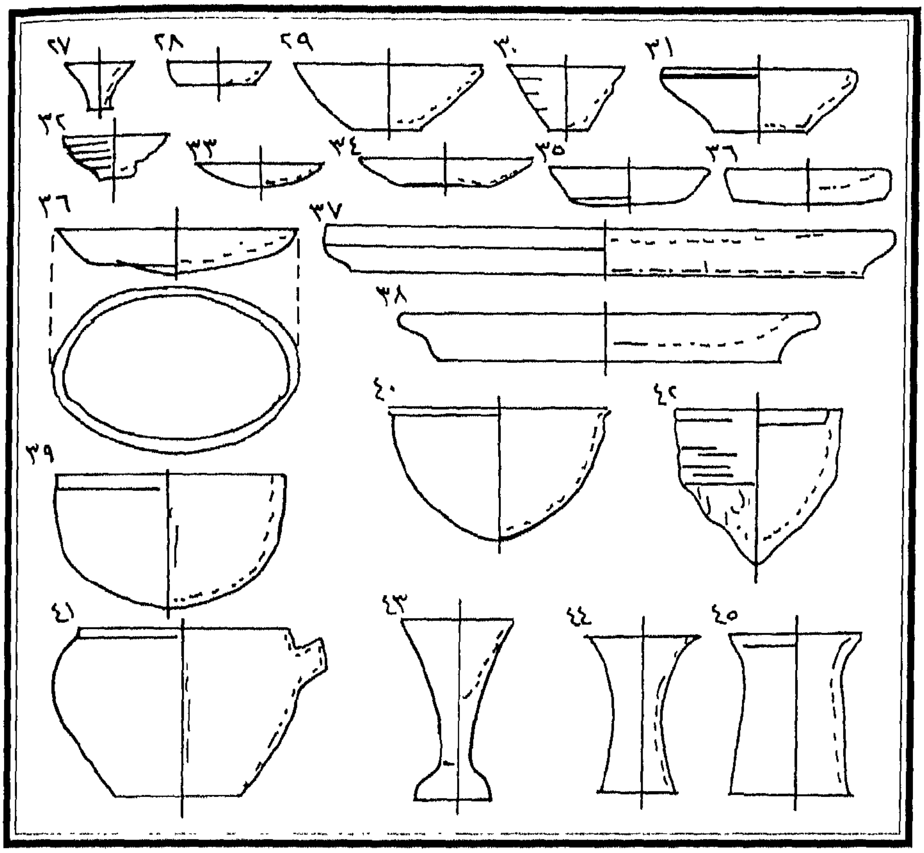
وفيما يختص بحرق الأوانى فليس لدينا مايدل على وجود أفران لـ
يحتمل من أنها كانت موجودة ، وفيما عدا ذلك فلابد أنهم استخـ
البدائية العادية فى حرق كومة من الأوانى والوقود معا ، ولكن إذ
اعتبارنا كميات الفخار الضخمة التى أنتجوها فى ذلك الوقت لاتضـ
تلك الوسائل البدائية لم تكن لتتفق وكثرة هذا الإنتاج ولابد أنه
وسيلة ما بسيطة مكنتهم من فصل الفخار عن وقود الإشعال ، ويبـ
١٢٢) مجموعة تمثل مختلف أنواع الفخار شائع الاستعمال فى الأسـ
والثانية ، ومع أننا لانعلم على وجه التحديد وظائف بعضها إلا أننا نـ
عامة أن نميز بين أوانى التخزين والأوانى المخصصة لأغراض الطعام . .

ولاشك أننا أمكننا بالنسبة للأولى فى أحوال عديدة معرفة صـ
صنعت الأوانى من أجل حفظها ، وقد وصلنا إلى معرفة ذلك بفضل الـ
بسقارة حيث يلاحظ أن الأطعمة والمواد االأخرى فى حالة جيدة من الـ
الجنائزية من الأسرة الثانية التى سيأتى وصفها فى الفصل الحادى عشر .

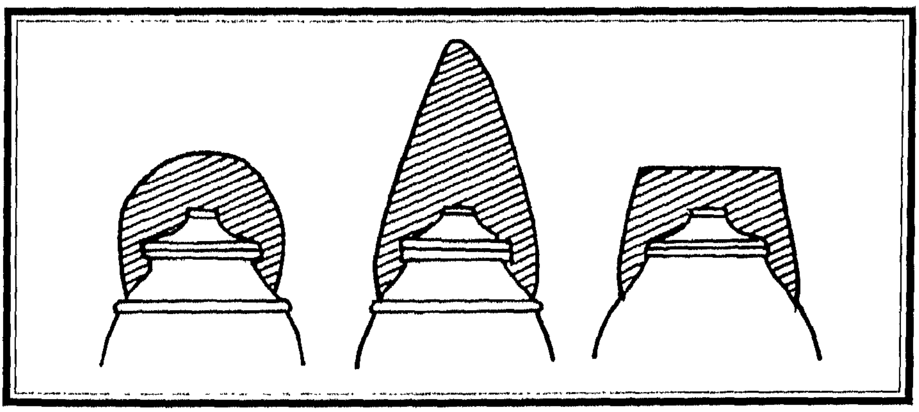
فالجرار الكبيرة من النوع الأول كانت تحوى نبيذاً وكانت تخزن كميات
فى مخازن كل المقابر الكبيرة ، كما هو مبين فى اللوحة رقم «٢» وتختلف
حجما باختلاف العصر ، فالنوع الكبير الغليظ منها يرجع لبداية الأسرة
أخذ هذا الطراز يقل حجما ويميل إلى النحافة حتى صار فى شكل ا
وكانت تختم هذه القدور الخاصة بالنبيذ بوضع غطاء فى شكل طبق صـ
على الفوهة ، وكانت تعلوه كتلة كبيرة من الطين الأصفر تصل إلى أ
وتتخذ شكلا مخروطيا كما هو مبين فى (شكل ١٢٣) وكان يدور فوق
الطينى خاتم أسطوانى من الخشب أو الحجر صعوداً فى جانب وهبوطاً
الآخر ، وأحيانا كان يدور خاتم ثان فى اتجاه متعامد مع الأول ، وكانت تـ



(شكل ١٢٢) أنواع الأوانى الفخارية.



(شكل ١٢٢ب)



(شكل ١٢٣) أنواع من سدادات الجرار.

الخاتمين قرب الجزء العلوى ، وكما بينا فى الفصل السابع فإننا نعتمد اعتماداً كبيراً على أختام قدور الخمر هذه للتأكد من شخصية أصحاب كثير من المقابر الكبيرة ، وتطبق هذه الطريقة فى وضع الأختام على أوانى الأسرة الأولى فقط .

أما جرار الخمر من النوع الثانى فهى مغطاة بغطاء الأوانى المعتاد ، ولكن كان يعلوه طين أسود اللون عادة بجوانب مستقيمة وسطح علوى مستو مثل الإناء الأيمن (شكل ١٢٣) ، والأوانى من هذا الطراز قلما تختم ، وإذا حدث وتم ختمها فإن طابع الخاتم غالبا ما يكون ناقصا مضللا بسبب طبيعة الطين الأسود اللزجة .

والجرار الكبيرة الكمثرية الشكل من النوع الثالث ربما كانت تحوى سائلا ولكنها فى بعض الحالات كانت تستعمل لخزن الحبوب كالقمح ، ويغطيها عادة كتلة مكورة من الطين الرمادى مثل الإناء الأيسر (شكل ١٢٣) وتختم بنفس الطريقة ، طريقة جرار الخمر من الطراز الأول ، واستمر استخدام الجرار من هذا النوع حتى نهاية الأسرة الأولى ، ولكنها نادرة جداً فى أى تاريخ تال ، وإذا ما عثر عليها يبدو أنها كانت ترجع إلى فترة أسبق وقد أعيد استعمالها .

أما الجرار من الأنواع : الرابع والخامس والسادس فيبدو أنها كانت مستعملة لتخزين طعام من نوع الحبوب وقد وجد فى إحدى المقابر الكبيرة من الأسرة الأولى بسقارة ٦٧ إناء من النوع السادس ، واتضح أنها كانت تحوى بقايا أرغفة خبز صغيرة ، وقد كانت هذه الأوانى فى العادة تسد بسدادات طينية غير منقوشة وكانت أحيانا تغطى بطلاء جيرى أبيض ، وظل شكل الفخار من النوع الرابع شائع الاستعمال فى الأسرة الثانية ، أما النوع السادس فقد قصر استعماله على الأسرة الثانية ، وحتى فى هذه الأسرة لم يكن شائع الاستعمال ، وليس لدينا دليل على كنه محتوياته ، لكن من المحتمل أنه كان يستعمل لخزن الطعام ، على أن الإناء الصغير رقم ٧ كان شائع الاستعمال جدا فى الأسرة الأولى ، إلا أنه لم يدم بعد نهاية تلك الفترة وهذه الأوانى غالبا ما يوجد عليها نقش بالمداد الأسود باسم صاحبها وباسم المادة التى تحتويها وربما كانت زيتا .

وقد وجدت كميات كبيرة جدا من أوانى النوع الثانى فى جميع المواقع التى يرجع تاريخها للأسرة الأولى ، وهو نوع خشن مصنوع باليد من الطين البنى ، ويبدو أنه كان شائع الاستعمال ، وفى إحدى المناسبات وجد أنه يحوى حبوبا وفاكهة وكذلك عظام بعض اللحوم .

والجرار الكبيرة من النوع التاسع كانت تصنع من فخار بنى خشن بشفة رقيقة حمراء ، ووجدت فقط فى النصف الأول من الأسرة الأولى ولم يعثر حتى الآن على مايدل على الغرض منها .

والنوعان العاشر والحادى عشر يمثلان شكلين شائعين ، ومن المحتمل أنهما سابقان للأنواع ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ فى الأسرة الثانية ، وقد وجدت نسخ صغيرة من النوع الحادى عشر تحتوى أحيانا على فاكهة .

والنوع الثانى عشر يشبه النوع الثانى فى أنه خشن ومصنوع باليد وشائع الاستعمال فقط فى الفترة المبكرة من الأسرة الأولى .

وقد وجد الكثير من هذا النوع فى مدفن أحد خدم الملكة مريت نيت فى سقارة ، ووظيفته واضحة ، إذ إن جميع الأوانى احتوت طلاء أحمر أو أخضر أو أصفر ، ولكنها فى ظروف أخرى كانت تستعمل فى خزن القمح وأرغفة الخبز .

وقد تميزت الأوانى من النوع الثالث عشر والثالث عشر (أ) بالعناية التى بذلت فى صناعتها ، فإن معظم الأوانى الفخارية فى العصر العتيق كانت خشنة الصنع رغم أشكالها الجذابة ، ولكن هذه الأوانى قد أخذت فى العادة أشكالا جميلة بشفة رقيقة حمراء وطلاء لامع ، وقد كانت شائعة إلى حد ما طوال الأسرة الأولى ولكنها لم تدم فى الثانية ، وليس لدينا دليل على الأغراض التى كانت تستعمل فيها هذه الأوانى ، ولكن نظرا للعثور عليها أحيانا ضمن مجموعة أوانى الطعام فمن الممكن أنها كانت مستعملة لحفظ النبيذ أو الماء أثناء تناول الطعام ، وتأييدا لذلك يجب الإشارة إلى أنها لم توجد أبدًا مسدودة بالأختام الطينية ، وقد صنعت منها نماذج برونزية «انظر صناعة المعادن» .

والأنواع الرابع عشر ، والخامس عشر ، والسادس عشر ذات صناعة مشابهة للأوانى الكبيرة من النوعين الثالث عشر والثالث عشر «أ» ، وقد أبدع أيضا صنعها ، ومع أنها وجدت بكثرة فى أوائل الأسرة الأولى إلا أن استعمالها ظل منتشرا حتى نهاية الأسرة الثانية دون أن تختلف شكلا أو حجما ، وكانت تستعمل فى حفظ الفاكهة ولها غطاء مستدير مسطح ، أما الإناء الكبير من النوع السابع عشر ، القاصر على الأسرة الثانية فقد عنى أيضا بصناعته ومع أنه عثر على أعداد كبيرة من هذا النوع فليس هناك مايدل على الغرض الذى استخدمت من أجله .

واستخدمت الأوانى الأسطوانية من النوع الثامن عشر والتاسع عشر والعشرين

لحفظ الجبن ودلت على ذلك التحاليل الكيمائية ووجدت بكميات كبيرة فى مقابر النصف الأول من الأسـرة الأولى ، ويرجع تاريخ النوع الثـامن عـشـر ذى اللون البرتقالى المائل للاصفرار إلى عصور نعرمر وحورعحا ، وقد عثر فى مقبرة الأخير فى سـقـارة على مـا لا يقل عن ٢٠٠ إناء من هذا النوع ، ونقش عليـهـا دائمـا اسم صاحبها ومحتوياتها بالمداد الأسود ، أما النوع التاسع عشر فهو مائل للاصفرار ولكن أقل حجما ، ويرجع تاريخه إلى عصر الملك أوادجى «الثعبان» وليس عليه نقوش ، أما المجموعة الضئيلة مختلفة الأشكال من النوع العشرين فهى من الفخار الأحمر ، ولاتوجد عليها نقوش ويرجع تاريخها إلى عصر الملك أوديمو .

وقد قصر استعمال الأنواع الحادى والعشرين إلى الثالث والعشرين على الأسرة الثانية ، ولم يعثر عليها أبدا مختومة ، ولكنها غالبا ما كانت تغطى بكأس صغيرة قليلة العمق فى وضع مقلوب ، وكانت تصور غالبا على هذه الصور على آثار ذلك العصر ، وكانت تصنع من فخار بنى خشن ويغطى جسمها بطلاء أحمر ، بينما كانت حافتها ورقبتها وأكتافها تطلى باللون الأسود .

وتنتمى جرار النوع الرابع والعشرين ايضا إلى عصر الأسرة الثانية وهى ليست شائعة الاستعمال ، وليس لدينا دليل على الغرض الذى كانت تستعمل من أجله .

أما الطاسات من النوع الخامس والعشرين فكانت تصنع من الفخار البنى الخشن . وكانت شائعة الاستعمال فى أوائل الأسرة الأولى ولكن ندر استعمالها بعد عصر أوديمو .

أما الطاسات من النوع السادس والعشرين والسابع والعشرين (شكل ١٢٢أ) فمع أنها لم تكن شائعة الاستعمال ، إلا أنها ظلت مستعملة طوال عصور الأسرة الأولى والثانية .

أما الطاسات والصحون من الأنواع الثامن والعشرين حتى السادس والثلاثين ، فكانت تستعمل جميعها كأوانى طعام ، وكانت تصنع من الفخار الخشن ذى اللون البنى المائل للحمرة ، وكانت تطلى عادة بلون أحمر كان يزول إذا استعملت فى تسخين الطعام ، وكانت الأطباق المسطحة الكبيرة من الأنواع السابع والثلاثين والثامن والثلاثين تصنع من نفس الطينة الخشنة وكانت تستعمل أيضا لحفظ الطعام الساخن ، وقد ظلت مثل هذه الطاسات والأطباق شائعة الاستعمال طوال

العصر العتيق بأكمله ، أما الأطباق ذات القاعدة المستديرة من النوع التاسع والثلاثين والأربعين ، فيرجع تاريخها إلى الأسرة الثانية فحسب ، مثلها فى ذلك مثل الإناء ذى الصنبور من النوع الحادى والأربعين .

هذا والنوع الثانى والأربعين كأس خشن الصنع له قاعدة مخروطية ، وقد شاع استعمال هذا جدًا فى الأسرة الثانية رغم استعماله منذ أقدم العصور وقد وجدت مئات من هذه الكئوس فى إحدى المقابر الكبيرة من الأسرة الثانية بسقارة ، ووجد أن نصفها تماما لم يكن محروقًا ، وليس لدينا الآن تفسير مرض عن الغرض من استخدامها ، رغم أنه يظن أنها كانت تستعمل لتسوية الخبز ، وقد أخذ بعض المؤرخين بهذا الرأى ، وقد ظل استعمالها شائعا حتى عصر بناة الأهرام .

ومع أن الفخار كما ذكرنا من قبل كان يصنع كلية لأغراض نفعية ، إلا أننا نجد أحيانا الصانع يصمم إناء من الفخار يتعدى هذا الرأى ، فهو محاولة لكى ينسخ بوسيلته المتواضعة التصميمات الجذابة التى وضعها الفنان فى صنع الأوانى الحجرية ، ومن أمثلة هذه الأشكال النوع الثالث والأربعين الذى يرجع تاريخه إلى أوائل الأسرة الأولى .

والأوانى الفخارية ذات القاعدة المدببة فقد كان يقصد بها أن توضع فى الرمل أو فى أرضية ترابية خشنة ، أما الأرضيات الصلبة للمساكن الراقية فقد استلزمت نوعًا من الحوامل مما دفع الفخارى إلى تزويدها بقواعد مجوفة تتناسب مع قواعد الأوانى من الأنواع الرابع والأربعين والخامس والأربعين التى ظلت شائعة الاستعمال طوال هذا العصر .

ولم تقتصر مهارة الفخارى على صناعة الجرار والطاسات والأطباق والكئوس فقد أنتج أدوات ضرورية أخرى تناسب وسيلته ، فكانت تصنع من الفخار مخازن غلال أنبوبية كبيرة يزيد ارتفاعها أحيانا على متر ، وكانت لهذه المخازن فتحة دائرية فى أعلاها لوضع الحبوب ، كما كانت لها فتحة مستطيلة عند القاع يمكن منها أخذ الغلال عند الحاجة ، كما صنع الفخارى أيضا أغطية كبيرة لفتحات مخازن الغلال المبنية ، كما هو مبين فى (شكل ١٤٠) وصنع أيضا أشياء أخرى كنماذج المنازل ، ومخازن الغلال والقوارب لتكون أثاثا جنائزيًا للمقابر .

الأوانى الحجرية

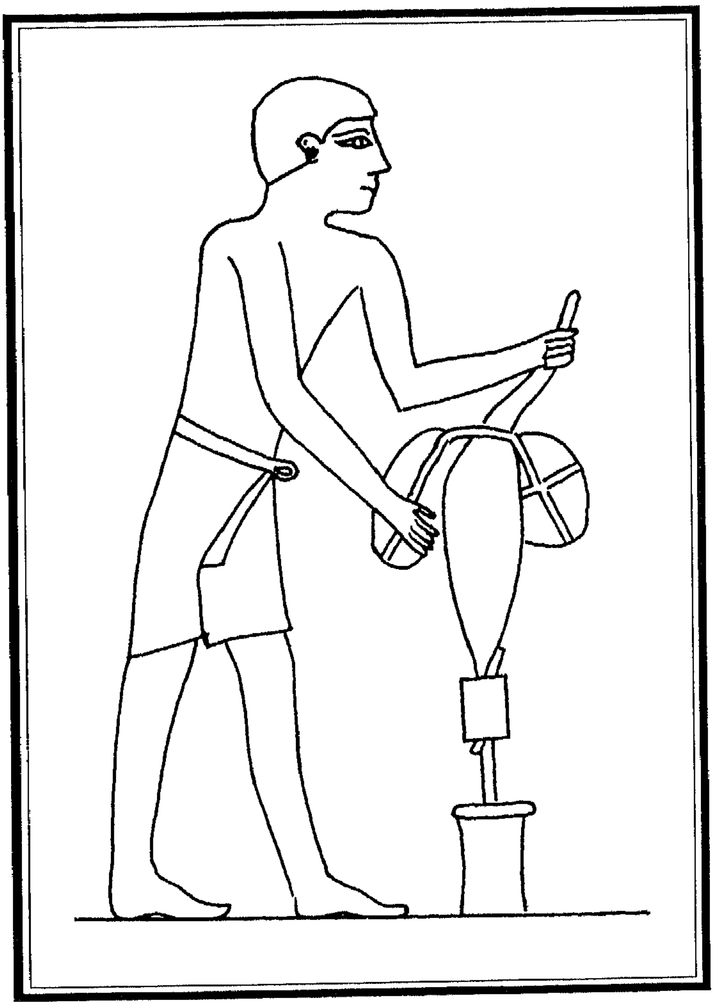
ربما كانت الأوانى الحجرية التى صنعها المصريون فى العصر العتيق أعظم دليل على قدرتهم الفنية ، ولم تبلغ دولة منذ ذلك الوقت حتى الآن مثل هذا الكمال الذى بلغته هذه الصناعة القديمة فى محاولتها إنتاج أداة للانتفاع بها كانت فى نفس الوقت نموذجا للجمال ، وكانت هذه الأوانى تصنع بكميات كبيرة جدًا مع اختلاف أنواعها ، ومع ذلك فقد حققت انتصارًا فى جمال الذوق والتصميم ، وروعة فى التنفيذ تثير الدهشة .

ولم يكن هناك حجر باستثناء الجرانيت كان من الصلابة بحيث يصعب عليهم نحته ، وقد عثر على أنواع يرجع تاريخها إلى الأسرة الأولى والثانية مصنوعة من الأحجار الآتية : الديوريت ، الشيست ، المرمر ، الرماد البركانى ، السربنتين (حجر الحية) - الاستياتيت ، البريشيا ، الرخام ، الحجر الجيرى ، الصخر البورفيرى المنقط بالأسود والأبيض ، السماقى الأرجوانى ، اليشب الأحمر ، الأوبسيديان ، الكوارتز ، الدولوميت ، البللور الصخرى ، والبازلت .

وليس لدينا للأسف أية بيانات كافية عن طريقة صنع هذه الأوانى الحجرية ، رغم معرفتنا ببعض مراحل هذه الصناعة إلا أن المراحل الأخرى منها مازالت سرًا غامضًا ، فكيف استطاعوا بلوغ مثل هذه الدقة حتى أنه حينما ندير طاسة قليلة العمق أو صحنا لانلحظ فيه أى انحراف عن الاستدارة الكاملة الدقيقة ، وكيف قدوا الأوانى الأسطوانية من البللور الصخرى بجوانب لايزيد سمكها على ملليمتر واحد؟ ورغم أننا لانعرف كيف توصلوا إلى ذلك إلا أنه يبدو مؤكدا أن الصانع قد استخدم طريقة ما يسهل معها تحريك المادة الحجرية حول آلة مثبتة ، إذ يبدو مستحيلا الوصول إلى مثل تلك الدقة باستخدام الأزميل فقط ، ونحت المادة تبعًا للمقاييس ، بصرف النظر عن المجهودات العديدة المضنية فى هذا الشأن .

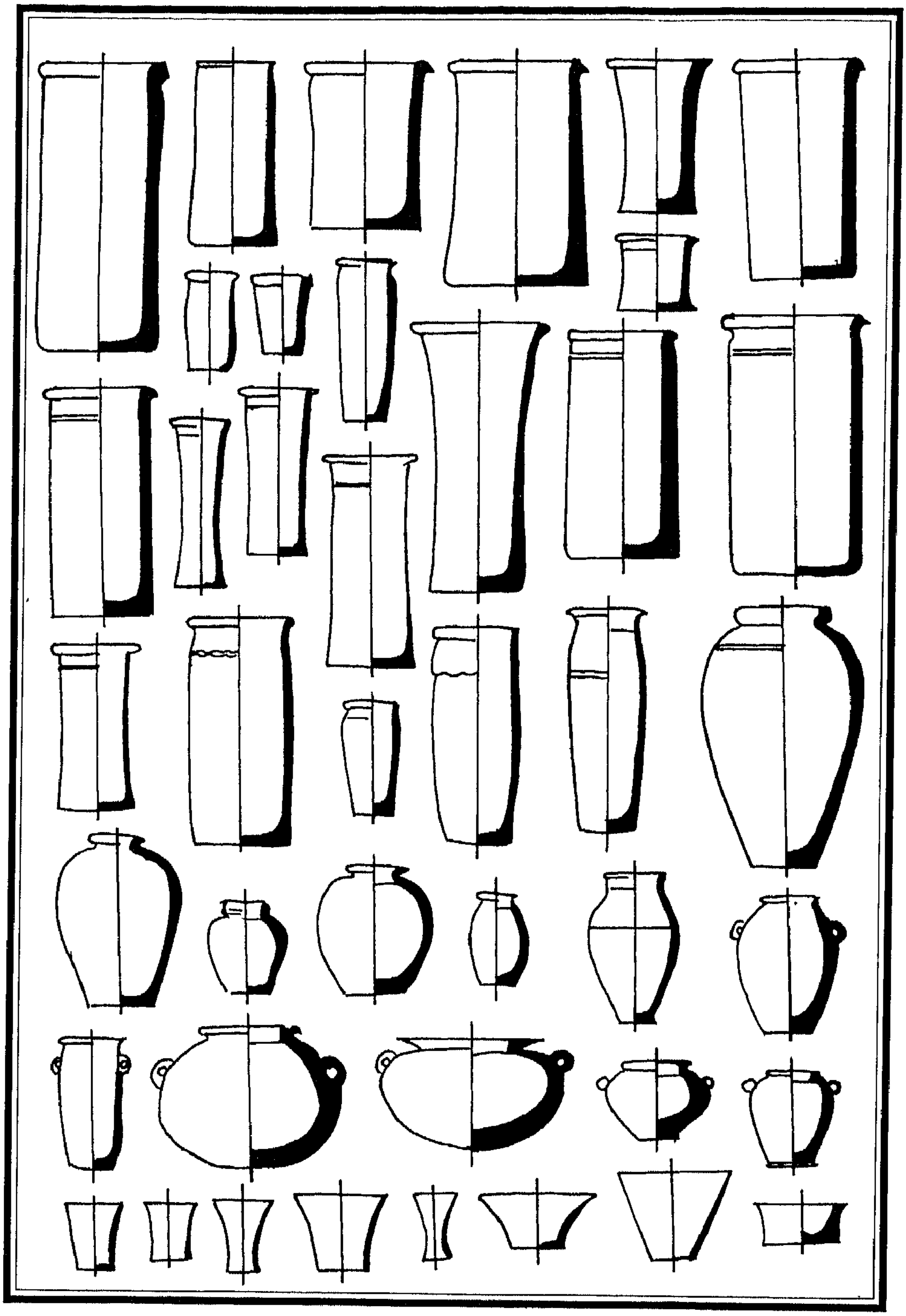
لقد تأكدنا بعد فحص الأوانى غير تامة الصنع أنه كان يتم صنع الإناء أولا من الخارج قبل أن يبدأ تجويفه من الداخل ، ونعلم أيضا أن بداية النحت من الداخل كانت تتم باستخدام مثقاب له مقبض غريب يتدلى منه حجران بيضاويان بواسطة حبال ، وهذان الثقلان الحجريان اللذان كانا ينفرجان للخارج عند دوران المثقاب ، كانا بذلك يزودانه بقوة لحركة إضافية ، والطرق القاطع لهذه المثاقيب كان نصلا من الظران شكل على هيئة رأس سيخ غير مدبب ، وقد عثر على كميات كبيرة من رءوس المثاقيب هذه

وكذلك المثاقيب الحجرية ، ولدينا أيضا صورة من عصر بناة الأهرام تبين طريقة إدارة هذا المثقاب (شكل ١٢٤) وكان هناك مثقاب أسطوانى يستعمل أيضًا فى صنع الأوانى الأصغر حجما ولكن طريقة الثقب هذه ، رغم ملاءمتها لقطع الجزء الداخلى من الأوانى الأسطوانية كالأنواع من ١ إلى ٢٢ المبينة فى شكل ١٢٥ إلا أنها لاتكون عملية لتجويف الجانب الداخلى من الأوانى من الأنواع ٢٣ إلى ٣٤ ، فكيف مثلا توصلوا إلى طريقة الضغط إلى أعلى ليتمكنوا من قطع الجانب الداخلى لأكتافها؟ كل هذه المسائل لم نستطع الإجابة عنها حتى الآن ، وربما تظل كذلك حتى يكشف عن حانوت لصانع الأوانى الحجرية يوضح لنا بعض الوسائل التى استخدمها فى هذه الصناعة .

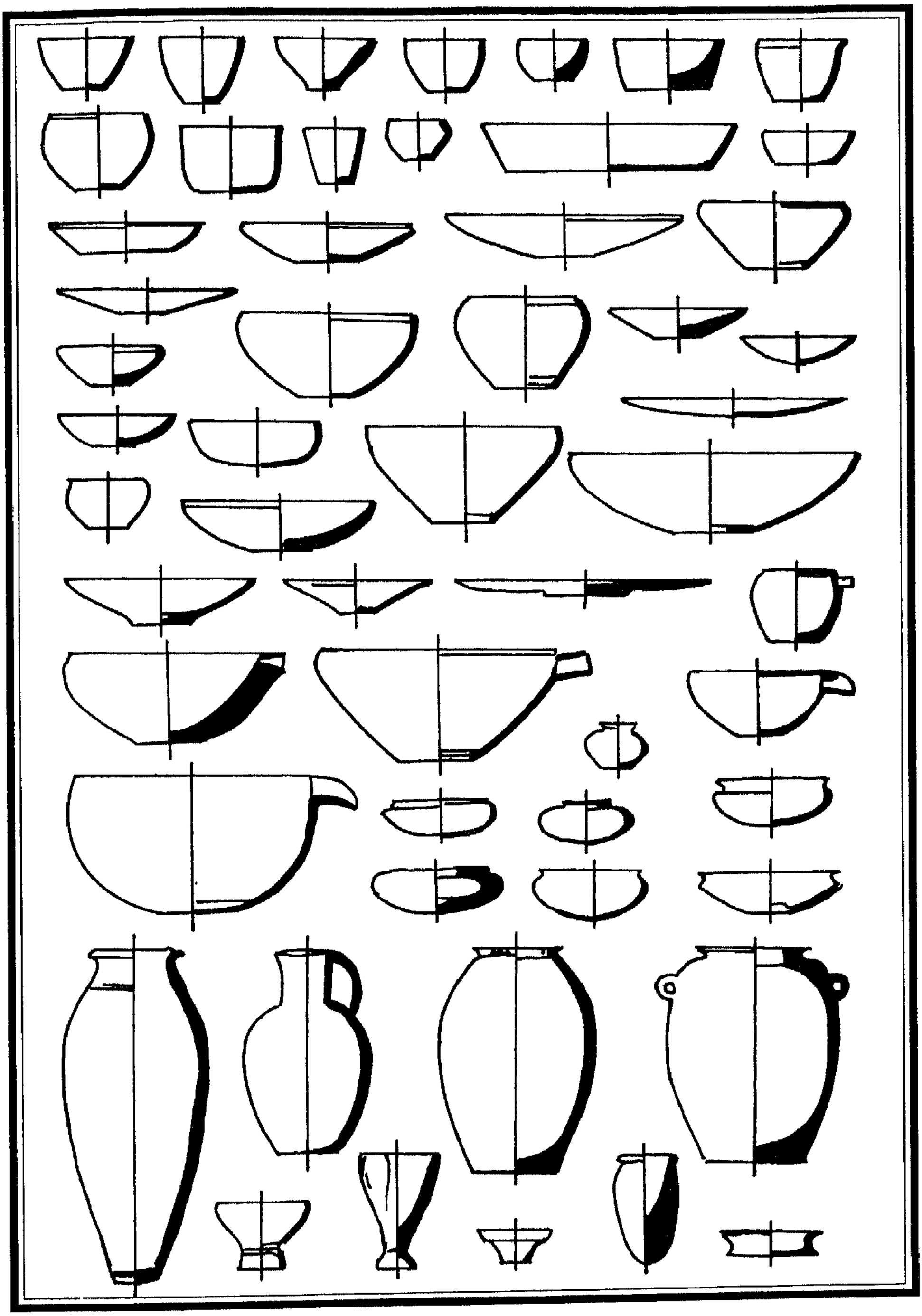


(شكل ١٢٤) صورة من الدولة القديمة لصناعة الأوانى الحجرية.

وقد استخدمت أدوات الظران والنحاس ، فقد وجدنا دون ريب آثار منشار من النحاس فى الفواصل بين أوراق الإناء المصنوع من الشيست الموضح فى اللوحة رقم ٤٥ .



(شكل ١٢٥) أنواع الأوانى الحجرية.



(تابع شکل ۱۲۵)

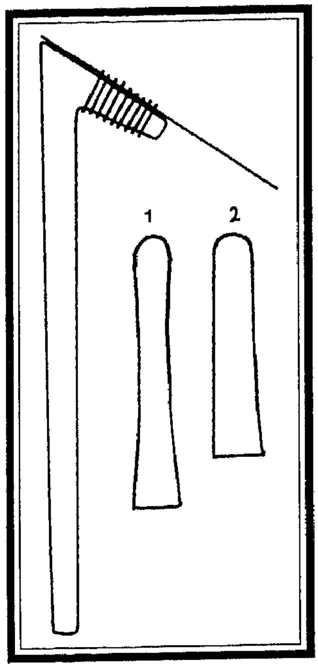
الصناعات الخشبية

إن حرفة النجارة يرجع ظهورها بطريقة فعالة إلى نهاية العصر السابق للأسرات، بعد أن تأكدت صناعة الأدوات النحاسية، لذلك يدهشنا أنه فى الجزء الأول من الأسرة الأولى، تدل الأدوات التى أبدع صنعها النجار دلالة واضحة على دراية متقدمة بصناعة الخشب، فجميع مبادئ الوصل فى النجارة مثل تعشيقة «التلبيسة» واللسان المزدوج والتفريز وما يعرف «بنص على نص» وذيل اليمامة كانت معروفة ومستعملة.

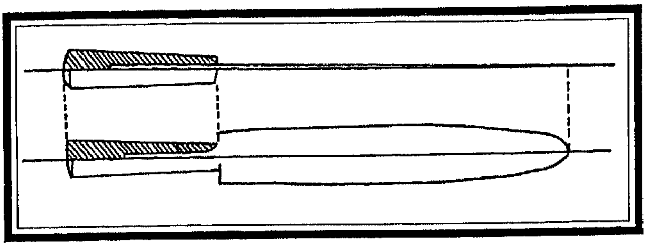
وفضلا عن ذلك كان الحفر الدقيق وتطعيم الأخشاب بالعاج والقاشانى شائعا فى ذلك الوقت، ومع أن أدواتهم كانت قليلة العدد إلا أنها مع ذلك كانت تؤدى كل الوظائف الأساسية فى النجارة الحديثة باستثناء الفارة التى ظلت غير معروفة فى مصر حتى العصر الرومانى.

ومن الجدير بالملاحظة أن أشكال هذه الأدوات ظلت على وجه العموم كما هى طوال تاريخ مصر القديم، وأن الآلة المفضلة لدى نجار العصر العتيق كانت القادوم، الذى كان يستعمل استعمال الفارة ولايزال أهم آلة من آلات خلفه فى العصر الحديث، والقادوم المبين فى (شكل ١٢٦) يختلف اختلافا بينا فى الحجم: فمنه نوع له نصل من النحاس طوله ١٢سم يربط بمقبض خشبى طوله نحو ٣٠سم، بينما هناك أنواع أخرى لها نصل طوله ٢٨سم ومقبض ثقيل طوله ٧٨سم ويربط النصل بالمقبض بحبل ملفوف أو بسيور من الجلد.

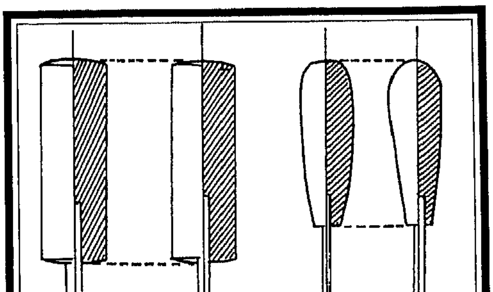
هذا ويختلف المنشار أيضا (شكل ١٢٧) فى الحجم فيتراوح طول نصله مابين ١٣، ٤٠سم وهو مسنن من حد واحد، ولايشمل التسنين النصل بأكمله، فالأسنان ويبلغ طول الواحدة منها ملليمترا واحدا تقريبا، تبدأ على مسافة قليلة من كتف المنشار وتنتهى قبل نهاية النصل، وكان النصل يغمد فى مقبض خشبى مستقيم، وهو بخلاف المنشار الحديث كان يجذب لايدفع، لذلك كانت الحافة القاطعة حيث الأسنان تميل فى اتجاه المقبض.



(شكل ١٢٦) طراز مطرقة من الأسرة الأولى.



(شكل ١٢٧) طراز منشار من الأسرة الأولى.



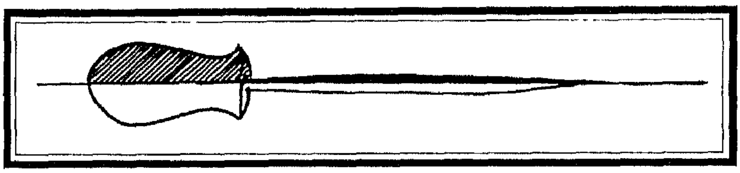
(شكل ١٢٨) أنواع الأزاميل فى الأسرة الأولى.

وكانت هناك مجموعة متباينة من الأزاميل ، مابين نوع ثقيل يبلغ طوله نحو ٣٠سم إلى آلات صغيرة للنقر الدقيق ، وأنواع الأزاميل الرئيسية الأربعة مبينة (شكل ١٢٨) ويغلب أن الأزاميل المثبتة فى مقابض مستديرة القمة ، كانت تستخدم فى الأعمال اليدوية بينما استخدمت المقابض المستوية القمة فى الأعمال التى تتطلب طرقا خفيفا .

ورغم عدم العثور حتى الآن على مطارق النجارة من العصر العتيق ، فمن المحتمل أنها كانت تشبه المجموعة الخشبية التى استخدمت فى العصور التالية وكانت على شكل الهراوة ، وقد عثر فى حلوان على مطارق حجرية ولكن من المحتمل أنها كانت تستعمل فى البناء وليس فى النجارة .

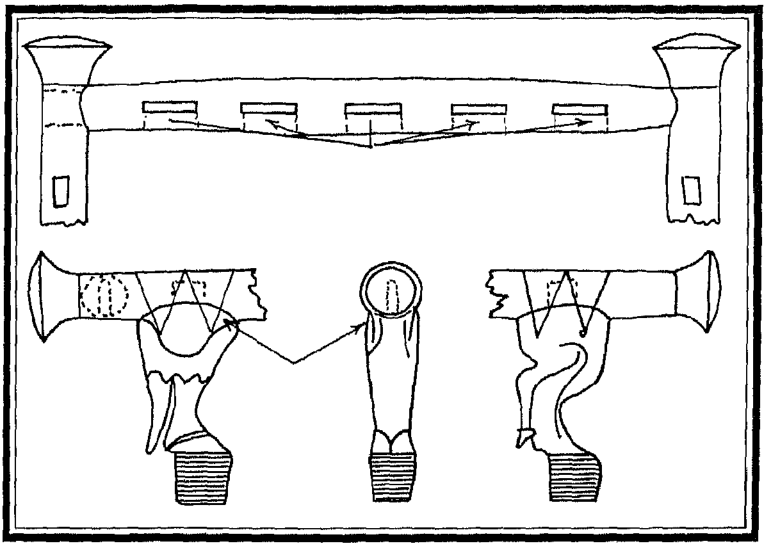
هذا والخارز أو المثاقب من النوع المبين فى (شكل ١٢٩) كان يستخدمها النجار وصانع الجلود على السواء ، ورغم عدم عثورنا على عينات مستعملة منها ، إلا أنه يبدو من المؤكد فعلا ، وغالبا أن المثقاب الذى يحرك بالقوس كان يستخدم فى عمل الثقوب الخاصة بالمسامير الخشبية ، ونحن نشك فى استخدامهم إحدى وسائل الخرط «اليدوى» إذ إن أجزاء الأثاث الخشبى المستديرة القطع قد بلغت درجة من الدقة تجعلها تبدو فى بعض الأحيان مستحيلة الصنع باليد وحدها ، ولكن لعدم وجود أى دليل مازال الاستفسار بلاجواب فى الوقت الحاضر .

ويبين لنا بوضوح شطف الحواف وتدويرها آثار السكين التى استعملت فى التدوير ، واستخدام سكين بهذه الطريقة قد يفسر لنا النعومة المتناهية فى السطوح المستوية التى ما كان يمكن بلوغها إطلاقا بطريقة التنعيم بالحجر .



(شكل ١٢٩) طراز من المخراز فى الأسرة الأولى.

ومع أن الربط على طريقة العاشق والمعشوق التى كانت تقوى بوتد خشبى كانت تستعمل باستمرار تقريبا ، إلا أنه فى صناعة الأسرة والمقاعد وأرجل المناضد نجد أن طريقة الربط بالسيور الجلدية مازالت تستعمل حتى إلى جانب استعمال الربط بالطريقة السابقة (شكل ١٣٠) ، ومع تفضيلهم استخدام الأوتار الخشبية والأسافين إلا أنهم لم يجهلوا استخدام المسامير النحاسية ، وكذلك المسامير الصغيرة لتثبيت جلد التنجيد ، والتركيبات النحاسية ، كنهايات القضبان الخشبية فى الأسرة والكراسى ، وقد كان تطعيم الخشب أو العاج أو القاشانى يثبت دائما بالغراء .



(شكل ١٣٠) تفاصيل تركيب السرير الخشبى.

النسيج

لقد بلغت صناعة الكتان فى بداية الأسرة الأولى درجة عظيمة من الرقى ، ويرى الخبراء الذين فحصوا أمثلة له فى أبيدوس وسقارة وطرخان أنه فيما عدا عدم انتظام المسافات فى سداة الخيوط فقد استعمل الصانع القديم كل طرق النسيج البسيطة المعروفة اليوم ، وفضلاً عن ذلك فإن فحص خيوط أحسن أنواع التيل فى ذلك العصر ترينا غالبًا أنها كانت تصنع من كتان أدق من الأنواع الحديثة ، كما ترينا أيضاً أن طريقة تجهيز الكتان كانت نفس الطريقة المستعملة حالياً ، فكانت تزال المادة اللزجة القوية التى تربط الألياف بالقش بعملية التعطين ، وكانت عملية الفصل تتم أيضًا بمهارة مماثلة .

وليس لدينا نموذج أصلى لطراز النول الذى استعمل فى ذلك الوقت ، ولكن إذا حكمنا بناء على منتجاته فلابد أنه كان آلة ذات كفاية فى مرحلة متأخرة نسبياً من تطور تصميمها ، تشبه فى صفاتها تلك الأنوال المصورة فى رسوم مقابر العصور التالية ، وتبين جميع منسوجاته نفس نوع النسيج المعروف فى لانكشير باسم «نسيج القطن»[1] وذلك بواحدة بسيطة إلى أعلى وواحدة إلى أسفل ، وتختلف الأقمشة الكتانية اختلافاً بيناً فى نسيجها ، فبعضها فى خشونة الخيش ، بينما توجد أقمشة

(١) Calico-weave

أخرى كتلك التى عثر عليها فى مقبرة دجر فى أبيدوس تنافس أرق الأقمشة الحديثة التى تبلغ خيوطها ١٦٠ خيطاً فى البوصة فى السداة و١٢٠ فى اللحمة .

وكان الكتان يستعمل أيضا فى صناعة الحبال التى عثرنا فى سقارة على أجود أنواعها ، وهذا الحبل على درجة كاملة من الحفظ ، كان محيطه ٣سم ، وكان مكونا من ثلاث جدائل تتكون الواحدة منها من ١٩٠ خيطاً ، وكان يصنع من الكتان أيضا الحبل الرفيع «الدوبارة» أو الفتلة ، أما حبل الشد الثقيل فيبدو أنه كان يصنع عادة من الليف .

هذا وكانت صناعة الحصير من البوص أو الأعشاب صناعة هامة دائما فى مصر ، ولابد أنهم مارسوها على نطاق واسع فى العصر العتيق ، نظرا لاستخدام الحصير بكثرة فى العمارة والأثاث المنزلى ، ولعلنا ندرك أهميته من تأثيره على الفن الزخرفى ، فزخرفة الحصير كانت أكثر شيوعا من غيرها من الزخارف الملونة سواء على العاج أو الخشب المحفور (شكل ٩٨ ، ٩٩) وكان الحصير الخفيف يصنع عادة بوضع شرائح مسطحة من الأعشاب داخل سداة من خيوط الكتان ، بينما يتكون النوع الثقيل منه من جدائل عشبية ملتوية مجدولة فى سداة من البوص الجاف ، وإذا حكمنا من تشابه الحصير القديم بالحصير الذى يصنع حالياً فى مصر ، ربما بدا لنا من المحتمل أن بناء النول وطريقة العمل واحدة ، أى أن النول كان يثبت بأوتاد فى الأرض وكان الصانع يتحرك للأمام وهو جالس القرفصاء على الحصيرة نفسها عند تشكيلها ، ويمكننا الحكم على مدى تنوع تصميمها من نماذج الحصير الملونة على جدران المقابر ذات اللوحات ، ولدينا من البراهين مايدل على أن الحصير كان يستعمل كجدران فى بعض الأبنية التى تتكون من أطراف خشبية ولتغطية الأرضيات ولزخرفة الجدران (انظر لوحة٧)

وكانت صناعة السلال ذات أهمية كبيرة أيضا وتختلف طرزها من السلال المستديرة الصغيرة الخاصة بحفظ الطعام والتى كانت تصنع من شرائح متينة من سعف النخيل إلى أقفاص مستطيلة كبيرة يبلغ طولها أحياناً نحو متر ، وتصنع الأقفاص التى من هذا الحجم عادة من البوص السميك أو الجريد .

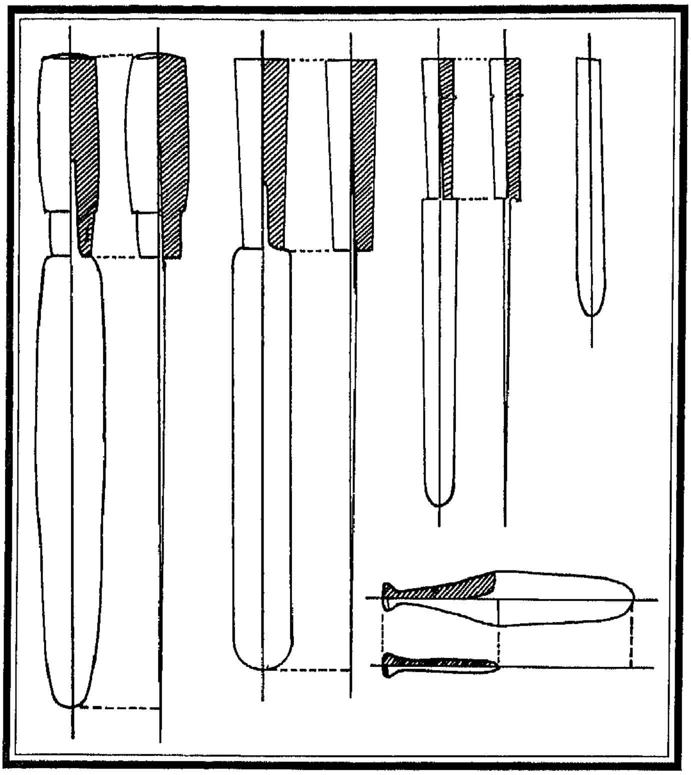
الصناعات المعدنية

كان الذهب والنحاس المعدنين الوحيدين اللذين عرفهما المصريون فى العصر العتيق وصنعوهما ، وقد قصر استعمال الأول بصفة خاصة على صناعة الحلى وإلى درجة محدودة فى الزينة المعمارية ، بينما كان يستخدم الثانى فى صناعة الآلات والأسلحة والأوانى .

وكان النحاس معروفا فى العصور السابقة للأسرات ، ولكنه كان يستعمل فقط وإلى درجة محدودة فى صناعة الأدوات الصغيرة والحلى ، وظل الأمر كذلك حتى عصر الوحدة حين استخدم على نطاق واسع فى صناعة الآلات والأسلحة والأوانى المنزلية (شكل ١٣١ ، ١٣٢) ، وقد ظن البعض دون برهان أن الأدوات النحاسية الصغيرة التى استخدمها إنسان ماقبل الأسرات كانت مصنوعة من هذا المعدن الذى عثر عليه فى حالة معدنية وإن كان يجهل طريقة الحصول عليه بصهر خامته .

ومن المؤكد أن إدراكه ذلك أدخل مصر فجأة فى عصر النحاس السابق مباشرة لتأسيس الأسرة الأولى ، لأنه بعد هذا التاريخ كانت المعادن كلها تستخلص من الخامات المستخرجة من الصحراء الشرقية وسيناء ، وكانت هذه الخامات بالطبع تصهر محلياً فى أماكن العثور عليها ، وينقل النحاس الناتج إلى المصانع فى وادى النيل ، وعند تشكيل المعدن كانوا يستعملون فى ذلك الطرق البارد والساخن والصب فى قوالب ، ونجد أمثلة لكل من هاتين الطريقتين فى صناعة الآلات الخفيفة كالسكاكين ونصال المناشير ، كان المعدن يقطع بصورة تقريبية ثم يطرق على البارد ، أما الآلات الأكثر ثقلا كالقادوم والبلطة ونصال الفئوس فيبدو أنها كانت تصب فى قالب ثم تطرق بعد إخراجها منه وهى مازالت ساخنة ، وقد أشار المؤرخون إلى أن الطريقة الوحيدة التى استعملت لتقوية الحواف القاطعة للآلات النحاسية كانت بالطرق ، وأنه لاجدال فى وجود مايعرف «بالفن المفقود» وقد بينت التجارب أن النحاس الذى تبلغ صلابته الأولية ٨٧ يمكن زيادتها إلى ١٣٥ (طبقا لمقياس برينل) ومع ذلك فإننا نعلم أن المناشير والأزاميل النحاسية استعملت فى قطع الشيست والحجر الجيرى الصلب ، ومع أن الطرق يزيد المعدن صلابة إلا أنه قد يؤدى إلى زيادة قابليته للكسر ، لذلك ربما كان «الفن المفقود» فى مهارة يد الصانع وليس فى صناعة الآلة .

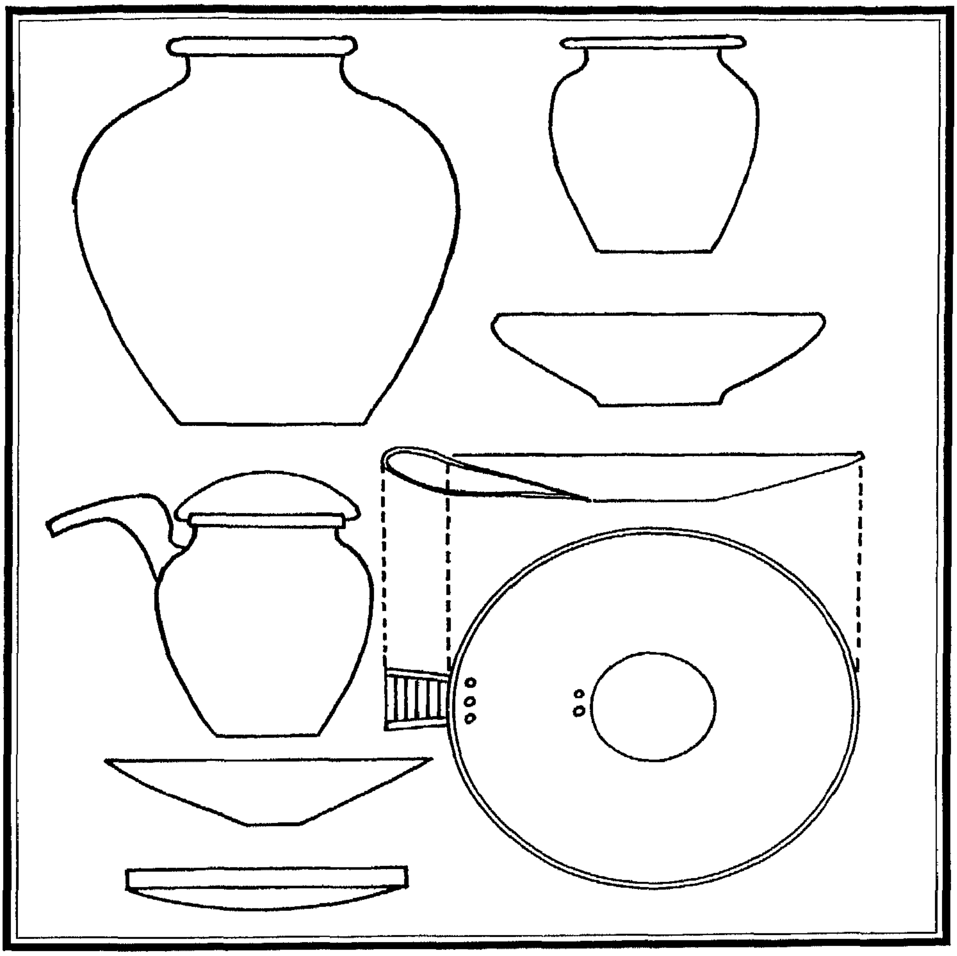
ومن الألغاز الأخرى التى خلفها لنا الصانع القديم أسنان المناشير وعيون الإبر ، ففى الحالة الأولى كانت الأجزاء المعدنية الناقصة التى بين الأسنان تقرض بعمل ثقوب ، أما فى الحالة الثانية فكانت العين تخرم بمخراز دقيق وليس بالمثقاب ، والسؤال الذى يعترضنا هو «من أى مادة كان هذا المخراز؟» والمفروض أنه كان لابد أكثر صلابة من المعدن الذى استعمل لثقبه ، وفى هذا المجال يجب الإشارة إلى أنه لم يوجد مايدل على صناعة البرونز إلا بعد انقضاء العصر العتيق بمئات عديدة من السنين .



(شكل ١٣١) أنواع السكاكين البرونزية ذات المقابض الخشبية.

وقد استخدم الصقل اليدوى والصقل بالحجر فى إعطاء الآلات النحاسية صورتها النهائية ، ولكن لا يوجد دليل على أنهم بذلوا أية محاولة فى تشكيل الآلات بهذه الطرق ، وقد صنعت الأوانى النحاسية كالآباريق والطاسات والجرار والأطباق وغير ذلك بالطرق والصب على السواء ، ولكن يبدو أن الطريقة الثانية استعملت فى الأسرة الثانية فقط ، وأن جميع الأوانى التى عثر عليها فى مقبرة دجر فى سقارة صنعت من النحاس المطروق (لوحة ٤٣) وكانت صنابير الأباريق والمقابض وحواف الأوانى تلصق بمسامير نحاسية كما استخدمت أيضاً الأسلاك فى تثبيت المقابض المعقودة كتلك المبينة برقم ٣(شكل ١٣٢) ، ولهذه الحقيقة أهميتها البالغة إذ كان المعتقد حتى الكشف عن هذا الإناء أن طريقة سحب الأسلاك لم تكن معروفة لدى أولئك الصناع الأوائل ، وقد صنعت جميع أشكال الأوانى النحاسية تقريباً على نهج أصولها الحجرية السابقة ، ويبدو أن صانع المعادن قد وضع تصميمات ينقصها الابتكار ، ومع ذلك فيبدو أنه قد استغل إمكانيات هذا المعدن ، فقدم لنا على سبيل المثال اليد المعقودة فوق الجزء العلوى من الإناء وهى ظاهرة لم تحقق إذ ذاك فى الأوانى الحجرية أو الفخارية .

ولقد وجدت عروق الذهب الخام والتبر فى مصر وبلاد النوبة وحيث أن استخلاص هذا المعدن من الرمل والحصى أسهل من استخراجه من صخور الكوارتز الصلبة فى المناجم ، فمن المحتمل أن المصريين الأوائل قد اعتمدوا كثيرًا على الطبقات الرسوبية فى الحصول على مايلزمهم من هذا المعدن الثمين ، ونظراً لأننا قد وجدنا أيضاً الذهب الخام فى مقابر العصر العتيق ، فلابد أن هذا المصدر كان معروفاً لديهم مثلما كان معروفا لخلفائهم .



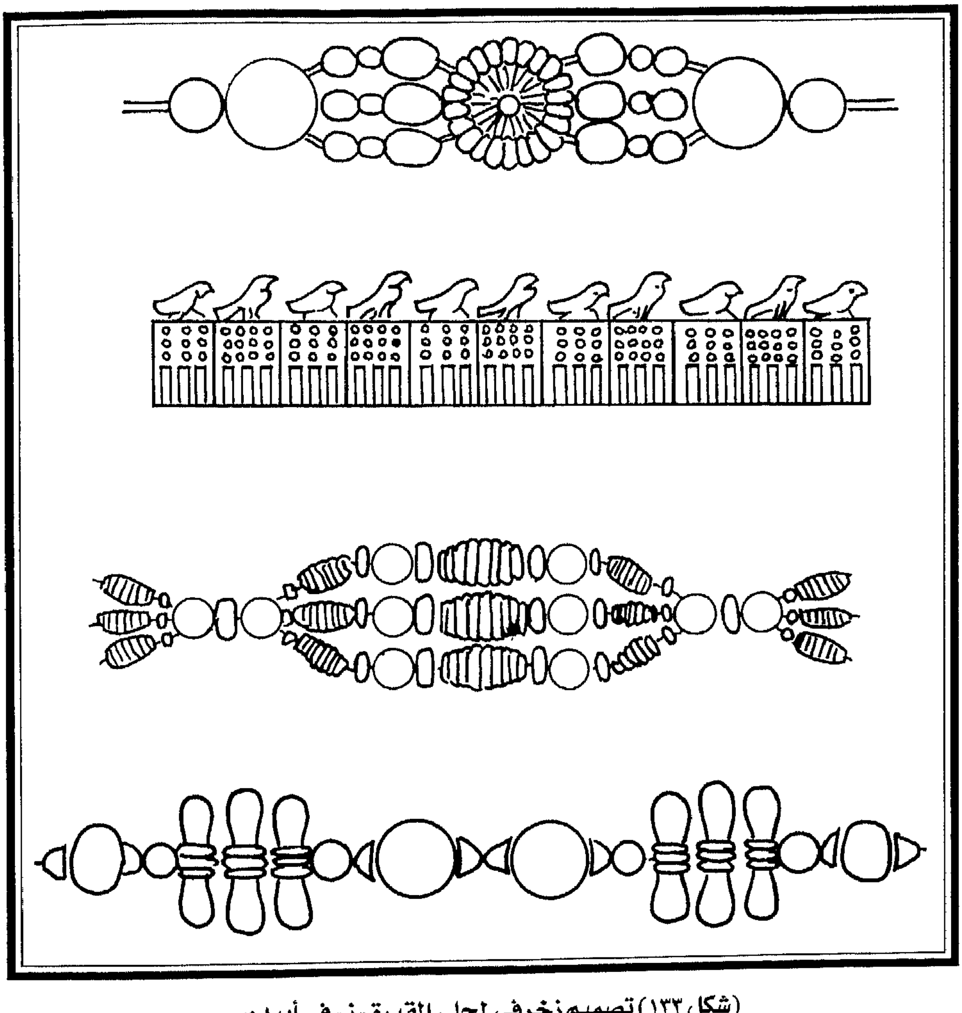
(شكل ١٣٢) أنواع الأوانى النحاسية.

وقد سبك صائغو الذهب هذا المعدن وطرقوه وتبين لنا الحلى البديعة التى عثر عليها فى مقبرة الملك دجر فى أبيدوس وفى مقبرة حرنيت فى سقارة الدرجة الرفيعة التى بلغتها مهارتهم ، حيث نرى فيهما صب اللوحات الصغيرة وقد أنجز سطحها بالمطرقة والأزميل ، وكذلك حبات الخرز الأسطوانية أو الزمبروكية الشكل المصنوعة من صحيفة ذهبية مطروقة وسلك من ذهب والخرزات الكروية الثلاثية المصنوعة من الذهب المطروق وقد لحمت مع بعضها البعض بعناية فائقة حتى أنه لا يوجد أى أثر لتجاوز أو اختلاف فى اللون ، وكان من الممكن إنتاج الذهب فى شكل صحائف متفاوتة السمك مستوية ، كانت تحفر وتنقش لتغطية الأثاث ، أو لتزيين مقابض الأسلحة كدبوس القتال والصولجانات على نهج صولجان خع سخموى ، وكان من المستطاع الحصول على الذهب بكميات وفيرة كما يتضح من الأعمدة المغلفة بالخشب فى قبر من أوائل الأسرة الأولى فى سقارة حيث زين الكساء الخشبى بشرائط منقوشة من صحائف الذهب من الأرضية إلى السقف ولا يفصل بين تلك اللوحات سوى مايقرب من سنتيمتر واحد .

صناعة الحلى

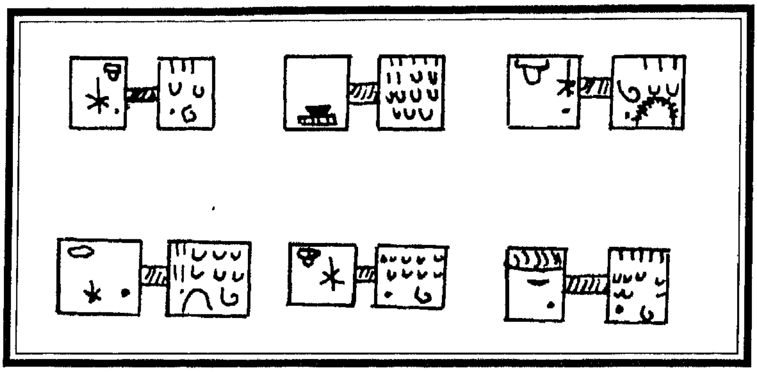
كان المصرى فى الأسرتين الأولى والثانية مولعًا إلى حد كبير بلبس الحلى على نحو ما كان عليه خلفه فى الأزمنة التالية ، وكان صنع العديد من أنواع هذه الحلى الشخصية صناعة هامة ، ولكن للأسف بعد ٥٠٠٠ سنة من السلب أمدتنا المقابر بالقليل منها ، وبين آونة وأخرى يمدنا أحد الكشوف غير المتوقعة ، كسوار مقبرة الملك دجر فى أبيدوس ، بدليل على المستوى الذى بلغته مهارة صائغ الحلى ، فقد عثر على هذه الأساور الرائعة تزين بقايا ذراع آدمى كان لايزال ملفوفاً فى الكتان فى شق بإحدى جدران المقبرة ، حيث تركها بعض اللصوص الأقدمين سهواً ، وقد قيل إنه ذراع زوجة الملك دجر ، ولكن لا يوجد دليل يؤيد هذا القول ، كما لا يوجد ما يدل على أن العظام لسيدة ، ومع ذلك فأياً كان صاحبها فلا يمكن أن يكون هناك أى جدال فى أننا نملك بهذه الحلى مثلاً من أرفع أنواع التزين الشخصى يرجع إلى السنين الأوائل من الأسرة الأولى ، ويوضح لنا (شكل ١٣٣) تصميم الأساور الأربعة ، مع اختلاف المواد التى صنعت منها وهى الذهب والفيروز واللازورد والجمشت .

وكما حدث فى العصور التالية ، فضلت أشغال الخرز المعقدة فى تركيب العقود والسوار ، رغم أنه فيما يختص بالسوار شاع استعمال النحاس المصبوب والمطروق والصدف والعاج ، وفى صنع الخرز عرفوا إلى جانب الذهب والقاشانى «الفيافس» الأحجار نصف الكريمة التى استعملها صانع الحلى فى العصر العتيق وهى حجر الزفر والعقيق اليمانى والجمشت والعقيق الأحمر والأبيض والفلسبار الأخضر وحجر السيلان «الكلكدونى» والهيماتيت واليشب واللازورد والملخيت والبللور الصخرى والفيروز .



(شكل ١٣٣) تصميم زخرفى لحلى المقبرة «ز» فى أبيدوس.

وقد عثر فى مقبرة الملكة نيت حتب فى نقادة على عدد من البطاقات العاجية الصغيرة ، يبدو أنها كانت ملتصقة بالحلى الموضوعة فى المدفن (شكل ١٣٤) ، وعلى كل بطاقة صورة عقد من الخرز ثم الأرقام ٧٥ أو ١٢٣ أو ١٦٤ والمفروض أن هذه الأعداد كانت تشير إلى عدد الخرز فى الخيط الذى ربطت به البطاقة ، ومثل هذا التسجيل الدقيق يوحى بالقيمة العظيمة التى كانت لمثل هذه الحلى .



(شكل ١٣٤) بطاقات عاجية من مقبرة الملكة نيت . حتب فى نقادة.

النقش على العظم والعاج

كان العظم والعاج يستعملان فى أغراض شتى وقد لبى صانع هاتين المادتين احتياجات تجار الأثاث والحلى والأسلحة واللعب وأدوات الزينة والتماثيل .

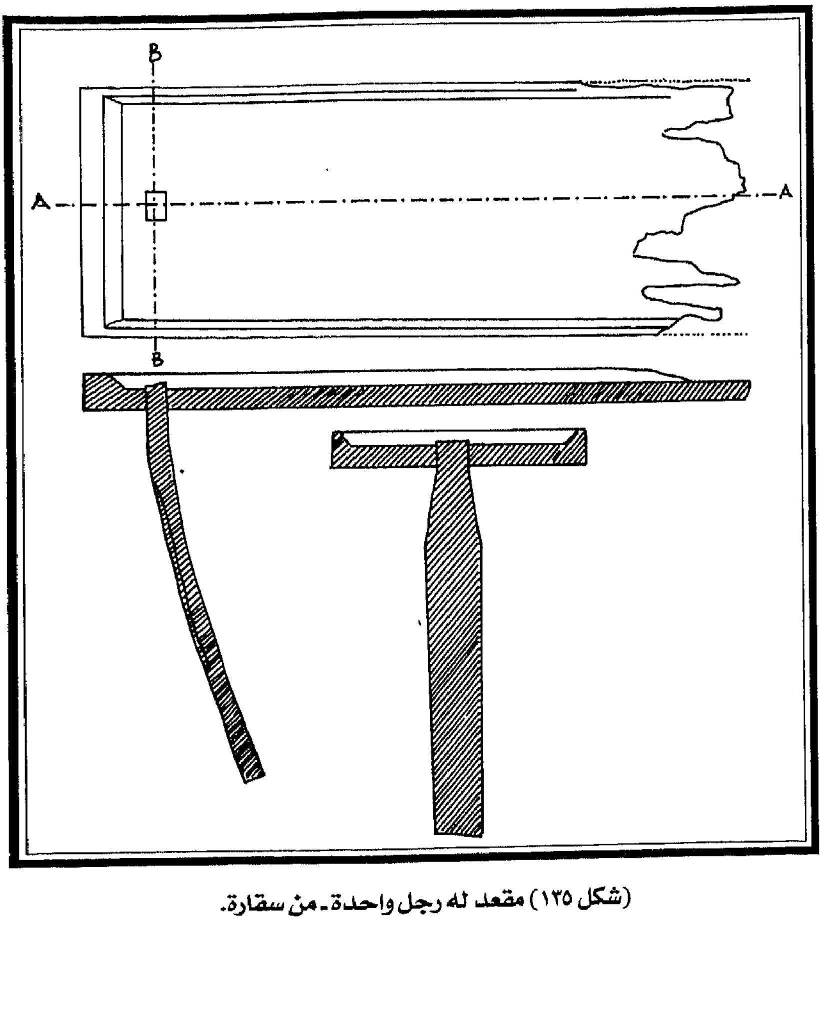
وفضلاً عن استعمال العاج فى أعمال تطعيم الأثاث الخشبى ، فقد كان عادة المادة الأساسية فى صنع الأدوات الصغيرة كالمناضد الصغيرة والمقاعد حيث كانت تصنع منه نهايات القوائم الشائعة التى شكلت على هيئة أرجل الثور وقد وجدت رءوس السهام من العاج والعظم بكميات وفيرة فى أبيدوس وسقارة . ولدينا مثل أيضاً لرأس حربة كبيرة من العاج ، يبدو أنها صنعت من ناب طبيعى بأقل تهذيب ممكن . أما فى صنع قطع اللعب فقد أطلق حفار العاج كل العنان لمهارته كفنان ، لاسيما فى نحت أرجل الثيران باللوحة وكذلك الأسود وقطع النرد(لوحة٤٨) .

أما فى نحت التماثيل فإن أبدع مثل لدينا هو التمثال الصغير العاجى للملك الكهل الذى يرى فى اللوحة ٣٠ب ، كما لايوجد فى أعمال الحفر مايفوق حفر اسم الملك أوادجى (الثعبان) على قطعة عصا الرمى .

صناعة الجلود

كانت صناعة الجلود صناعة أخرى هامة يحتاج إليها الناس حقًا ، فقد استخدم الجلد على نطاق واسع فى صنع الأكياس وجعاب السهام والملابس والأثاث ، ومن المؤسف أن الجلد يندر وجوده فى حالة حفظ جيدة ، ولكن يندر أيضًا أن نجده قد تلاشى دون أن يترك أثرًا ، وفى العادة إذا تفتت شىء مصنوع من الجلد عند اللمس فإنه يمكن التأكد من خاصيته قبل تلاشيه نهائيا ، فالجلد الرقيق كالذى يستعمل فى صنع الأكياس الصغيرة له عادة قوة تماسك الورق المقوى المحروق ، أما الأنواع الأكثر سمكًا التى استعملت فى صنع النعال ، فكان من المستطاع غالباً حفظها ، فقد وجدنا فعلاً فى الحفائر الحديثة بسقارة صنادل فى أتم حالات الحفظ .

ولا نعرف أى المواد استعملت فى الدباغة أو أية عملية اتبعت لإعداد الجلود ، ومن المؤكد جدًا أنها كانت تنقع فى الماء وتكشط وتطرق وتصقل بالحجر . ولدينا مقعد برجل واحدة

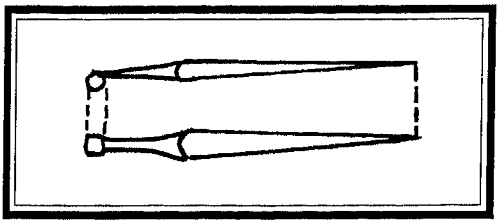


(شكل ١٣٥) مقعد له رجل واحدة - من سقارة.

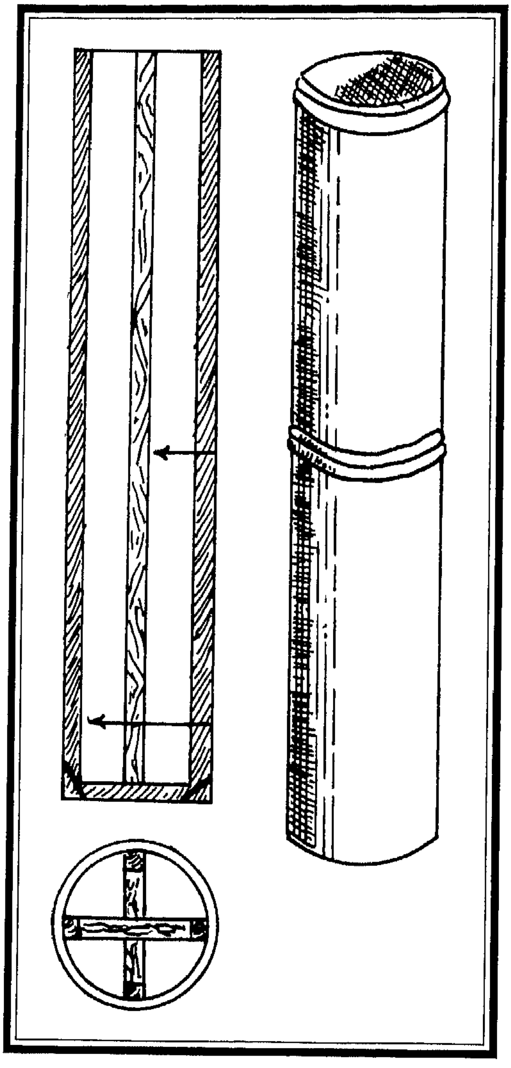
من الأسرة الأولى بسقارة ربما كان يستعمل عند كشط الجلود وصقلها ، فهو يشبه كثيرًا الآلة التى استعملت لهذا الغرض المبينة فى آثار العصور التالية (شكل ١٣٥) .

أما حياكة الجلد فكانت تتم بواسطة سيور جلدية وكانت الثقوب المستطيلة اللازمة لمثل هذا العمل تنفذ بواسطة مثقب نحاسى ، وقد عثرنا على أمثلة عديدة منه (شكل ١٣٦) ، وليس لدينا دليل أيضًا على صباغة الجلد ، ولكن جعاب السهام التى وجدت بسقارة لونت فى شكل شرائط زرقاء على أرضية صفراء ، وقد صنعت هذه الجعاب من جلد جاف فى شكل أسطوانى بقاعدة مستديرة وخياطة متقاطعة بواسطة سيور جلدية .

وهناك جعبة أخرى من الجلد لها صفات مماثلة كانت تستعمل لحفظ الحراب والعصى ، وشكلها أسطوانى ، ولكن نظرا لكبر حجمها ولكى يحافظ على صلابتها كان الجلد يخاط حول إطار خشبى كما هو موضح فى (شكل ١٣٧) .

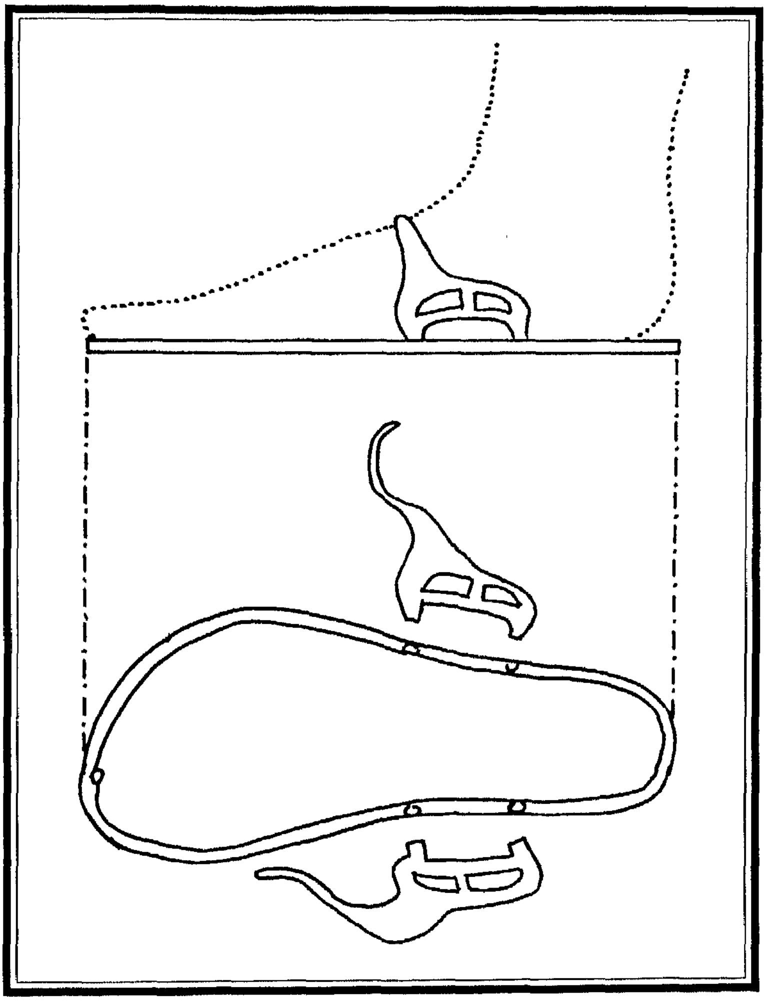


(شكل ١٣٦) مثقاب برونزى من الأسرة الأولى.



(شكل ١٣٧) جعبة أنبوبية من الجلد من سقارة.

وقد وجدت نعال جلدية كتلك الموضحة فى (شكل ١٣٨) فى حالة حفظ لا بأس بها ، ولم تكن شرائط الربط توصل بالحياكة ، إنما كانت تغمد فى النعل وتثبت بمادة صمغية ، ولجميع الكراسى والأسرة تقريبا من النوع الممتاز مقاعد وحشوات من الجلد تصنع عادة من شرائط متقاطعة ، ويحق لنا أن نفترض أنهم قد استعملوا وسائد من جلد ناعم ، ولو أننا حتى الآن لم نحصل على دليل يؤيد ذلك ، وقد استعملت السيور الجلدية أيضًا فى تقوية تعشيقات الأثاث الخشبى (شكل ١٣٠) .



(شكل ١٣٨) صندل من الجلد من سقارة.

أشغال الظران

رغم أن الآلات والأسلحة النحاسية كانت شائعة الاستعمال ، إلا أن الظران لم يبطل استعماله ، فظل طوال هذا العصر تصنع منه الأدوات كالسكاكين والمكاشط والأمواس وأسلحة الفئوس ورءوس الحراب والسهام ونصال المناجل المسننة ورءوس المثاقيب ، ويمكن القول إن صناعة الظران ظلت قائمة حتى الأسرة الثانية عشرة .

وقد بلغت هذه الصناعة أوج مجدها فى العصر السابق للأسرات ، ولكنها ظلت تحتفظ بمستواها الرفيع خلال الأسرة الأولى وبدأت فقط تفقد قيمتها قرب نهاية الأسرة الثانية ، وربما كانت السكاكين الكبيرة من أواسط الأسرة الأولى والتى عثر عليها فى سقارة أروع أمثلة لمهارة صانع الظران فى العصر العتيق (لوحة ١٤٠) .

البردى

إن نبات البردى الذى ينتمى إلى عائلة الحلفاء لايوجد إلا فى مصر ، ولكنه كان يزرع فيها بكثرة فى العصور القديمة لعدة أغراض ، أهمها صناعة ورق الكتابة ، وكان بعد نزع القشرة الخارجية ويقطع لب النبات إلى شرائط كانت توضع بعد ذلك متوازية متداخلة قليلا فى بعضها البعض ، ثم توضع فوقها طبقة أخرى من الشرائط بحيث تتعامد معها ، وبعد بل طبقتى اللب بالماء وطرقهما معا كانتا تلتصقان وتكونان صحيفة واحدة متجانسة رقيقة للكتابة .

ولم يكن هناك حتى الاكتشافات الحديثة فى سقارة دليل على وجود البردى كمادة للكتابة ، ويبدو فى الحقيقة أن اختراع هذه الوسيلة لصنعه لم يكن محتمل الوقوع فى مثل هذه الفترة المبكرة ، أى عصر الأسرة الأولى .

ومع ذلك فقد عثر على لفافتين من البردى فى صندوق صغير يرجع إلى حكم الملك أوديمو ، ومع عدم وجود كتابة عليهما ، فلايتطرق إلينا الشك فى أنهما صنعتا بقصد الكتابة .

الفصل العاشر

الزراعـــة

الرى

كانت مصر فى العصر العتيق ، مع الأعمال العظيمة التى خلفها لنا فنانوها وبناءوها وصناعها ، بلدًا زراعيًا على نحو ما كان عليه حالها دائما ، فيجب التنويه إلى أن إحدى العصور البالغة القدم ترينا فرعون وقد أمسك بالفأس فى يده ، وهو يحتفل بشق قناة للرى . فجميع محاصيل أراضها الغنية هبة من النيل ، وسواء قل المطر أو انعدم فإن مصر دون الرواسب النهرية التى يجلبها النيل العظيم فى فيضانه السنوى تصبح صحراء ، ولكن لكى تقوم حضارة عظيمة فلابد أن يكون هناك تحكم فى الفيضان ، حتى يمكن تحقيق أكبر المنافع ، لذلك كانت الرقعة الزراعية تقسم بواسطة جسور من التراب إلى أحواض ، تجلب إليها مياه الفيضان فى قنوات ، ونظام رى الحياض هذا كان يستبقى المياه حتى تمتصها الأرض تمامًا ، وكان يمنع تراجعها السريع إذا ما هبط منسوب الفيضان ، وهكذا كان النيل يفيض على الوادى والدلتا فى شهر يوليو من كل سنة ، وحينما تنحسر المياه في نوفمبر كانوا يبذرون الحب على الغرين الخصيب الذى خلفته وراءها ليجنون ثماره فى إبريل أو مايو .

ويعوزنا الدليل على الطريقة التى اتبعت لرفع المياه إلى المستويات الأرضية الأكثر ارتفاعًا التى لم تبلغها مياه الفيضان حينما يكون النيل منخفضًا ، وقد أمكن التغلب على هذه الصعوبة فى العصور التالية كما هو اليوم باستخدام آلة بدائية تسمى «الشادوف» ، وهو يتكون من عمودين قائمين يتدلى بينهما عمود ثالث يتأرجح على محور ينتهى أحد طرفيه بحبل ودلو ، وينتهى الطرف الآخر بثقل مقابل ، فهو بذلك آلة بسيطة جدًا ربما عرفت فى هذا العصر المبكر ، فلدينا دليل ملموس على أن الماء كان يرفع بكميات كافية إلى الأرض المرتفعة حيث كانت تزرع الشجيرات .

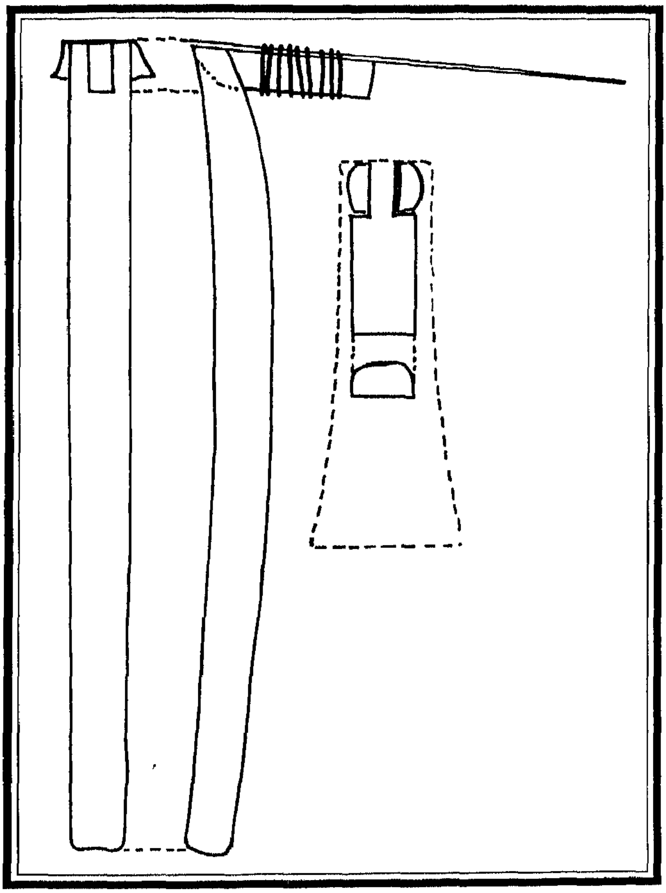
الحرث والعزق

نحن نعلم القليل عن طبيعة آلاتهم الزراعية ، ورغم احتمال استخدامهم للمحراث ، إلا أنه ليس لدينا دليل مؤكد على وجوده فى أزمنة العصر العتيق .

وفى الحقيقة إن الآلة الوحيدة التى بقيت لنا منذ ذلك العهد وكانت تستخدم لعزق الأرض هى الفأس ، ولدينا لها رسوم توضيحية ونماذج حقيقية ومن المحتمل أن النوع الشائع جدًا للفأس هو ذلك الذى استخدمه الملك فى (شكل ٣) ، وكان يصنع من الخشب يقويه حبل مضفور ، ولكن هناك آلات أخرى بأسلحة من النحاس أو الظران ، فهى رغم مشابهتها لقادوم النجار ، فمن المحتمل بسبب حجمها وخفة سلاحها أن تكون نوعًا من الفئوس الخفيفة (شكل ١٣٩) .

الحبوب

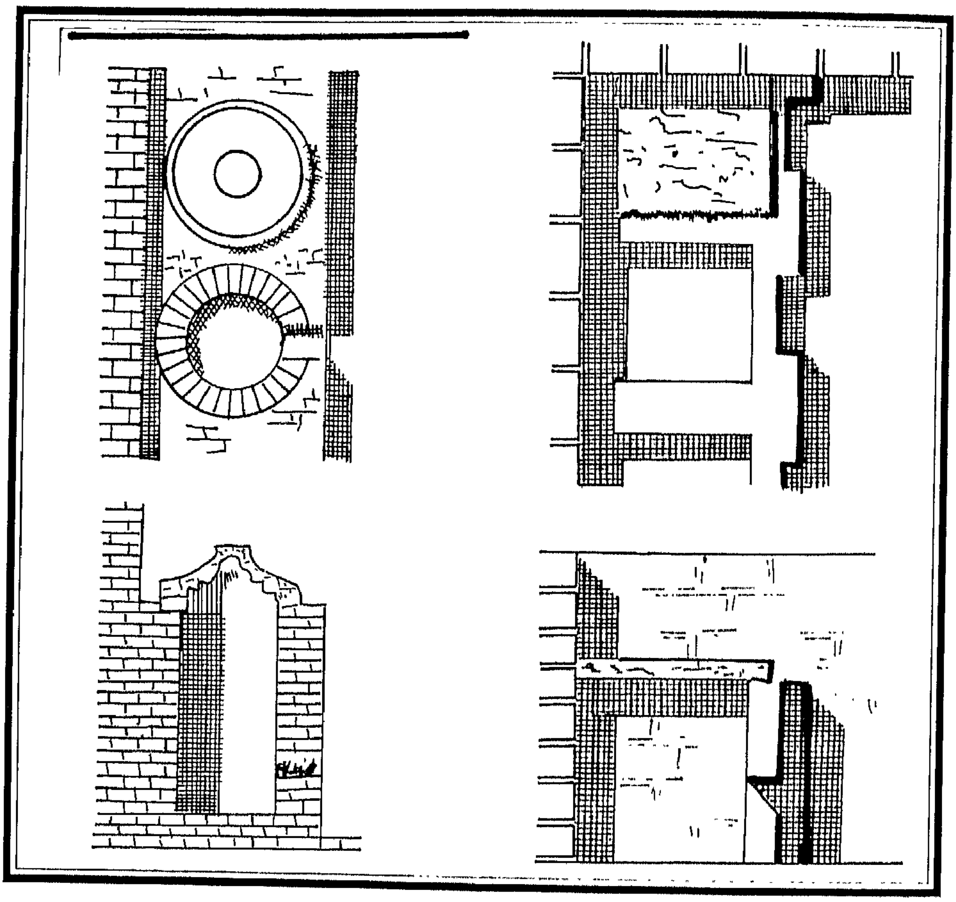
ومن الحبوب التى بذرها المصريون أمكننا التحقق من القمح والشعير والذرة ، ومن الفاكهة لدينا البلح والجميز والعنب والنبق وهو من ثمار شجرة السدر ويشبه الكرز ، وقلما نشك فى أنهم زرعوا الخضراوات ، ولكننا لا نعرف أنواعها ، ومن الجلى أنهم زرعوا الكتان بكميات كبيرة لصناعة الأقمشة ، ونعلم أنهم فضلوا زراعة الأشجار فى صفوف منتظمة ، وقد عثرنا على بقايا شجيرات لا نعرف نوعها زرعت فى صفوف من الحفر على حافة منحدر فى جبانة العصر العتيق بسقارة .



(شكل ١٣٩) نوع فأس لها سلاح من النحاس.

الحصاد

لقد استعملوا المنجل للحصد ، فقد عثرنا على عدد من النماذج الدقيقة لهذه الآلة الزراعية فى القبر رقم ٣٠٣٥ «لوحة ٤٠» وكانت تصنع من الخشب بحد قاطع من نصال الظران المسننة ، نظمت فى مجرى وثبتت فيه بمادة لاصقة سوداء لم نعرفها بعد ، وكانوا يخزنون القمح بعد حصده فى صوامع ذات أشكال مختلفة أكثرها شيوعاً ، النوع الممكن نقله وهو أسطوانى الشكل مصنوع من الفخار ، أما مخازن الحبوب المبنية فكانت من نوعين : أحدهما أسطوانى من الداخل ، والآخر مستطيل ومقسم إلى عدة أقسام ، وكانت الحبوب فى كلا النوعين تصب فى داخلها من أعلى وتسحب من باب صغير عند القاعدة (شكل ١٤٠) .



(شكل ١٤٠) أنواع مخازن قمح محاطة بالبناء.

الحيوانات الأليفة

وإلى جانب زراعة الأرض كان الفلاح فى العصر العتيق يربى الماشية على نطاق كبير ، فإذا حكمنا بالكمية الهائلة من بقايا الحيوان التى تركها القدماء كمتقدمات من الطعام ومن قرون رءوس الثيران التى عثر عليها على أرائك المقابر ، ويبدو أن ثيرانهم كانت من الأنواع غير المعروفة الآن فى مصر ، ولكنها مازالت تربى اليوم فى السودان ، وكانت تتميز بقرونها الطويلة ومن النوع الشبيهة بما يعرف باسم (الزيبة **Zebu**) .

ومن الحيوانات الأليفة الأخرى الحمار والماعز والخنزير والغنم وربما الجمل .

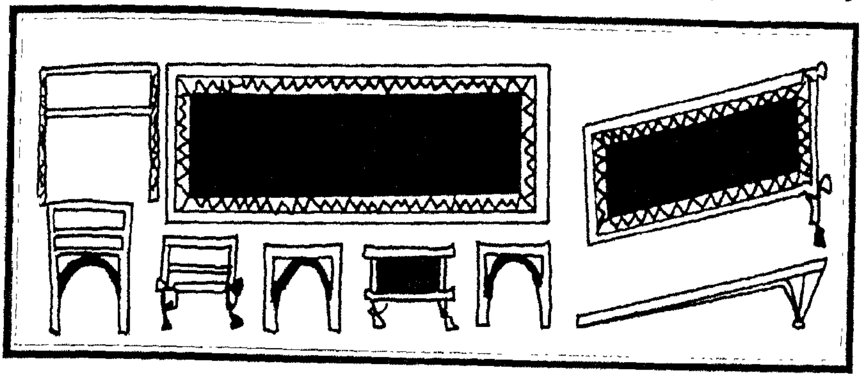
الفصل الحادى عشر

الحياة المنزلية

المنازل والأثاث

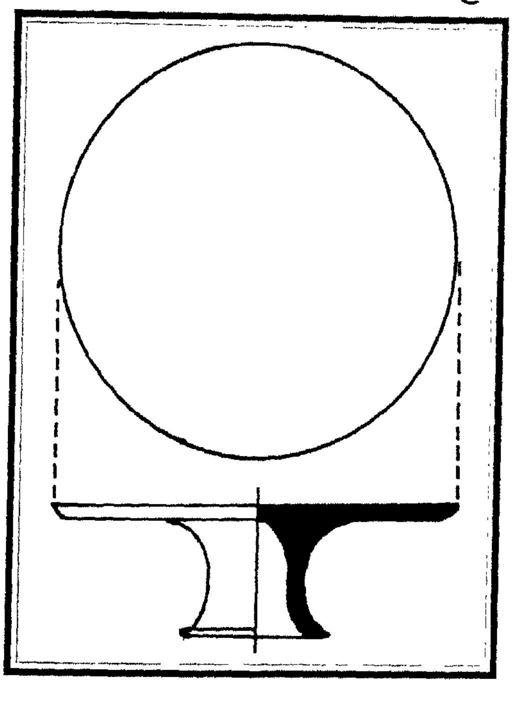
إن دليلنا الوحيد على وجود المنازل فى مصر فى العصر العتيق مصدره المقابر والتوابيت بوصفها مساكن للموتى ، وكانت غالبًا صورة معقولة ، لتلك المنازل التى سكنوها فى حياتهم . ورغم أن الأكواخ المستديرة التى سكنها الناس فيما قبل الأسرات ، بقيت ولاشك فى المناطق الريفية وكذلك فى الأحياء الفقيرة من المدن ، فربما استخدم غالبية أهل الحضر منازل مستطيلة الشكل من اللبن أو الخشب بسقوف منخفضة مقببة ، وكانت منازلهم تختلف فى حجمها ونوعها تبعاً لحالة أصحابها الاجتماعية ، ولكنها لم تكن مساكن بدائية ، فلاشك أنه إذا حكمنا على ذلك من مقابرهم ، فإن بيوت النبلاء لابد وأنها بلغت درجة من الرخاء بحيث كانت تحتوى على حمامات ودورات مياه ، وأجنحة منفصلة للنوم وجدران تحمل زخرفة بالحصير ، ويؤكد هذا المستوى الفخم فى المعيشة وجود أثاث منزلى مريح لنا منه أمثلة واقعية عثرنا عليها ، إما كقطع منقولة بالحفائر ، وإما صور على جدران مقبرة حسى بسقارة ، ورغم أن هذا القبر بنى فى أوائل الأسرة الثالثة ، إلا أن صوره الملونة تمثل الأثاث والقطع الأثرية الأخرى التى لابد أن كانت شائعة الاستعمال طوال العصر العتيق ، وكانت الكراسى والأسرة تصنع من الخشب بتركيبات من الخشب والنحاس ، وفى كثير من الحالات كانت لها مقاعد ومراتب من الجلد أو القماش مثبتة فى الإطار الخشبى بسيور جلدية ، وكانت أرجل مثل هذا الأثاث تنحت على شكل الأرجل الأمامية والخلفية للثور ، ومع ذلك لم تكن الأنواع الأكثر بساطة غير شائعة (شكل ١٤١) وكانوا يفضلون كثيرًا تصميمات أرجل الثيران ، وكانت تستعمل فى أرجل الصناديق ولوحات اللعب والأدوات الأخرى الصغيرة ، كانت الأسرة عادة منخفضة ونادرًا ما يعدو ارتفاعها ١٢ بوصة ، ولم تكن الكراسى فى الغالب تعدو هذا الارتفاع حتى أن الجالس عليها عليه أن يتخذ وضع المتربع تقريباً .

وربما كانت مثل هذه الكراسى تستعمل حول الموائد المنخفضة فى الحجرة التى كانت تستخدم لتناول الطعام ، ومع ذلك فقد شاع استعمال الكراسى الأكثر ارتفاعًا مما يعتبر الآن ارتفاعًا عاديًا .



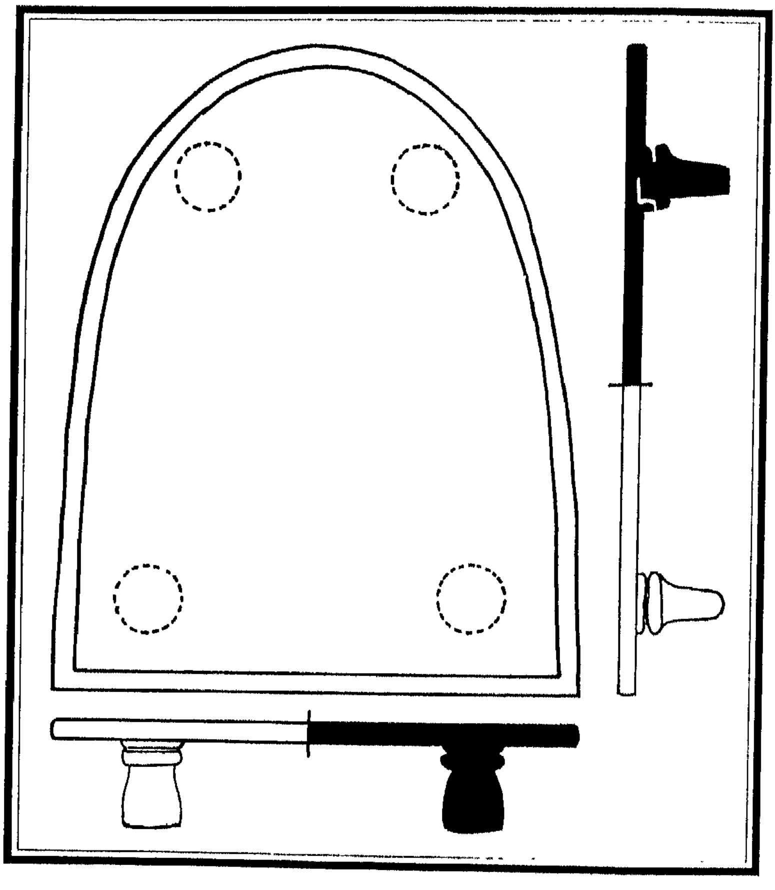
(شكل ١٤١) صور أثاث مقبرة خشبى.

وكانت الموائد تصنع دوامًا من الحجر ، وكانت على نوعين ، أكثرهما شيوعًا له سطح مستدير وقاعدة على شكل قائم فى الوسط (شكل ١٤٢) .



(شكل ١٤٢) طراز الموائد المنخفضة ذات السطح المستدير.

بينما النوع الآخر له أربعة أرجل وسطح على شكل الدرع (شكل ١٤٣) والنوعان كانا يصنعان من المرمر أو الشيست ، وكانا عادة منخفضين يبلغ ارتفاع الواحد منهما نحو ٩ بوصات فقط من مستوى الأرضية ، وهى صغيرة الحجم ، فيما عدا القليل النادر ، وإذا ما استخدمت للطعام كانت بكل وضوح تكفى وجبة شخص واحد ، ويمكننا على ذلك أن نستنتج أن كل مصرى فى العصر العتيق كانت له مائدته الخاصة عندما يشتركون فى الولائم وقد شاع أيضًا استعمال قواعد مرتفعة من الحجر ، كان يوضع فوقها سطح المائدة العلوى المستدير ، حتى أن وضع القرفصاء عند تناول الطعام لم يكن قطعًا القاعدة التى لاتتغير (شكل ١٤٤) ومما يؤيد ذلك فى الأسرة الثانية الصور التوضيحية النادرة التى تبينها بعض اللوحات التى اكتشفها حديثاً زكى سعد بحلوان .



(شكل ١٤٣) طراز المائدة المنخفضة ذات السطح الشبيهة بالدرع.

الطعام والشراب

نحن نعرف الكثير عن طعام المصريين فى العصر العتيق وشرابهم ، حيث قد جرت العادة أن يتركوا وجبة أكل بجوار الميت فى مقابرهم ، ففى قبر سيدة من الطبقة الأقل ثراء بسقارة من الأسرة الثانية شاء الحظ أن نعثر على وجبة كاملة ، فى حالة حفظ كاملة بجوار تابوتها (لوحة ٢٩) ، وقد بلغت من جودة الحفظ أن تمكنا من التعرف بسهولة على ما كان موجودًا فى كل طبق ، ولايعوزنا إلا إدراك الترتيب الذى كان يتبع فى تناولها ، وكان بعض الطعام يقدم فى أوعية فخارية خشنة ، وبعضها فى صحون جميلة وطاسات من المرمر والديوريت ، ويشير ذلك إلى أنواع الطعام التى كانت تؤكل ساخنة حيث أنه من الطبيعى أن الإناء الحجرى لم يكن بذى فائدة فى تسخين الطعام ، وكانت قائمة هذه الوجبة المتقنة كما يلى :

١ ـ نوع من العصيدة من دقيق الشعير .

٢ ـ سمان مطهى ، نظيف ووضعت رأسه تحت جناحه .

٣ ـ كليتان مطهيتان .

٤ ـ طاجن حمام .

٥ ـ سمكة مطبوخة نظفت وقدمت بعد إزالة رأسها .

٦ ـ أضلاع من اللحم البقرى .

٧ ـ أرغفة صغيرة مثلثة من القمح .

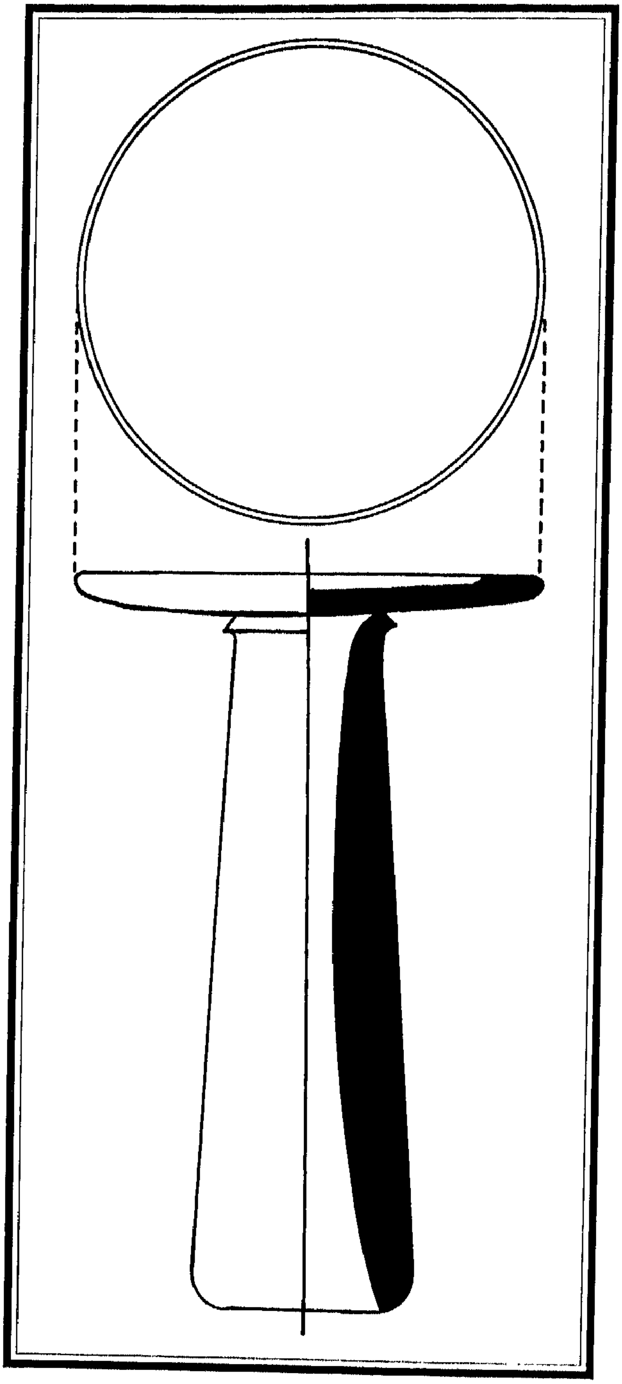
٨ ـ كعك صغير مستدير .

٩ ـ فاكهة مطبوخة ، يحتمل أنها تين .

١٠ ـ فاكهة نبق طازجة من شجرة السدر ويشبه الكرز .

وكانت هناك مع هذه الوجبة أوان صغيرة تحتوى على نوع من الجبن ، كما كانت هناك أوان فخارية كبيرة للنبيذ وربما كانت للعجة ، وندرك من الصور التى توجد على لوحات من الأسرة الثانية أن الأوز كان أيضًا يؤكل .

والمفروض أن هذه الوليمة الفخمة كانت فوق مستوى عامة الشعب ، ولكنها مع ذلك تدلنا على نوع الطعام الذى كان يؤكل فى ذلك العهد العتيق منذ أكثر من ٥٠٠٠ سنة .



(شكل ١٤٤) المائدة ذات الحامل العادى.

أما عن المشروبات الروحية فلدينا دلائل مؤكدة عن وجود نبيذ العنب ومن المحتمل كما كان عليه الحال فى العصور التالية أنهم كانوا يصنعون أيضًا النبيذ من البلح ، أما العجة فكانت تصنع من الشعير .

ولتمليح الطعام كان الملح يوجد بكثرة دائما فى مصر ، ولتحليته ربما استعملوا عسل النحل ، لأنه لاشك فى أن سكر القصب لم يكن معروفًا حتى العصور الحديثة نسبيًا .

الأزياء والأدهنة

إن طرز الملابس ولاشك تغيرت خلال الأربعمائة سنة تقريباً ، وهى مدة العصر العتيق ، وإن كانت التغييرات الأساسية فى هذا المجال تبدو قليلة ، فإن مظهر النبيل من الأسرة الأولى ولاشك ما كان يثير انتقاداً كثيراً فى عصر بناة الأهرام (شكل ١٤٥) .

وفى الحقيقة أن كل الأزياء تقريبًا التى استحدثت فى العصور التالية كان الرجال والنساء يلبسونها فى الأسرتين الأولى والثانية ، فالرداء الملكى كان بالطبع أكثر فخامة ، ولكنه كان يختلف عن غيره فيما كان يلحق به من شعارات كغطاء الرأس وذيل الثور الذى كان يتصل بالحزام من الخلف ، بينما كان إزار الملك وقميصه مشابهين لما يلبسه رعاياه .

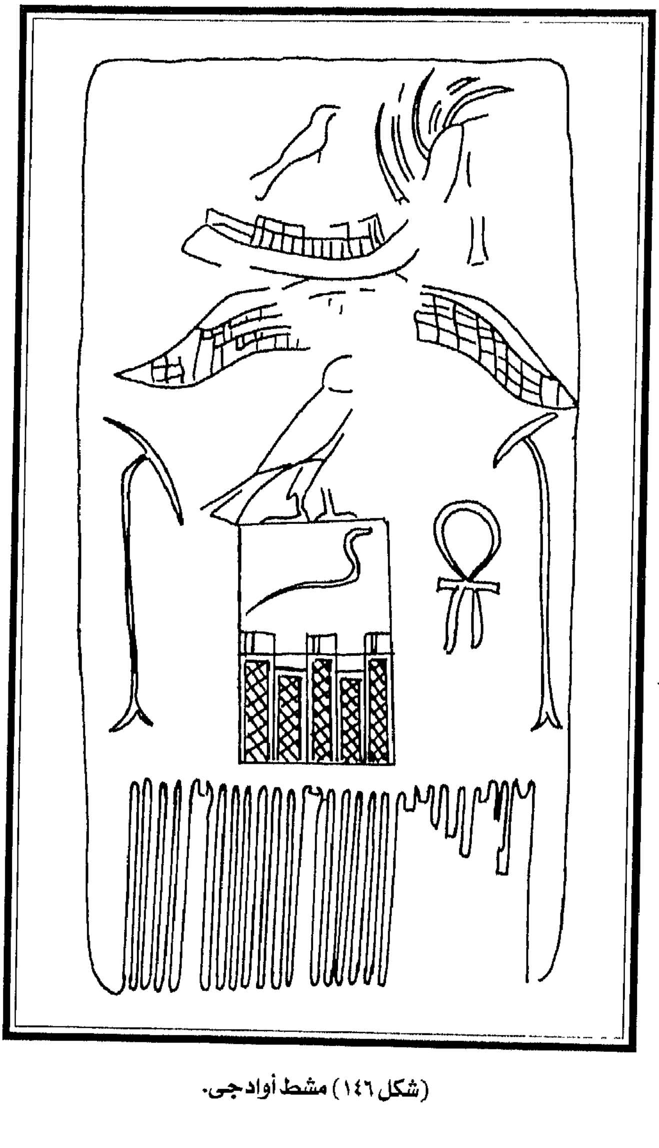
والصندل المصنوع من الجلد هو النوع الوحيد من الملابس التى لدينا منها نماذج واقعية ، وهذه النماذج تؤكد إلى حد بعيد دقة تصويره على الآثار كلوحة نعرمر (شكل ١٣٨) .



(شكل ١٤٥) نماذج من ملابس الرجال على لوحة نعرمر.

ولايمكننا التأكد من أنهم لبسوا الشعر المستعار على نحو ما فعلوا فى العصور التالية ، وإن كان ذلك يبدو محتملاً من الأدلة المحدودة المصورة ، وكانت النساء تحتفظن بشعورهن طويلة ، وقد عثرنا على أمشاط من الخشب والعاج ، وربما من أجملها ذلك المشط الذى يحمل اسم الملك أوادجى (الثعبان) (شكل ١٤٦) ، وكان كحل العيون الأخضر اللون يصنع من الملخيت ، والكحل الرمادى الداكن من الغلينة (كبريتور الرصاص) وكان الاثنان يخلطان على لوحات مستطيلة من الأردواز ، وكانوا يلجئون إلى زينة الوجه باستعمال مسحوق أحمر من الحماتيت .

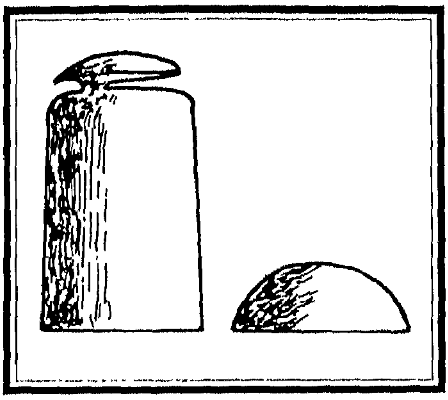
هذا وكانت المراود الرقيقة من العاج والخشب أداة لاستعمال الأدهنة ، بينما كانت الأوعية الصغيرة من المرمر والرخام والشيست والبللور تستخدم لحفظ الأدهنة والعطور الأخرى .



(شكل ١٤٦) مشط أوادجى.

وسائل التسلية

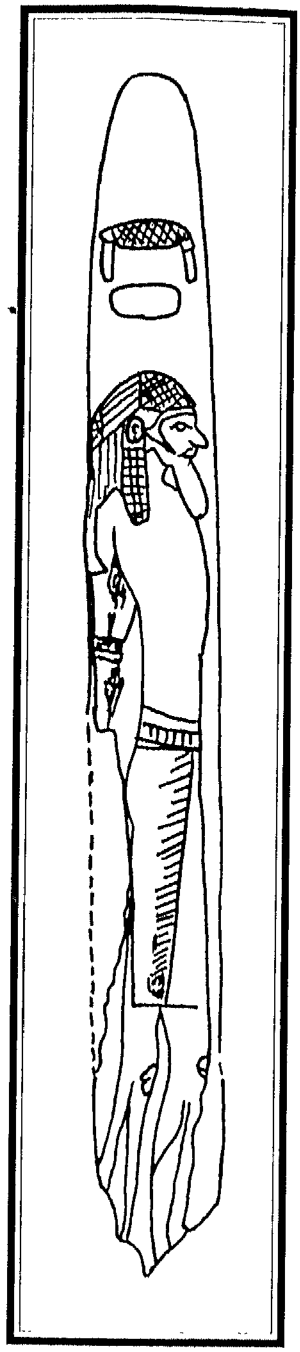
كانت اللعبة المفضلة للتسلية داخل المنزل أحد أنواع الشطرنج ، ولكن رغم عثورنا على مجموعات كاملة لقطع اللعب واللوحة التى كانت توضع عليها ، فلازلنا نجهل القواعد الحقيقية للعب بها ، وكانت هناك ولاشك طرق مختلفة لهذه اللعبة ، فقد وجدنا لوحات عليها ثلاثة صفوف أو صفان من المربعات (لوحة ٤٨) وتختلف المجموعة الكاملة للبيادق فى العدد ، فبعضها يتكون من ١٤ قطعة ، ٧ فى كل جانب ، والبعض الآخر يتكون من ٢٦ قطعة يأخذ كل لاعب ١٣ منها ، وكانت البيادق تصنع من العاج أو الخشب ، وهى من تصميمين : نصف كرة للقطع الخاصة بجانب ، وأسطوانة مسلوبة تنتهى بقمة على شكل قرص للجانب الآخر (شكل ١٤٧) .



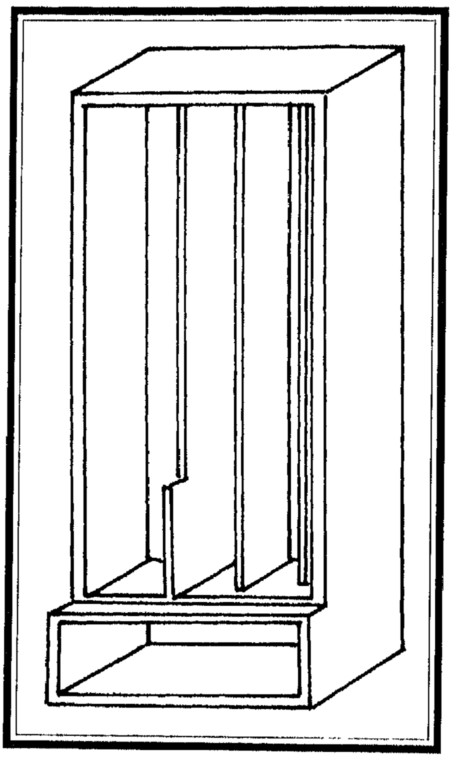
(شكل ١٤٧) أنواع قطع اللعب.

ووجود عصى النرد مع هذه المجموعات يوحى بأن اللعبة لم تعتمد كلية على المهارة ، إذ يبدو من المحتمل أن تحركات البيادق كانت تخضع للنجاح أو الفشل فى رمى العصى التى كانت تقوم مقام النرد فى العصور المتأخرة (شكل ١٤٨) وكانت مجموعات قطع اللعب تحفظ فى صناديق ملائمة لها (شكل ١٤٩) .

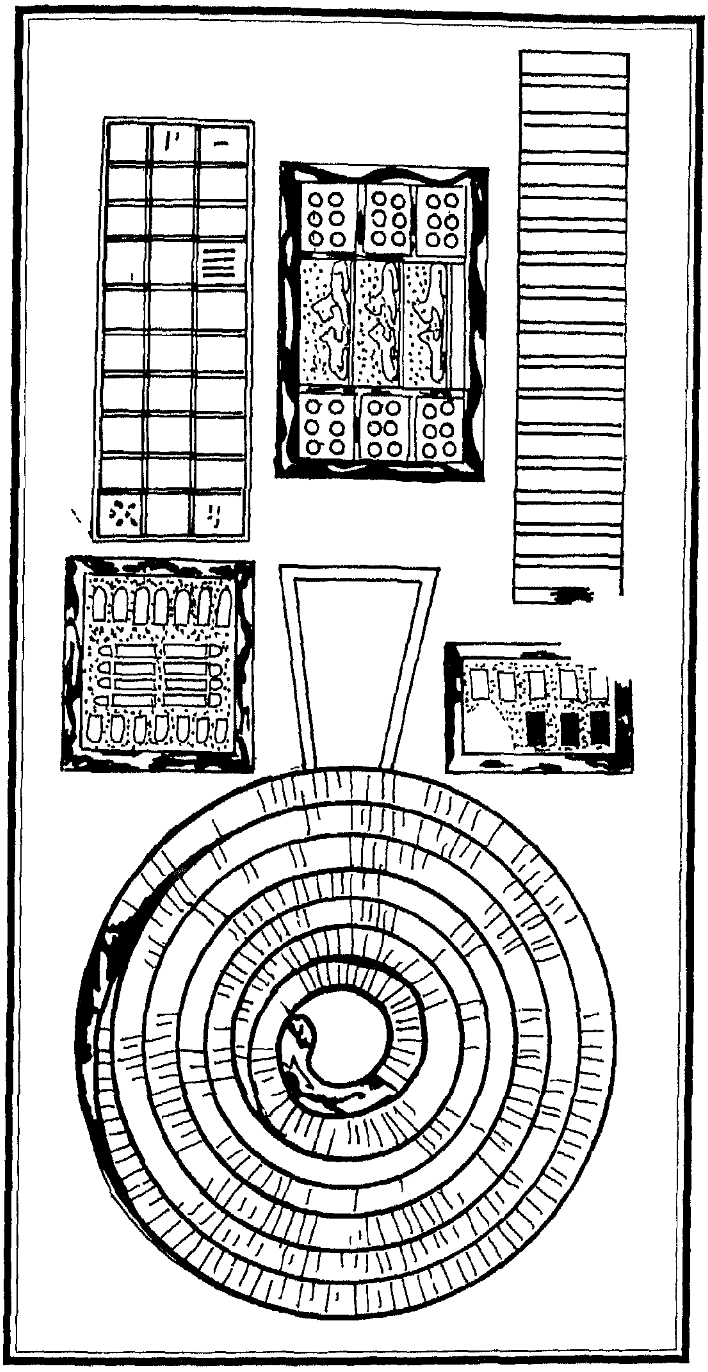
وكانت هناك لعبة أخرى ذات تحركات ربما كانت تخضع لرمى عصى النرد ، تلعب على منضدة مستديرة ، عليها صورة ثعبان ملفوف رسمت على جسمه علامات الأماكن ، وكانت هذه اللعبة تتطلب ٦ قطع ، ٣ منها لكل جانب وتمثل حيوانات رابضة كانت فى العادة ٣ أسود و٣ لبؤات من العاج أو الخشب (شكل ١٥٠) وغالبا ما عثر بجانب مجموعات اللعب سواء من نوع الشطرنج أو الثعبان على كرات صغيرة من الحجر يبدو أنها استعملت كوسيلة للعد .



(شكل ١٤٨) عصا الزهر لقاعا.



(شكل ١٤٩) صندوق قطع اللعب.



(شكل ١٥٠) أطقم اللعب كما رسمت فى مقبرة حسى.

وقد عثر فى سقارة على أحد بقايا الصوانى الخشبية ، بها مجموعة من الأقراص[1] الحجرية والنحاسية والخشبية والقرنية والعاجية ، زخرف كثير منها بدقة ، ومع أنه لايمكننا التأكد بصفة قاطعة ، إلا أنه قد يكون من المحتمل أن هذه القطع أيضًا تشكل جزءاً من لعبة هذه الأقراص التى يبلغ قطرها نحو ٤ بوصات ، لها ثقب فى الوسط كان به عصًا صغيرة مدببة ، طولها نحو ٦ بوصات ، وقد اتضح لنا بالتجربة العملية أننا إذا أدرنا هذه العصا بين أصابعنا بسرعة فإن القرص يدور كما تدور النحلة لمدة طويلة ، وللأسف فإن الصينية الخشبية التى كانت تحوى هذه الأقراص كانت مكسورة حتى أنه لم يبق هناك أى أثر للعلامات التى كانت عليها ، ولكن ربما استطعنا أن نتخيل لعبة كانت النحلة الدوارة فيها تستقر فى مكان ما محددة بذلك الرمية الصائبة .

ولم نعثر فى المخلفات الضئيلة التى تركت لنا بعد ٥٠٠٠ سنة على أية آثار يمكن أن نجد من بينها أدوات موسيقية ، ولكن مما لاشك فيه أن هذه الأدوات كانت موجودة ، فرقص النساء على وقع تصفيق بالأيدى يظهر بوضوح على رأس دبوس قتال الملك العقرب (شكل ٣) .

أما عن الرياضة الخلوية فقد ركز المصرى فى العصر العتيق ألعابه على صيد الحيوانات البرية كالأسد وفرس النهر والخنزير البرى والغزال .

وكانت أسلحة القنص تتمثل فى الحربة والبلطة وعصا القتال وعصا الرمى والقوس والسهم وحبل الصيد ، وبالرغم من عدم وجود صور توضيحية لدينا إلا أننا نكاد نكون متأكدين أن المصرى فى ذلك العصر تمتع برياضة صيد الطيور والسمك فى المستنقعات على نحو ما فعل خلفه فى عصر بناة الأهرام .

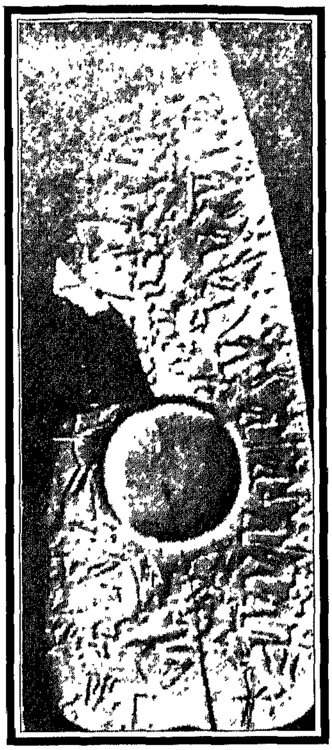
---

(١) مثل أقراص الطاولة الحديثة (النرد) .

اللوحات



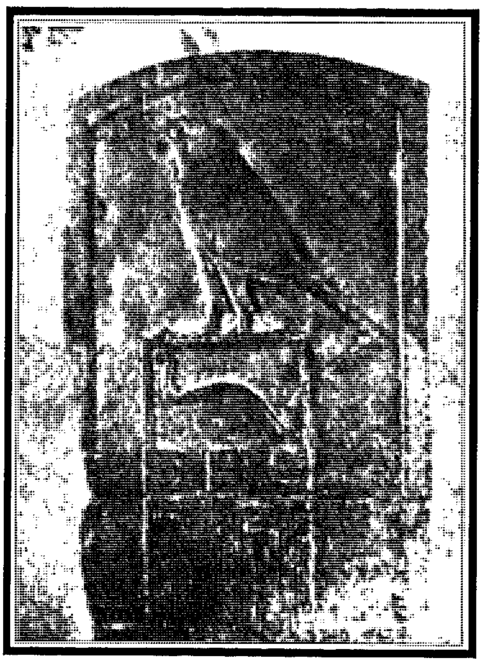
١ (أ) المقبض العاجى المنحوت لسكين جبل العرق.



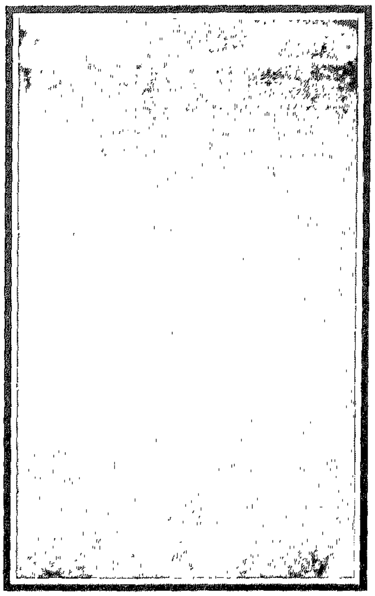
١ (ب) لوحة الصيادين.



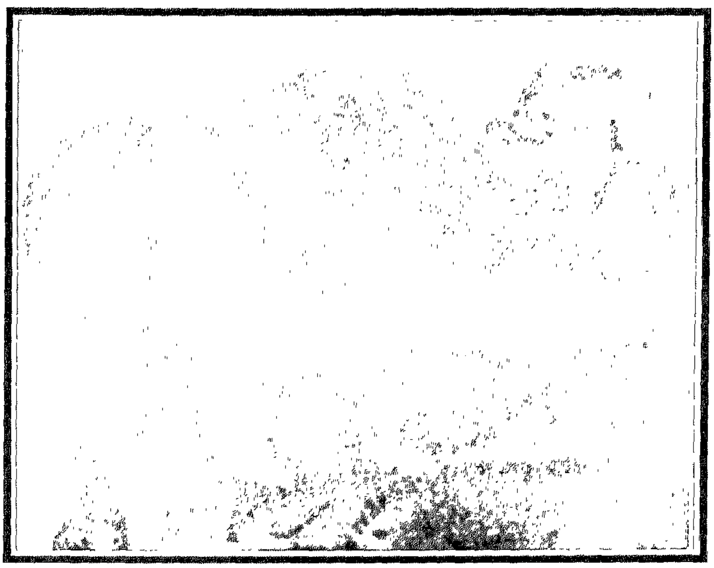
٢ (أ) رأس صولجان الملك العقرب.



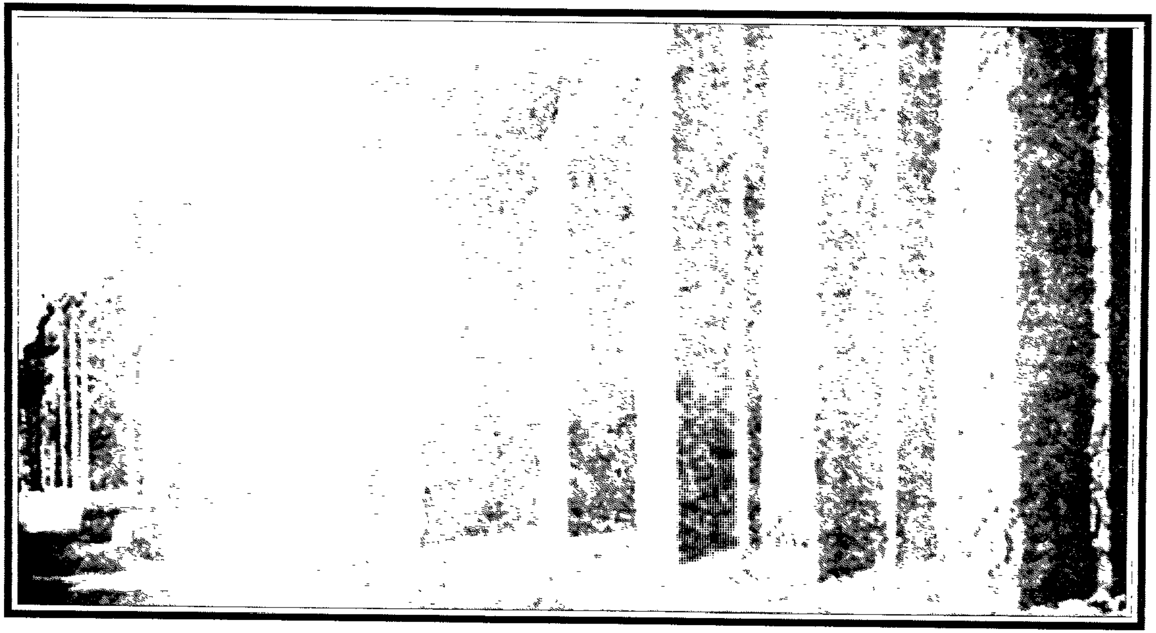
٢ (ب) لوحة الملك أوادجى «الثعبان» الجنائزية.



٣ (أ) لوحة نعرمر.



٣ (ب) جزء من لوحة الثور.



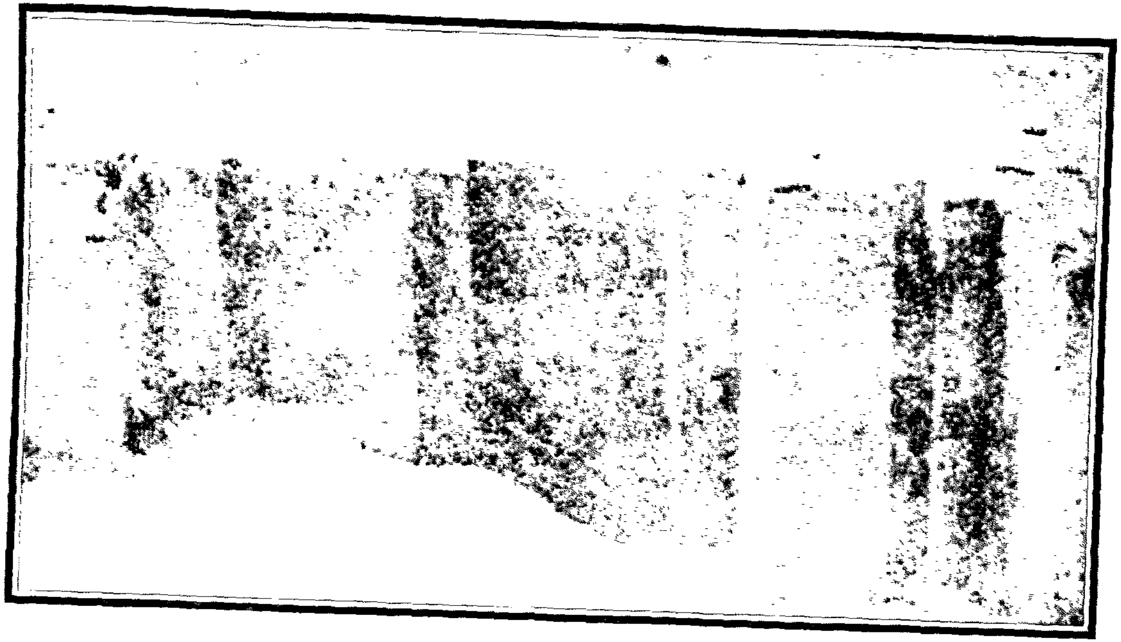
٤ - الواجهة الشرقية لقبر الملكة حرنيت بسقارة.



٥ - الواجهة الغربية لقبر الملكة مريت نيت بسقارة.



٦ - الواجهة الشرقية للمقبرة ٣٥٠٦ بسقارة.



٧ - زخرفة ملونة على واجهة قبر قاعا بسقارة.



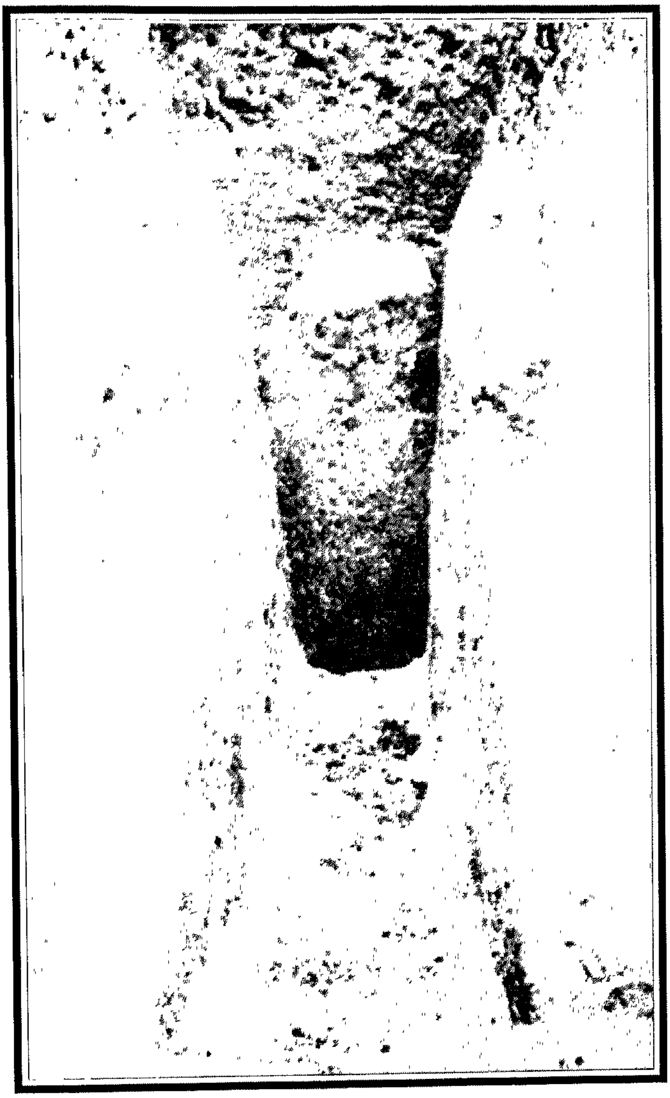
٨ - جزء من مصطبة رءوس العجول بالواجهة الشرقية لقبر أوادجي بسقارة.



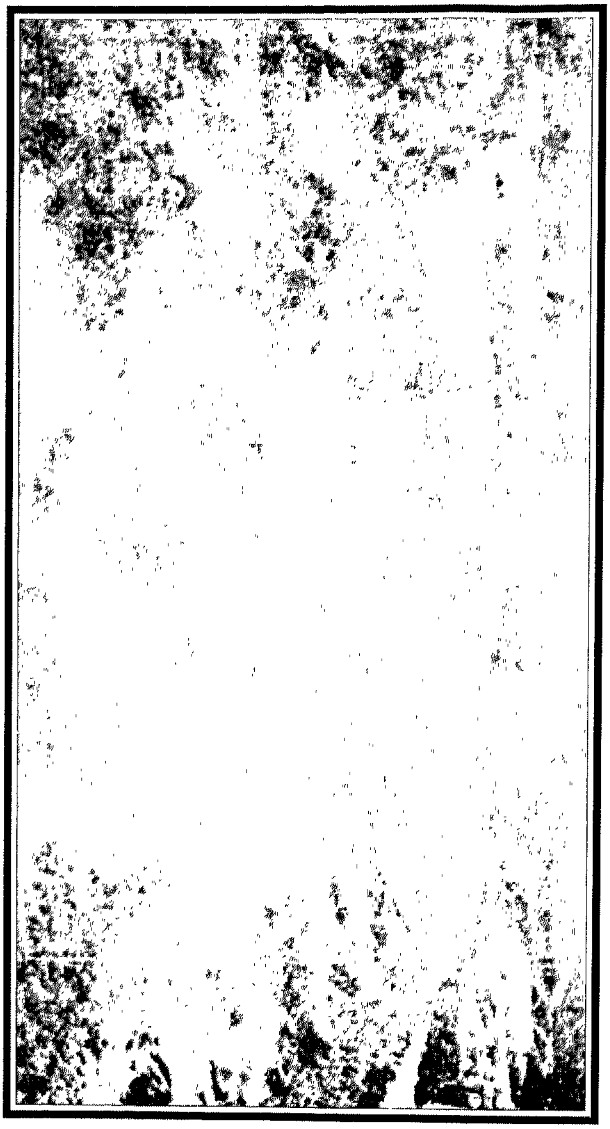
٩ - منظر مصطبة رءوس العجول من أعلى.



١٠ - مدخل مدرج لقبر نموذجي من الأسرة الثانية بسقارة.



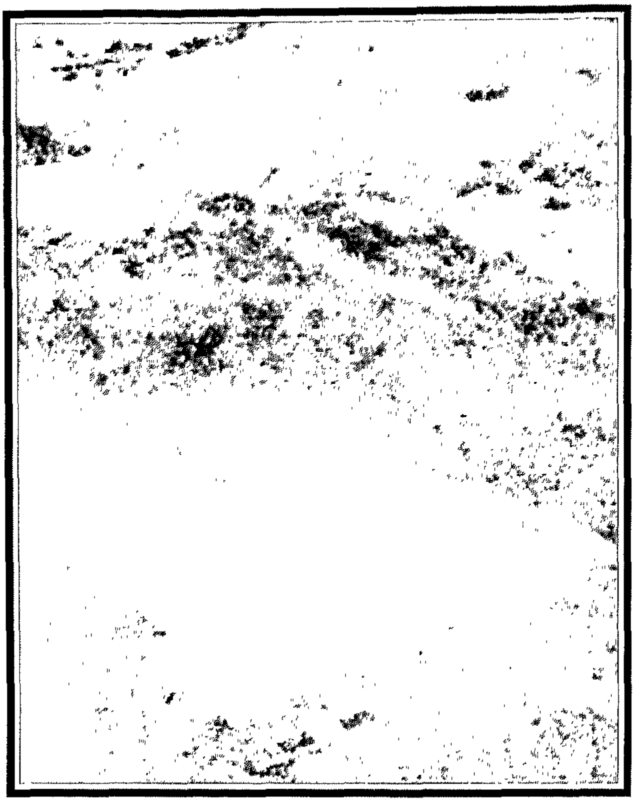
١١ - سدادة حجرية أمام حجرة الدفن لقبر من الأسرة الثانية بسقارة.



١٢ - تنظيف حشو المبنى العلوى لقبر من الأسرة الثانية به مجموعات مبعثرة من الأوانى.



١٣ - داخل المبنى العلوى بعد الحفر وبعض الأوانى المكتشفة فيه.



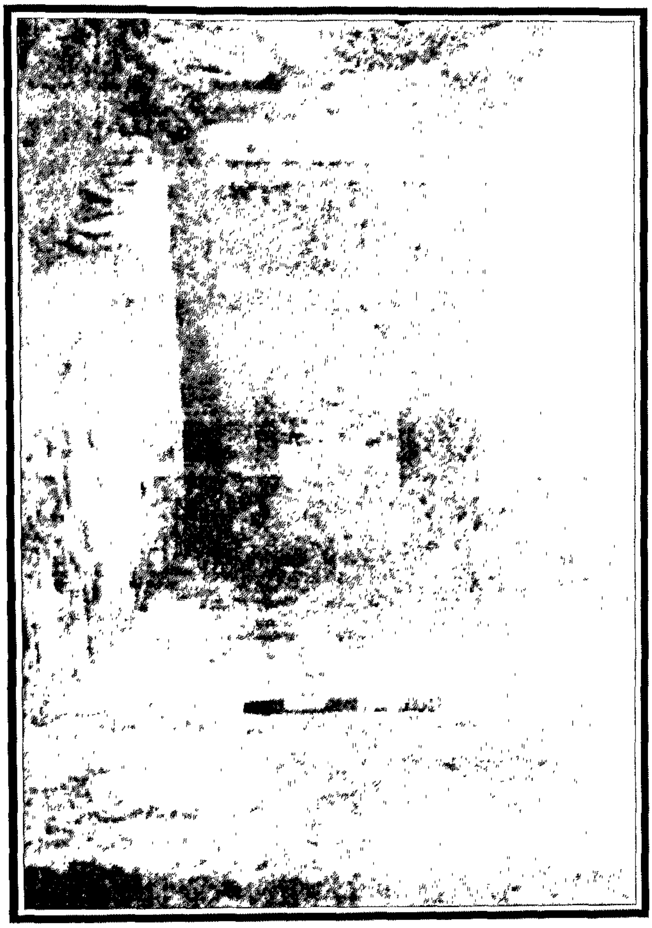
١٤ - جزء من أرضية المعبد الجنائزى للملك قاعا بسقارة.



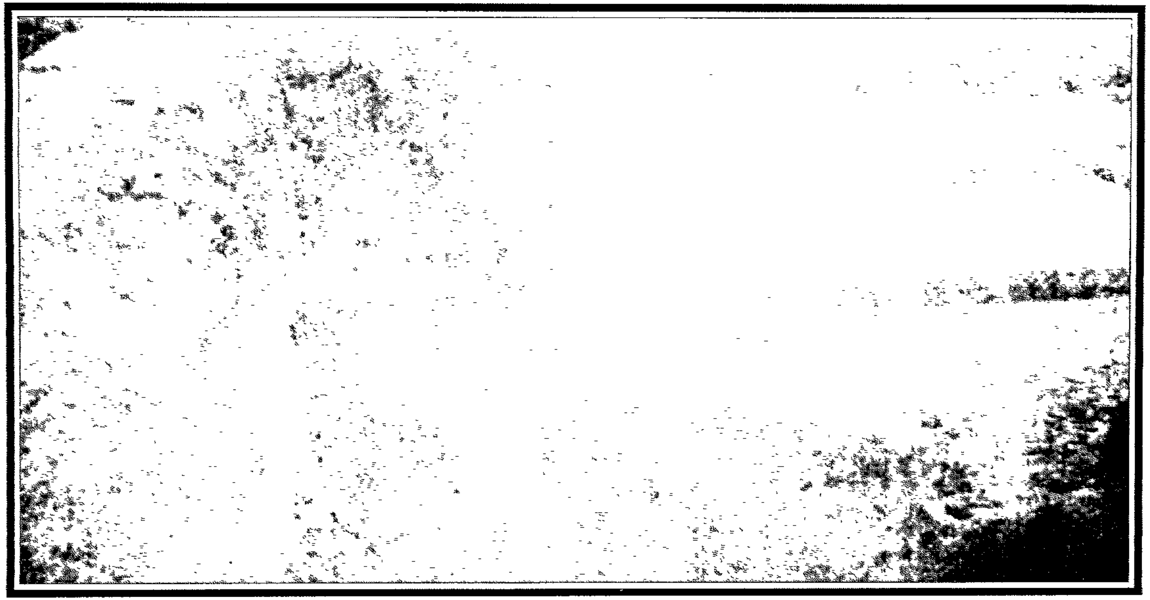
١٣ - السقف الخشبى للمدخل المدرج للمقبرة ٢٥٠٦ بسقارة.



١٦ - سدادة أمام مدخل غرفة الدفن بالمقبرة ٣٥٠٦ بسقارة.



١٧ - الدرج والباب المبنى بالحجر بالمقبرة ٣٥٠٦ بسقارة.



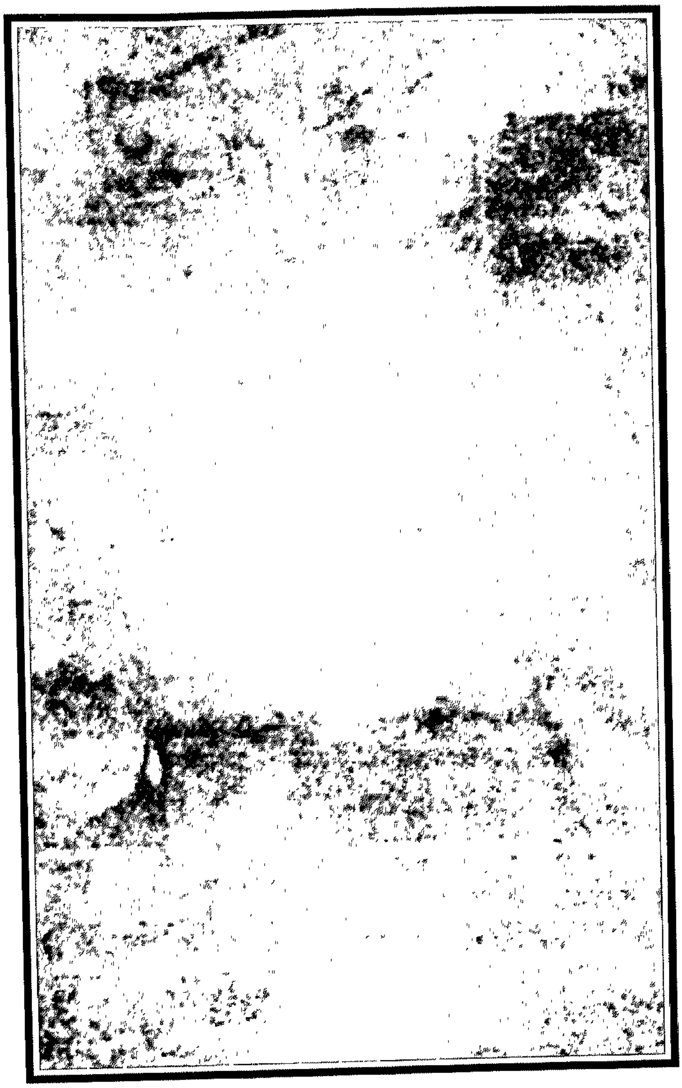
١٨ - حفرة مركب لقبر من الأسرة الأولى أسفل قبر آخر من الأسرة الثالثة بسقارة.



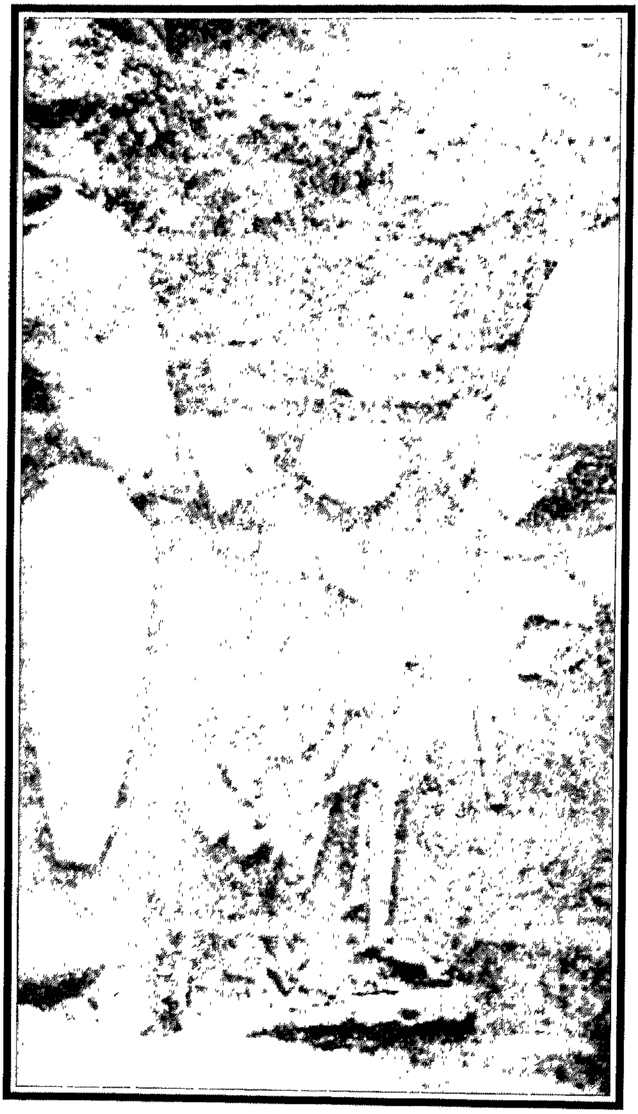
١٩ - نموذج ضيعة الملك حورعحا بسقارة.



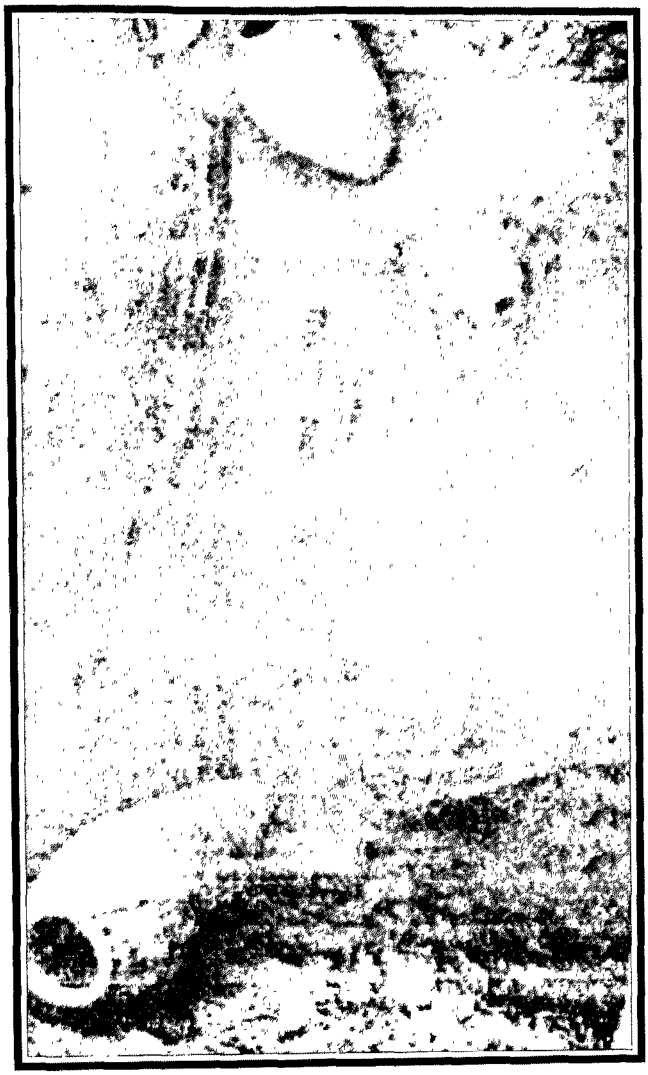
٢٠ - جرار الخمر المخزونة بالحجرات العلوية لقبر من الأسرة الأولى بسقارة.



٢١ - أرضية خشبية لحجرة الدفن بقبر من الأسرة الأولى بسقارة .



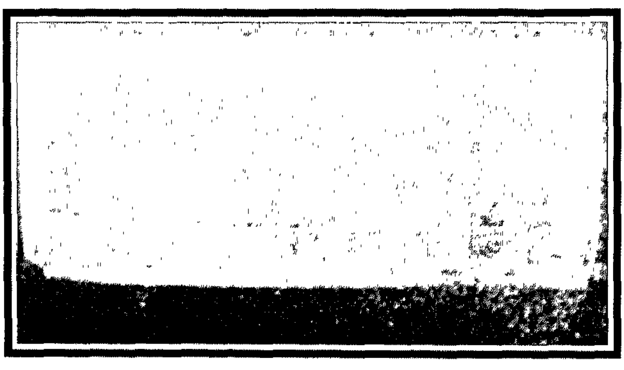
٢٢ - دفنة جانبية من أوائل الأسرة الأولى.



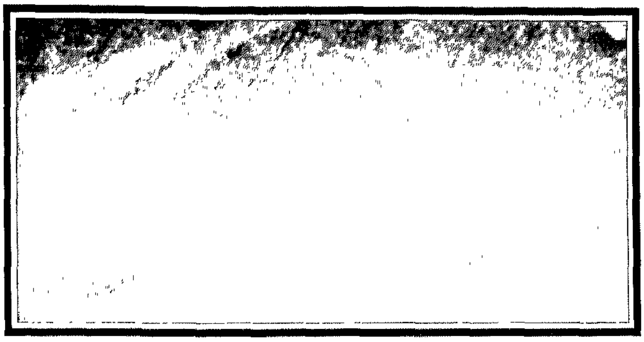
٢٣ - دفنة جانبية من أوائل الأسرة الأولى بها هيكل قزم.



٢٤- (أ) تابوت خشبى لدفنة قرفصاء من الأسرة الثانية.



٢٤ - (ب) تابوت خشبى لدفنة ممددة من الأسرة الثانية.



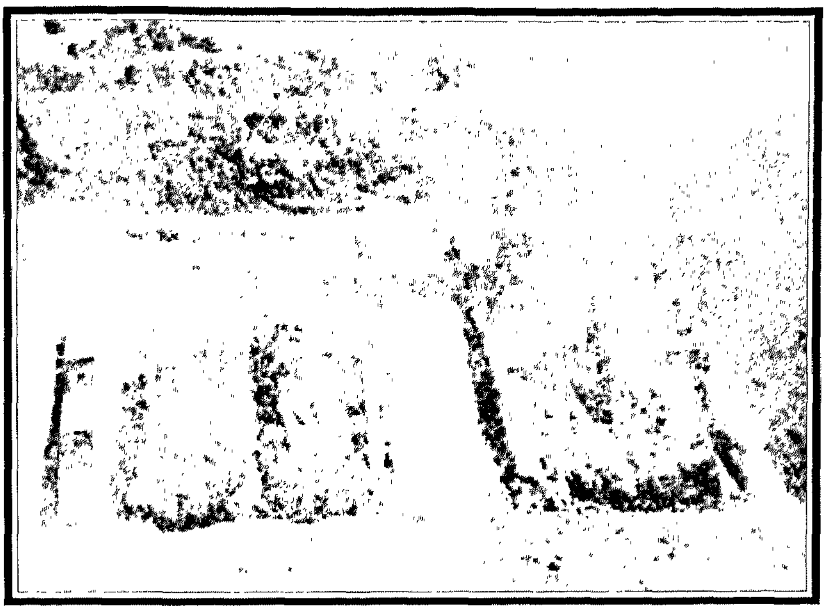
٢٥ - (أ) مومياء بغير تابوت من الأسرة الثانية.



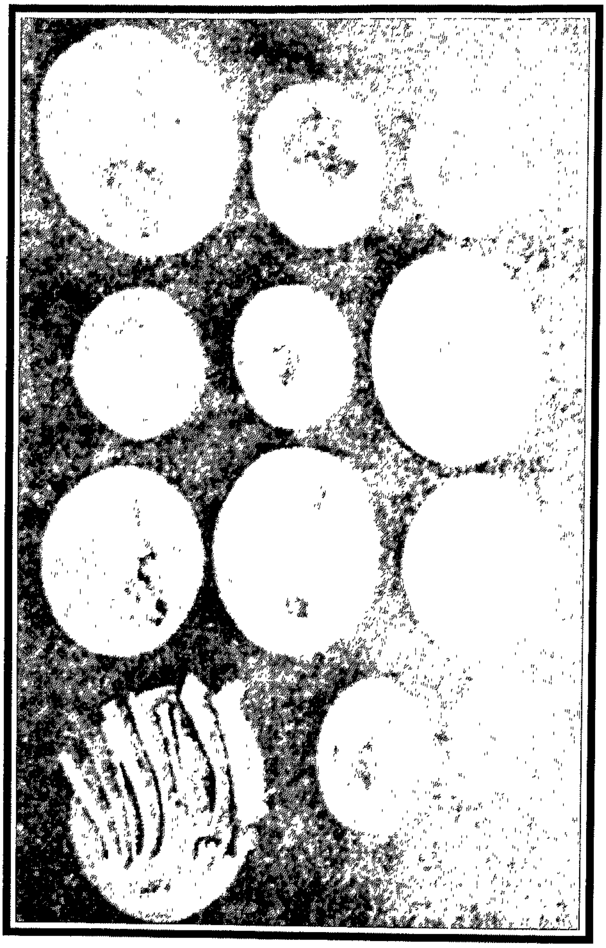
٢٥ - (ب) .تابوت فى فجوة للدفن من الأسرة الثانية.



٢٦ - دفنة كلب عند مدخل قبر الملكة حرنيت بسقارة.



٢٧ - بقايا تمثالين خشبيين بالمعبد الجنائزى للملك قاعا بسقارة.



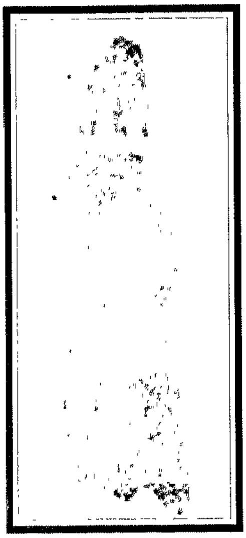
٢٨ - وليمة جنائزية فى صحاف من الحجر والفخار.



٢٩ - وليمة جنائزية كما عثر عليها بقبر سليم من الأسرة الثانية بسقارة.



٣٠ - (أ) لوحة النبيل مركا بقبر قاعا بسقارة.





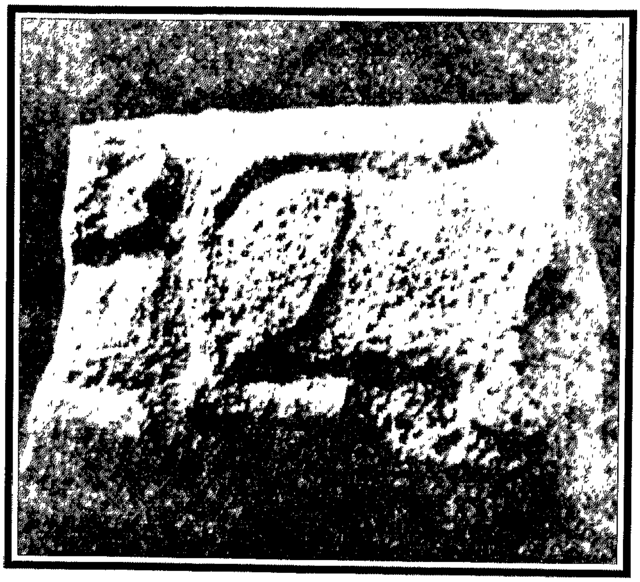
٣٠ - (ب) تمثال صغير من العاج من أبيدوس.



٣١ - تمثال إردواز للملك خع سخم من هيرا كونبوليس.



٣٢ - (أ) لوحة جنائزية من الأسرة الثانية بسقارة.



٣٢ (ب) جزء من عتب من الحجر الجيرى عليه نقش أسد من حجرة الدفن بقبر الملكة حرنيت بسقارة.



٢٣ - (أ) قدر فخار من بلاد أجنبية يرجع لأواخر الأسرة الأولى.



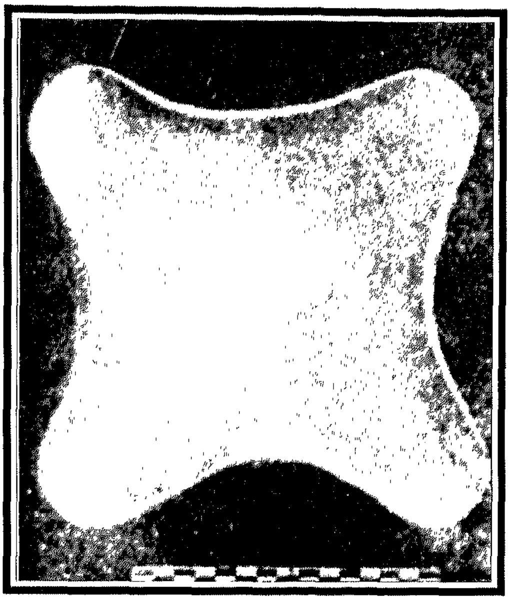
٢٣ - (ب) كأس صغيرة من المرمر بزخارف زهور من الأسرة الثانية.



٢٤ (أ) إناء فخار اجنبى يرجع لأواخر الأسرة الأولى.



٢٤ (ب) إناء فخار أجنبى يرجع لمنتصف الأسرة الأولى.



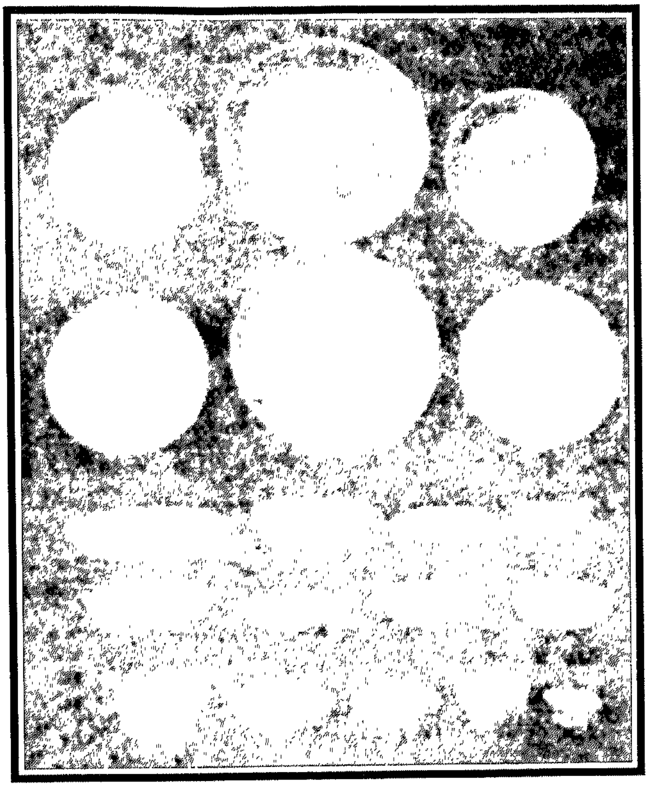
٣٥ - (أ) صحن من الحجر الجيرى الأصفر من الأسرة الأولى بسقارة.



٣٥ - (ب)صحن من المرمر من الأسرة الثانية بسقارة.



٣٦ - أوان مرمرية من قبر الملك حورعحا بسقارة.



٣٧ - أوان مرمرية من قبر الملك حورعحا بسقارة.



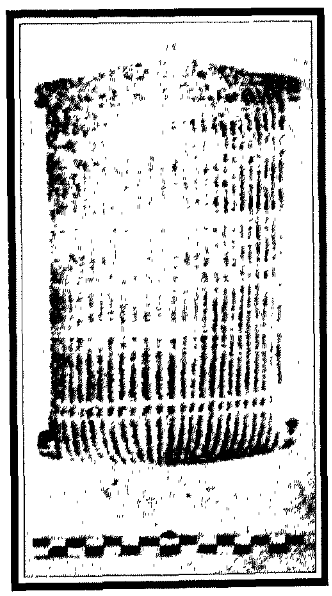
٣٨ - (أ) صحن إردوازى يشبه ورقة الشجر من منتصف الأسرة الأولى.



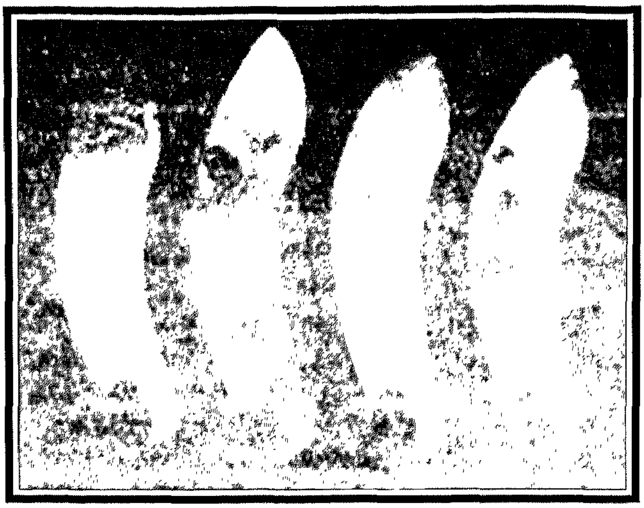
٣٨ - (ب) كأس من الإردواز والحجر الجيرى
الأحمر القرنفلى من قبر الملكة حرنيت بسقارة.



٣٩ - (أ) أجزاء من صحن إردوازى يشبه ورقة الشجر وملعقة من الإردواز يرجعان لمنتصف الأسرة الأولى.



٣٩ - (ب) صحن من الإردواز فى شكل سلة من الخوص من الأسرة الثانية.



٤٠ - (أ) سكاكين من الظران من منتصف الأسرة الأولى.



٤٠ - (ب) منجل من الخشب ثبتت فيه أسنان حادة من الظران يرجع لمنتصف الأسرة الأولى.



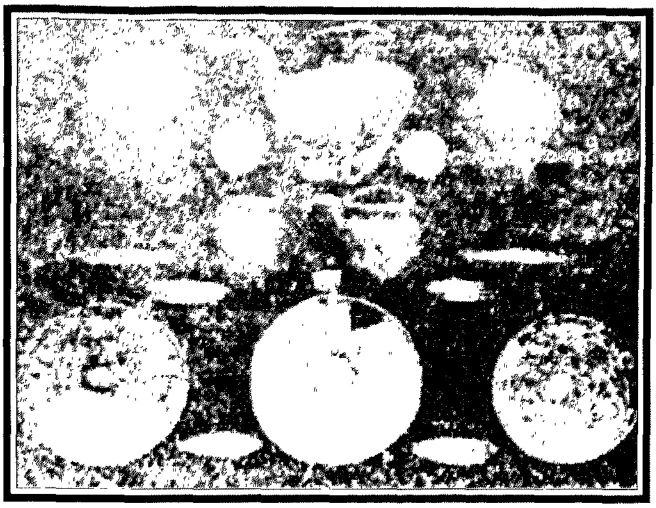
٤١ - أدوات نحاسية وأسلحة وأواني كما عثر عليها بقبر الملك جر بسقارة.



٤٢ - (أ) أزاميل من النحاس ومخارز وإبر من قبر جر بسقارة.



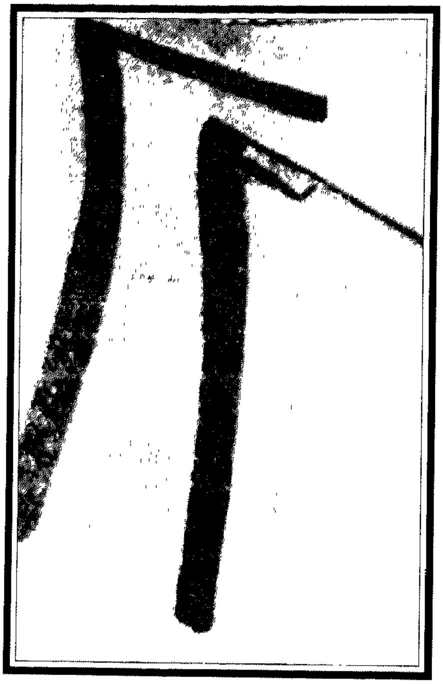
٤٢ - (ب) مقبض فأس خشبي منحوت من الأسرة الأولى.



٤٣ - (أ) أوان نحاسية من قبر جر بسقارة.



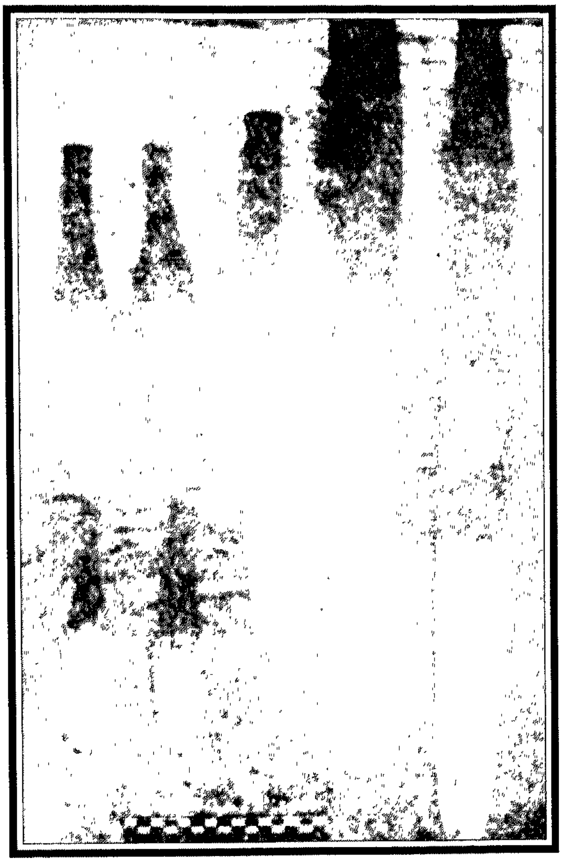
٤٣ - (ب) صحون نحاسية من قبر جر بسقارة.



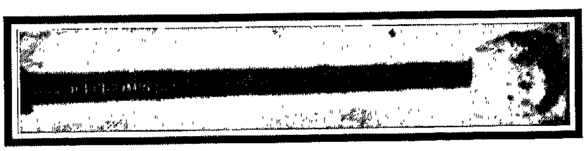
٤٤ - (أ) فتوس بنصل نحاسى ومقبض
خشبى من منتصف الأسرة الأولى.



٤٤ - (ب) قادوم بنصل نحاسى ومقبض
خشبى من منتصف الأسرة الأولى.



٤٥ - (أ) منشار وسكاكين من النحاس من منتصف الأسرة الأولى.



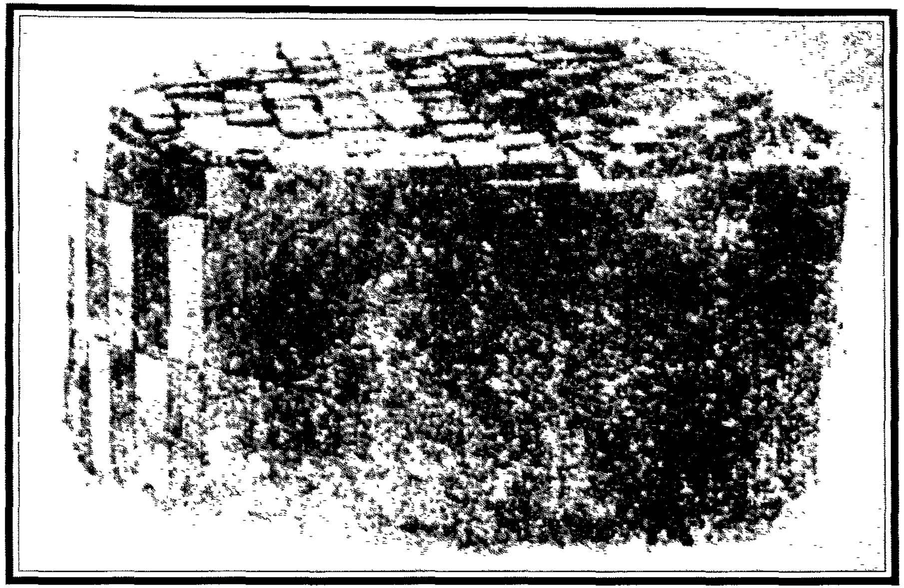
٤٥ - (ب) صولجان مذهب من بلاد النوبة ويرجع للأسرة الأولى.



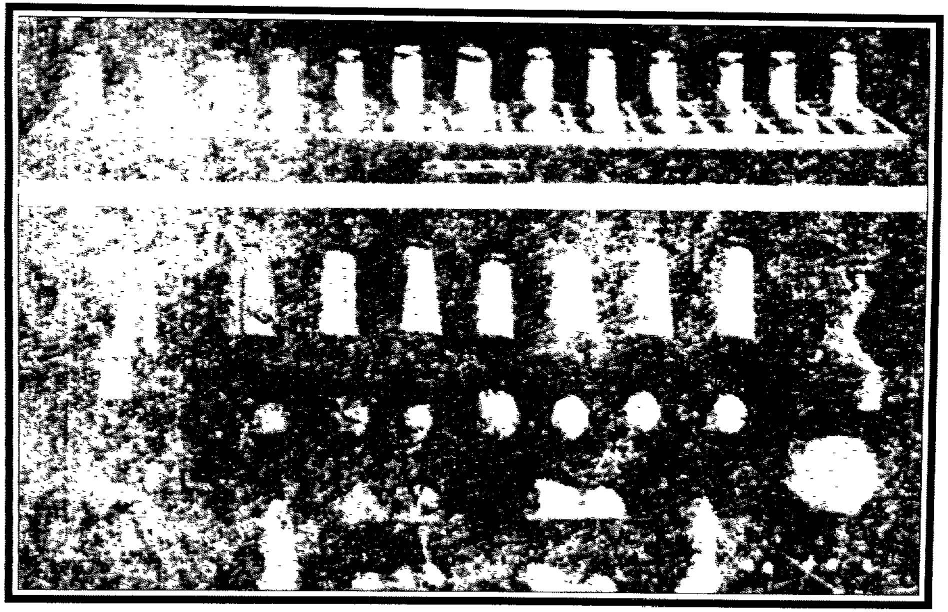
٤٦ - (أ) تمثال أسد من الفخار من الأسرة
الثانية هيراكونبوليس.



٤٦ - (ب) قرص من الأستيانيت الأسود
المطعم بالمرمر من الأسرة الأولى بسقارة.



٤٧ - علبة أسطوانية من الخشب المطعم بالأبنوس من عهد الأسرة الأولى
كانت به لفافة من البردى غير مكتوبة من سقارة.



٤٨ - قطع اللعب العاجية من قبر الملك أوادجى بسقارة.

ملحق

تقرير مانيتون عن الأسرة الأولى والثانية نقلا عن أفريكانوس

الأسرة الأولى

١ ـ فيما بعد أرواح الموتى ، أنصاف الآلهة ، أول بيت ملكى وعدد ملوكه ثمانية ، أولهم مينيس **Menes** من طينة الذى حكم مدة اثنين وستين عامًا ، هاجمه فرس نهر وهلك .

٢ ـ أثوثيس **Athothis** ابنه ، مدة سبعة وخمسين عاما ، بنى القصر فى منف ، مؤلفاته الفلكية لازالت موجودة ، لأنه كان طبيبًا .

٣ ـ كنكينيس **Kenkenes** ابنه مدة واحدة وثلاثين عامًا .

٤ ـ يونيفيس **Uenphes** ابنه ، مدة ثلاثة وعشرين عاما ، خلال حكمه عم بلاد مصر قحط كبير ، شيد هرمًا بالقرب من كوتشيمى **Kochimi** .

٥ ـ يوسا فايدوس **Usaphaidos** ابنه ، مدة عشرين عامًا .

٦ ـ ميبيدوس **Miebidos** ابنه ، مدة ستة وعشرين عاما .

٧ ـ سممبسيس **Semempses** ابنه ، مدة ثمانية عشر عاما ، خلال حكمه حلت بمصر كارثة عظيمة جدًا .

٨ ـ بينيخوس **Bienechos** ابنه ، ستة وعشرون عاما .

مجموع سنى حكمهم ٢٥٣ عاما .

الأسرة الثانية

تشمل الأسرة الثانية تسعة ملوك من طينة .

١ ـ بوثوس **Boethos** ثمانية وثلاثون عاما ، خلال حكمه فُتح شق كبير «زلزال» فى بوبسطة[1] هلك بسببه كثيرون .

٢ ـ كايخوس **Kaichos** مدة تسعة وثلاثين عاما ، خلال حكمه عبدت عجول آبيس كآلهة فى منف وعجول منيفيس **Mnevis** فى هليوبوليس (عين شمس) ، والماعز فى منديس[2] .

٣ ـ بينوثريس **Bienothris** مدة سبعة وأربعين عاما ، خلال حكمه تقرر أن تتولى المرأة الحكم .

٤ ـ تلاس **Tlas** مدة سبع عشرة سنة .

٥ ـ سيثينيس **Sethenés** مدة واحدة وأربعين عاما .

٦ ـ خايريس **Chairés** مدة سبع عشرة سنة .

٧ ـ نفر كيريس **Nephercherès** مدة خمس وعشرين سنة ، خلال حكمه ، كما تقص الرواية ، فاض النيل عسلا لمدة أحد عشر يومًا .

٨ ـ سيزوكريس **Sesochris** مدة ثمانية وأربعين عاما ، كان طوله خمسة أذرع وثلاثة كفوف .

٩ ـ كينيريس ـ مدة ثلاثين عاما .

مجموع سنى حكمهم ٣٠٢ سنة .

ومجموع سنى حكم الأسرتين الأولى والثانية بعد الطوفان ٥٥٥ عاما طبق ما أوردته الطبعة الثانية لأفريكانوس .

---

(١) مدينة أثرية قديمة كانت عاصمة مصر خلال حكم الأسرة الثانية والعشرين ، وموقعها بالقرب من الزقازيق .

(٢) منديس : عاصمة المقاطعة (١٦) فى مصر القديمة ومكانها حاليا تلى الربع وتمى الأمديد مركز السنبلاوين محافظة الدقهلية . (المترجم)

BIBLIOGRAPHY

Amelineau, E. Les Nouvelles Fouilles d'Abydos. Paris, 1896-1902

Baumgartel, E. The Cultures of Prehistoric Egypt. Oxford, 1947

Benedite, G. 'Le Couteau de Gebel el Arak'. Monuments Piot, XXII, 1916.

Borchardt, L. 'Das Grab des Menes'. Zeitschrift fur Aegyptische Sprache, XXXVI, 1938.

Capart, J. Primitive Art in Egypt. London, 1905.

Daressy, G. 'la Pierre de Palerme et la chronologie de l'ancien empire'. Bulletin de I'Institut Francais, XII, 1916.

Derry, D.E. The Dynastic Race in Egypt'. Journal of Egyptian Archaeology 42, 1956.

Drioton, E. and Vandier, J. Les Peuples de l'orient mediterraneen. Paris, 1938.

Emery, W.B. The Tomb of Hemaka. Cairo, 1938.

Hor-aha Cairo, 1939.

'A Cylinder Seal of the Uruk Period'. Annales du Service des Antiquites de l'Egypte, XLV, 1947.

Great Tombs of the First Dynasty, I. Cairo, 1949.

Great Tombs of the First Dynasty, II. London, 1954.

Great Tombs of the First Dynasty, III. London, 1958.

Engelbach, R. 'An essay on the advent of the Dynastic Race'. Annales du Service des Antiquites de l'Egypte, XLII, 1943.

Frankfort, H. Studies in Early Pottery of the Near East. London, 1924.

' The origin of Monumental Architecture in Egypt'. American Journal of Semitic Languages, LVIII, 1941.

The Birth of Civilisation in the Near East. London, 1951.
Gauthier, H. 'Quatre Nouveaux Fragments de la pierra de Palerme'. Le Musee egyptien, III. 2 fasc. 1915.
Glanville, S.R.K. 'An Archaide Statuette from Abydos'. Journal of Egyptian Archaeology, XVLL, 1931.
Grdseloff, B. 'Notes d'epigraphie archaique'. Annales du Service des Antiquites de l'Egypte, XLIV, 1944.
Hall, H.R. The Ancient History of the Near East. London, 1920.
Hayes, .C. The Scepter of Egypt, New York, 1953.
Junker, H. Turah. Vienna, 1913.
Kantor, H. J. 'Further evidence of Early Mesopotamian relations with Egypt'. Journal of Near Eastern Studies, XI, Chicago, 1952.
Legge, G.F. 'The Tablets of Nagadeh and Abydos'. Proceedings of the Society of Biblical Archaeology, XXVIII, 1906, XXIX, 1907
'The Titles of the Thinkite Kings'. Proceedings of the Society of Biblical Archaeology, XXX, 1908.
Mace, A. C. The Early Dynastic Cemeteries of Naga-ed-Der. Part II. Leipzig, 1909.
Macramallah, R. Un Cimetiere archaique de la classe moyenne. Cairo, 1940.
Massoluard, E. Prehistorie et protohistoire d'Egypt. Paris, 1949.
Morgan, J. De. Recherches sur les origines de l'Egypt, Paris, 1896-7.
Murrav, G.W. 'Early Camels in Egypt.' Extrait du Bulletin de l'Institut Fouad ler du Desert, tome II. Cairo, 1952.
Needler, W. 'A Flint Knife of King Djer.' Journal of Egyptian Archaeology, 42, 1956.
Newberry, P.E. 'Menes, the founder of the Egyptian monarchy'. Great Ones of Ancient Egypt. London, 1929.

'The Wooden and Ivory Labels of the First Dynasty'. Proceedings of the Society of Biblical Archaeology XXXIV, 1912
'The Set Eebelion of the Second Dynasty'. Ancient Egypt (1922), pp. 40 ff.
Newberry, P.E. and Wainwright, G. 'Udimu and the Palermo Stone', Ancient Egypt (1914).
Peet, T.E. 'Antiquity of Egyptian Givilisation'. Journal of Egyptian Archaeology, VIII.
Petrie, E. M. Flinders. Abydos. London, 1902-4
Coptos. Lonon, 1896.
Diosopolis Parva. London, 1901.
A History of Egypt, vol. I. London, 1923.
Naqada and Ballas. London, 1896.
'New poritons of the Annals'. Ancient Egypt, 1916.
Prehistoric Egypt. Lonon, 1920
Prehistoric Egypt Corpus. Lonon, 1921.
The Royal Tombs of the First Dynasty. London, 1900-1
Tarkhan. London, 1914
Tombs of the Courtiers and Oxyrhynkhos. London, 1925
Petrie, W. M F. and Wainwrigh, G. Tarkhan I and Memphis V. London, 1913.
Quibell, J. E. Archaic Objects. Cairo, 1904-5
Archaic Mastabas. Cairo, 1923
El Kab, London, 1898
Hirakonpolis. London, 1900-2
Read, M.F.W. 'Nouvelles Remarques sur la pierre de Plaerma'. Bulletin de l'Institut Francais, XII, 1916.
Reisner, G. The Development of the Egyptian Tomb. Oxford, 1936.

The Early Dynasitc Cemeteries of Naga-ed-Der. Leipzig, 1908
Saad, Z.Y. Ceiling Stelae in Second Dynasty Tombs. Cairo, 1957
Royal Excavation at Saqqara and Helwan. Cairo, 1948
Royal Excavation at Helwan, Cairo, 1951.
Sethe, K. Beitrage zur altesten Geschichte Agyptens. Leipzing, 1905
Simpson, W.K. 'A Statuette of King Nyneter'. Journal of Egyptian Archaeology, 42, 1956
Vandier, J. Manuel d'archeologie egyptienne, vol. 1 Paris, 1952
Waddell, W. G. Manetho. London, 1940.
Wengall, A. A History of the Pharaohs. London, 1925.
Eeill, R. Les Deuxieme et Troisieme Dynasties egyptiennes, Paris, 1908.

بيان اللوحات

بيان بالأشكال

الصفحة

محتويات الكتاب